حب قتلته الكورونا

اسم الكتاب: **حب قتلته الكورونا .**

اسم المؤلف: **د/محمد ماضى .**

تدقيق لغوي: **عبد الفتاح السيد .**

تصميم الغلاف: **محمد دربالة.**

إخراج داخلي: **ساندي شريف إبراهيم.**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٢٧٥**

الترقيم الدولي : **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٥٦**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.

وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

Email: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

محمد ماضي

حب قتلته الكورونا

إبهار
للنشر و التوزيع

الإهداء...

إلى أبي صاحب كل فَضل، المُعَلم الكبير
الأستاذ / السيد طه حسين ماضي.
إلى المرشد الدائم أخي الأكبر
الدكتور/ عبدالله السيد ماضي .
إلى صديقي العزيز وشَريك الرسالات
الدكتور/ سعد عبدالفتاح ندا
إلى كل أصدقائي وكل من له فضل في الوصول وإكمال العمل.

المقدمة

لَم أفكر في يومٍ من الأيام أني سأخوض تجربة حب، وها أنا أكتب كتابًا عنه!، لأنه قد كان شعور تلك التجربة أعمق بكثير من أن يُترك بلا شيء يقال، ولا كلمات تعبر عنه!، إن تجربة الحب أعظم التجارب والشعور، ورغم ذلك لا يستطيع الكثير أن يمحص التجربة أو يقف على أسبابها ودوافعها و حيثياتها!، ورغم أني ممن قد يلاحظون شيئًا إلا أني في البداية كنت متخوفًا من الحديث عنه حتى أخذ بيدي صديقي العزيز الذي أهديه ذلك الكتاب، وما كان خوفي وارتعاش قلمي من فراغ!، فكانت تقول العرب: الكلام في الواضحات أصعب!، و الحب يبدو بيننا واضحًا وجليًا، إلا أن التكلم الوجيز الدقيق عنه صعبٌ!، بل صعبٌ جدًا، وكذلك معرفته وإدراكه أصعب من الحديث فيه!، قد يبدو الأمر غريبًا وموصومًا بالمبالغة حين أقول أن الكلام عن الحب موجزًا ومختصرًا صعبٌ!، لكن، سَل نفسك ما هو؟!، ستتلعثم!، أو أنك ستندهش لكونك لم تفكر في ماهيته أو إعطائه تعريفًا من قبل!، رغم اجتياحه لك واحتلاله أعماقك وسكونه داخلك!، ورغم شروعي في كتابة الرسالات التي هي مضمون الكتاب إلا

أني أعلم أنني وضعت نفسي بمأزقٍ لا أحسد عليه بكلامي عن أحد تلك الواضحات!، بل الأكثر وضوحًا!، لكن، لعل ما بين دفتي الكتاب يخرجني من ذلك المأزق بجَودته، أو بقَبول القارئ الكريم!، وعليك صديقي القارئ ألا تأخذ الكتاب على محمل أنه يحكي قصتي!، وألا تترك ما فيه من موضوعات وتفكر بشخصي!، فأنا أستعرض الموضوعات من خلالي، ولا أستعرض نفسي من خلالها!، وما قد تعتقد أني أطيل فيه بالحديث عن نفسي هو إطالة في الحديث عنك أيضًا!، لأني أشبهك كثيرًا حين كنت محبًا، أو أني أشبهك الآن وأنت عاشقٌ!، فربما تجد في تلك الرسالات ما يشبهك أو يشبه حالتك!، ما كنت تبحث عنه!، ما قد يُفهمك ما الحب؟ وما يفعله بنا؟!، أو ستجد به ما قد تحتاجه يومًا!، وقد تركت الرسالات بنفس ترتيب إرسالها لصديقي حين كنت على علاقة بإحداهن، حتى تأخذ الرسالات ترتيبًا يتماشى مع تطور العلاقة ومسيرتها!، وقد انتهت علاقتي تلك بظهور فيروس الكورونا في الصين!، ويكأنه هو من قضى على علاقتي، وأصابني في روحي، كما قضى على الكثيرين من البشر، وأصاب أبدانهم!، لذا، أسميت الكتاب ب(حبٌ قتلته الكورونا)، وقد حرصت على أن أتكلم عن كل الموضوعات التي تخص الحب عمومًا، و في مجتمعاتنا خصوصًا!، لأنها تعاني مشكلةً معه!، ولا أعتقد أن هناك من لا يرى مشكلةً في تعامل مجتمعاتنا مع الحب ونظرتها له!، خصوصًا فيما يتعلق بالفتاة والمرأة، وما يتعلق بالزواج والجنس!؛ لذا أرجو منك صديقي القارئ الكريم أن تعيرني كل انتباهك واهتمامك وحماسك حين نتحدث سويًا عما يخص مجتمعاتنا، وتعريني كل الشعور

حين نتحدث من القلب عن الأرواح و القلوب، وأنا أتمنى لك قراءة ممتعة واستفادة عظيمة، وقد حرصت عليهما بقدر استطاعتي لأني أعي مسئولية القلم!....

نظرة واحدة!..

مرحبًا صديقي العزيز، أنا متسرع كثيرًا في كتابتي إليك تلك المرة!، لذا، خذ من قراءتك فقط ما تراه صحيحًا، وغض طرفك عما سواه، لأنني بحالة تصعب عليَّ بها الدقة والبلاغة رغم كل الشعور!، وأعلم أني لم أحدثك من قبل في أمر كهذا، لكن يبدو أنه سيطول حديثنا فيه!...

اعرف أن الحب من أول نظرة في فقه الحب مسألة خلافية!، أو أنه كعقيدة بين التصديق والتكذيب!، لا يؤمن به إلا من نزل عليه وحيه، أو رمي بسهمه، أو يؤمن به أولئك الصديقون الذين رأوا صدق المشاعر في عيون الواقعين به!، ربما سمعت عنه آلاف المرات، لكنّي لم أجربه كما من البشر الآلالف والآلالف؛ لذا لم أكن له بين الأخلة -حين الحديث- مكذبٌ، لأن نفسي تميل إلى تصديق حدوثه!، وكأنها تعلم بأنها له يومًا!، ولم أكن ذلك المثبت له، والمدافع عن وقوعه، لأني لم أقدر يومًا على تخيله بكل معانيه وحوادثه!؛ لذا كان الحب من أول نظرة لدي قناعة مضطربة لا تصل إلى اليقين، ولا تتلاشى بغياب البرهان!.

لعلك الآن تتساءل لمَ أكتب لك عن الحب من أول نظرة!، وذلك لِما سأقصه عليك، يوم أمس كان صافي الجمال!، تفتحت عيناي فيه على ضوء شمس حانية، أشعتها تنير لا تحرق، وصوت مبهج لعصافير تغرد، لا أدري أكان من الخارج أم كانت تلك العصافير تسكُن قفصي الصدري أم كانت تلقي ألحانها على سمعي فتطربه أم كانت تهز وجداني فترقصه!، يوم بدا في أول رسائله أنه سيمضي جميلًا، ورسائل اليوم في بدايته غالبًا ما تصل إلى أحداثه!، فخرجت من مسكني، وظل اليوم على نحو ما ابتداه ولا أعرف لمَ؟!، وذات لحظة ابتسم اليوم أكثر معلنًا عن أجمل ما فيه. فرأيتها!.... نظرة وقعت فوقع قلبي في حبها، رغم أنه لم يكن ممن في الهوى يقع!، نظرة تشابكت بها عيني بعينها، فتعلقت الروح بالروح، بنظرة واحدة أخبرتها كل ما في قلبي لها منذ أمد بعيد!، أخبرتها بأني كنت على أمل لقائها!، سألتها أين كنتِ؟ ولِمَ لم أراكِ؟!، عاتبتها!، لمَ كل هذا الغياب؟!، نظرة ربما أظلمها بوصفي العاجز!، لكن ما استعبته حينها رغم سُكري أنها نظرة بها هيام باحث عن غائب، فرحة ملتقٍ، بها رجاء ألا تكون آخر مرة فيها أراك، فيها عتاب أين كنت مذ اشتاقت إليك روحي، فيها وعد أني سأكون دائمًا لأجلك إن يكن الحب يومًا بيننا، فيها دليل أنها أعظم رسول بين القلوب.... النظرة يا صديقي، آاااااه من تلك النظرة!..

إلى الحين لم أعلم كيف تكثف ذلك الإحساس كله في ومضة من الزمن؟!، ولا كيف قلت كل هذا في نفسي؟!، إذ أن نظرتي إليها لم تتخطَ من الثواني ثلاث، ولا أعلم ما قادني إلى المكان الذي رأيتها فيه فرحًا رغم ضجيجه

وصخبه!، إذ أني لم أعتده أصلًا!، لكني بت الآن أعرف أن روحي هي من قادتني إليه... انتهت النظرة بعدما زرعت سهامها في قلبي، وبدأت أنا حصاد زرعها توًا، فحصدته فرحًا متألمًا!، فأنا فرحٌ بلقائها، ومتألمٌ من سرعة إفساد نظرتي إليها!، وخشيت أن تكون عابرة كما كل شيء جميل في الحياة عابرٌ، فلا ألقاها مرة أخرى، وآه لخجلي الذي منعني النظر إليها مرات أُخر، أو تبًا لأعين الجالسين التي حرمتني إياها!، فقد تمزق قلبي من ظمأه إلى النظر إليها، إذ أن رشفة لا تروى مُقحلًا، الخجل ليس للعشاق فتبًا له!، قد كاد يقتل حبًا قبل أن يبدأ!.

رجعت، ولا شيء أمام عيني سوى نظرات منها لا تغيب، وصورتها أمامي مطبوعة على كل ما تقع عليه عيني؛ لذا كنت أرى كل شيء جميل!، أو كل شيء جميل كهي!، أو أنه يذكرني بها!، وكأن سهام نظراتها أتت مشتعلة أطرافها، فما لبثت حتى أشعلت النيران في غشاوة قلبي، فانكشف له من الجمال ما لم يره من قبل!، أو كأنها كشفت عنه غطاءه!، فجعلته يدرك ما كان غافلًا عنه من جمال!....آه لتلك النظرة التي لم تفارقني، أكاد أقسم أن اقتلاع أحد الجبال وافتكاك أوتاده أيسر من نسيانها حينها، أو أن انتزاع أظافري لحظتها أهون عليَّ من انتزاع نظرتها إليّ من مخيلتي!، وأكاد أقسم لو أنهم استطاعوا إغراق البحر ما استطاعوا إنقاذي من الغرق في عينيها!.

استعمرتني بنظرتها!، فسرعان ما أصبح القلب لها ومعها!، وإن عجبي لم يكن من سرعة مَرعاهُ لها، بل من أقفاله التي ظننتهم من حديد، وحين رآها

اتضح أنهم من ورق!، ومن شدة نكرانه لي!، فهو مذ رآها قد تغيرت نظرته لضلوعي!، فكان يرى ضلوعي دائمًا حماه، لكنه بعد رؤيتها لم يعد يرى الضلوع إلا قيدًا وسجنًا يمنعه الهروب إليها، فكان يخبرني، ويقول: أنا مُثارٌ بنظرة منها، ولن أهدأ إلا إذا تم إثارتي بغيرها!، فاذهب بي إلى حيث هي، أو فك قيدي فأنا أعرف موطني!، وحقًا يا صديقي حين يُثار القلب لا يهدأ إلا بالمزيد!، فأي اضطراب يا قلبُ تعاني؟!.

تعجبت لذلك الجمال كثيرًا!، كيف له أن يجني ويقتل، كيف له أن يريق الدم ويستبيح القتل؟، ربما زال العجب عندما أصبحت من قتلاه!، لأني أدركت أن قتل العيون حلال، ودم العشاق مباح، لكن عجبي انقلب إلى حزن، كم هو محزنٌ أن العيون القاتلات لا تدري بما صنعت!، ومؤسف أن ليس للقتيل شفاء إلا بتلك العيون!... آه لو أن في قتل العيون قصاص!، آه لو أن السهم بالسهم!، الشوق بالشوق!، الوجد بالوجد!، السهر بالسهر!، والألم بالألم!.

وإني لكنت أهرب من البحر خشيت الغرق، لكن عيونها أغرقتني بها قبل أن أفكر في الهروب، إذ لم يخطر ببالي أن يكون هنا مكمن الخطر!، لكنه كان، وغرقت!، فكانت قوة أمواجها الساكنة حينها أقوى من عقلي الذي ذهب!، فالغريق عادةً ما يفكر في حيلة تنجيه، لكني لم أستطع التفكير، وكأني غرقت ببحر من الخمر!، نعم، العيون تجذب وتُسكر وتغرق، فليس كل الغرقى منقطع عنهم النفس، ربما في انقطاع النوم فنغرق في السهرِ والشوقِ والوجد والألم!.

تباًا لأصدقائي الذين كان يجلسون حينها معنا!، كيف لهم ألا يعترضوا طريقي ويخبروني خطر المرور بناظريها؟!، لِمَ لمْ يحمونني من سهام لحاظها؟!، كيف ارتضوا لي اشتعال النار في القلب؟!، وأرق في الجفن!، وشرود في الذهن!، لمْ وافقونها استباحة دمى؟!، هل يكرهونني فوافقونها قتلي؟!، أم يحبونني فأرادوا أن أكون شهيدًا؟!...خلد الشهيدُ أنا إلى نومه، وقد علم لِمْ كان الجمال منذ الصباح رغم التشتت!، بالطبع لأنها أشرقت في سماء دنياه، والعدل حقًا ألا يكون يوم لقائها كسائر الايام، هو يوم لا يضاف إلى التقويم، لأن له تقويمه الخاص!، وخصائص تميزه عما اعتدناه من أيام، وأنا لم أعتد مديح الأيام أبدًا، لكن لمثل هذا كان المدح من أجله!.

يا صديقي، إني لست في الحب فقيهٌ، لكن كلام التجربة فقيه!، وأنا ممن وقعوا في الحب من أول نظرة، فما أكتبه فيه من تجربتي لا من نفسي!، لأن التجربة واقع، وكل واقع منطقي، وكل منطقي واقع، والنفس قد تتصنع فتحذف، أو تصاب بالخيال فتضيف، لذا فأنا أقول ما وقع، وأنا جدير بصدقه، وأنت مخيرٌ في تصديقه...اعلم أن السينما جعلت الحب من أول نظرة خياليًا ومبتذلاً، وفيه من السُخف ما تستنفره الأنفس وتستنكره العقول!، لكن الحقيقة أنه يحدث، فنحن غالبًا ما نعشق الصفات قبل الذات، أي كل منا يعشق صفات لا يعلم صاحبها، فما أن تقع أعيننا عليه فإنا نعشقه من أول نظرة!، وأنا كنت في ذاك دائمًا أقول: في قلبي حبيب أعلمه، ولست أعلمه، جليٌّ أمام عيني وبين ذراعي سراب!، كما إنّا نَحِنُ حقًا لرؤيته رغم جهلنا بهم، ففي مثل هذا قال تميم:

ما ليْ أَحِنُّ لِمَنْ لَمْ أَلْقَهُمْ أَبَدَا.... وَيَمْلِكُونَ عَلَيَّ الرُّوحَ والجَسَدَا

إني لأعرِفُهُم مِنْ قَبْلِ رؤيتهم.... والماءُ يَعرِفُهُ الظَامِي وَمَا وَرَدَا
وَسُنَّةُ اللهِ فِي الأحبَابِ أَنَّ لَهُم.... وجهًا يَزِيدُ وُضُوحًا كُلَّمَا ٱبْتَعَدَا
كَأَنَّهُمْ وَعَدُونِي فِي الهَوَى صِلَةً.... وَالحُرُّ حَتَّى إذا ما لم يَعِدْ وَعَدَا

العين وما أدراك ما العين؟!، وحدها تستطيع أن تختزل كل الصفات التي نعشقها، فلكم يحدثني الكثيرون عن العيون التي يحلمون بلقائها؟!، ولا شيء غير لقاء تلك العيون مبتغى!، وإني لأتعجب من القائلين بأن الحب من أول نظرة في حوادث الحب لا يقع، وهم أنفسهم لا يكفون عن وصف جمال تلك العيون وسحرها، فكيف لمن يصف الجمال والسحر ألا يصدق بأنها قد تُعشَق من أول نظرة؟!... ولأن العين تختزل الصفات التي نعشقها، فإن الحب من أول نظرة تقع فيه العين على العين، فتكون فيه العيون مراسيل القلوب، أما الإعجاب _ حب العقل_ ففيه تقع العين على العين والجسد، فهي نظرة تُمحِصُ ولا تَعْلَق، ونحن الرجال الأكثر عرضة له ووقوعًا فيه، أعني الحب من أول نظرة؛ لأن نظرة المرأة ينتابها تفكير، أما الرجل منا فنظرته تنتابها صدمة وتشتت، حتى وإن كان حريصًا كل الحرص في سابقها ألا يقع!، خلال ثوان يصبح اللاعقل يحكمه!، والمنطق قد استشهد من أول سهم!، وتعلق النظرة بمخيلته فلا يروح في تفكيره العميق إلا ليصل لفكرة توصله إليها!، أو كيف يراها مرة أخرى؟، و أعتقد أن الحب من أول نظرة ينمو سريعًا، إذ أن الفكر المستمر والبحث عن اللقاء يطهو الاشواق على نيران القلب المشتعلة رغم قصر الطريق!.

لا أعرف لمَ لا تطاوعني رأسي ولا قلمي في كتابة المزيد!، يبدو أن حبل أفكاره قد انقطع لاتصال أحبال حبه!؛ لذا سأكتفي بما قلته لك، وأعرف أنه ربما يستنكر البعض قولي، وربما تستنكره أنت!، وربما يصمّه البعض الآخر بالجنون، لكن إن كان الحب من أول نظرة يعدُ جنونًا؛ فهو على الأقل أعقله!.

حب أكيد....

صباح الخير صديقي!، سأكتب لك تلك المرة في الصباح، حتى لا يأتي الليل، وتتمكن مني المشاعر كثيرًا، فأعجز عن كتابة ما في رأسي بشكل لا يوصم بالمبالغة!، أو يكون كله نتيجة الشعور!..

في المرة الفائتة أخبرتك أني وقعت بحب إحداهن من أول نظرة!، لكن ربما الآن و بعد بضع أسابيع من رسالتي إليك، أستطيع أن أقول لك أنني أحببتها كثيرًا!، أدلتي على ذلك كثيرة أيضًا، أعلم أن الحب لا يحتاج لإثبات!، لكن ربما نحتاج لنفرق بين حب حقيقي وبين إعجابٍ عابر!، حتى لا نأخذ الخطوة تجاههم، ثم نتراجع عنها فنظلم!.... لقد اجتاحتني المشاعر والأفكار!، تمكن مني التشتت والأرق!، لقد آمنت حقًا بأن الحب لا يطرق باب قلب الرجل، بل يخلعه، بل أعتقد أن الحب لم يجد عندي بابًا أصلًا، إنني أكتب لك الآن، وأنا أشعر بكل نبضٍ في قلبي، أسمعه، لحظة يشعرني السعادة بأنه أصبح محبًا، وأخرى يشعرني الألم لأنه بعيدٌ عنها، لن أخفي عليك بأن كياني ينقلب كل يوم، بل كل لحظة، تغير الكثير بداخلي، لكني

لا أنكر كذلك أني محظوظ جدًا لكوني أصبحت واحدًا من العشاق، نعم أنا محظوظ، ربما الخالي قلبه أكثر مني حظًا بأنه فقط يستطيع أن ينام!، لكن بقية العالم للعاشق وحده، وإن كان لا يملك منه أي شيء!...

سأخبرك بأشياء لاحظتها في نفسي مذ أن رأيتها، متمنيًا أن تسعفني ذاكرتي وألا تخونني حواسي!، وعليك أن تعي تشتتي وارتباك قلمي!.... قبل لقائها لم أكن أحيا دون هدف!، لكن بعد رؤيتها أصبحت أعيش له، وأسعى لتحقيقه أكثر، وشتان ما بين المعيشة والحياة يا صديقي، إن الحياة بذاتها فحسب مجردة من الحس، مجردة من الروح!، لأنها مجردة من الحب!، أما المعيشة فهي الحب والحياة معًا، صدقني أن تكون على قيد الحياة ليس معناه أنك تعيش الحياة!، ربما أنت حي فقط، ولا تدري أن هناك من يعيش الحياة!... و ربما أحببت السعي أكثر لأني بت مقتنعًا بأن النجاح سيكون من عواقبه الحصول على حياة بجوارها!، ربما بات الحب دافعي لفعل أي شيء بشرط أن يكون بنهاية المطاف (هي)!، أعترف أني لم أعد أفكر بأنه فقط يتوجب عليّ فعل هذا لأكون ذاك!، بل لنكن سويًا أولًا!، لم تعد تأتي ببالي فكرة التفكير فيَّ وحدي!، سفري إلى مكان ما!، لا ليس هكذا!، بل سفرنا!، المسكن الذي حلمت به، و لم يكن يأوي في خيالي سوى جسدي!، أصبح حلمًا يجمعنا سويًا!، لم أعد أتخيل سيري في الطرقات بدونها رغم أن يدي لم تلمس يدها!، نعم، لا يصح سيري إلا وهي بجانب قلبي تحت يدي!، لم أعد أتخيل بسمتي إلا لها!، ولا نظرةٌ من عيني إلا لعينها!، ولا كلمة حب من لساني إلا لتراقص قلبها!، لم أعد أنا ذلك الشخص الذي يفكر في مستقبله بمفرده كما كان يفعل!، وإنما لا

مستقبل إلا وهي بجواري!، ربما بدونها أحقق ما أسعى اليه، لكن بدونها أيضًا سيكون منقوصًا!، تبًا لذلك التصفيق الحار لنجاحي الذي قد يشارك به كل البشر، وهي ليست في مقدمته!، تبًا لذلك الاحتفاء الذي لا تشهده!، أسألك الآن وعليك أن تجيب!، ما قيمة صورتي التي التقطها للتذكار وهي ليست معي فيها؟!، ما قيمة المطر حين لا ينزل علينا سويًا فيروي حبنا؟!، ما قيمة أي شيء إذ لم تكن الروح فيه؟!...

كنت أجلس معك من قبل، وأخبرك بأني أعاني من ظهور بعض المشكلات حين أفكر في مستقبلي!، أعتقد أنك تتذكر ذلك جيدًا!، كان منها ما يدفعني إلى التكاسل بعض الأحيان، ومنها ما كان يسرب الإحباط إلى نفسي؛ لأنني لا أقدر على حلها!، لكن وبعد رؤيتها!، في كل شيء دائمًا أقول: لا مشكلة؛ لأني بكل بساطة لن أسمح بأي شيء قد يبعدها عني!، وإن كنت قبل ذلك لا أحب المواجهات وخوض الحروب التي لا أعرف نهايتها، إلا أني الآن لم أعد أمانع!، ولا تَكمنُ المشكلةُ في أنني لم أعد أتكاسل في مواجهة المشكلات، وإنما في معجزة حلي لمعظمها!، وتبين لي أني لم أكن عاجزًا عن حلها من البداية!، ولكنني فقط كنت أعاني من عدم وجود الدافع!، لا أنكر أن ظهورها وحبي لها دعاني إلى التفكير بجدية أكثر!، وهنا لابد أن أعترف أكثر وأنت كذلك بأن الحب ملهم حقيقي، وليس مجرد شعور!...

لن أخفي عنك بأنها الآن عندي في مقدمة كل شيء!، وإن كنت قبل ذلك مديرًا جيدًا لأولويات الأمور، إلا أن كل الأمور الآن عندي قد تساوت إذ ما قورنت بها!، هي أولًا ثم أي شيء!، لم أعد أمانع بأن يكون كل الوقت لها، كل الاهتمام بها، والاهتمام عندي ليس أمرً هينًا، لأنه قد جرت عادتي على أني لا أهتم لشأن أي أحد من البشر!، لكني الآن بت مطوقًا للاهتمام بها!، أتتخيل ذلك!، أريد أن أهتم بها!، أصبحت شغوفًا بأن أعرف أي شيء عنها!، وليس لمجرد المعرفة، لكن لأن ذلك يساعدني أكثر على تخيل حياتي معها!، ولأني ليس بوسعي الآن إلا الخيال!، حقيقة أنا مطوق جدًا للاستماع إليها!، فقط الاستماع!، ربما صوتها سيلملم من شتات روحي!، ربما سيهدئ من روعي!، ربما سيكون هاديًا لي في ليلي!، ربما مرشدًا في طريقي!، ربما أي شيء منها سيغير العالم إلى الأفضل!....

رغم أني لم أتوقع في يوم من الأيام أن تُقرن سعادتي-ولو بجزء منها- بشخص ما!، إلا أن الآن الجزء الأعظم منها مقرونٌ بها!، وكذلك أنا لا أريد أن أسعد بجوارها فحسب!، وإنما أن يفرح جميع من حولي بنا سويًا!، أريدها بجواري عند لقائي بالأحبة والأصدقاء!، أريدها معي في كل مكان!، أظنك لا تتخيل كم هي سعادتي حين يجمعنا القدر، ونلتقي سويًا بين الناس؛ فيبتسم الأحبة لرؤيتنا!، يتأمل العذول لحبنا!، يتمنى اللائمون أن لو أصبحوا مثلنا!، ويروح الكاشحون، ولا يجدوا طريقًا لتفريقنا!...

أرجوك لا تتهمني بالمبالغة!، لأني حقًا لم أعد أتخيل شيئًا بدونها!، كل شيء عديم اللون أو أنه باهت!، عديم الرائحة والمذاق!، هي الآن روح الأشياء وسر جمالها!، فإن ذهبت هي، ماذا يتبقى من الأشياء إلا الصنم؟!.... لم أعد أفعل شيئًا إلا وشاركتها الرأي فيه في خيالي!، لكن تمهل، لم يصبني الجنون بعد!، فأنا أشارك روحها المشورة فيما قد يسعدها؛ فأتخذه موضوعًا لخيالاتي!، كل التفكير في سعادتها ليس أكثر!، لا شيء عاد يسعدني إلا بعدما يأتيني الإحساس بأنه يُسعدها!، فكل السعادة عندي فيما قد يرسم بسمتها، وإن كان شيئًا لم أعهد منه السعادة!، وكل التعاسة في أي شيء يزيل البسمة عن شفتيها، وإن كان يجعلني قبل ذلك في غايتها!.... لم أتخيل أنه سيصل الأمر إلى اتهامي لنفسي بالخيانة!، نعم الخيانة!، ذلك إن صادفت امرأة ونظرت لها!، مصادفةً لا أكثر!، إذ أن عيني باتت تخاف الحياد عن رؤيتها وحدها!، وقلبي يغار عليها من غيرها!، وروحي تخاف أن تضل في حبها!، لم أكن أتخيل أي شيء مما يحدث!، أنا لا أتساءل لمَ يحدث ما أنا به!، لأني سعيد به كثيرًا!، لكني أتساءل كيف للحب أن يجعل عالمي محدودًا هكذا؟!، عالم متمثل في شخص!، أظن أن العاشق يفترض به أن ينادي من يُحب ب(يا عالمي)!، ألا توافقني؟!...

آه من تلك اللحظة التي تجمعنا في نفس المكان!، اللحظة التي تَعْلَقُ بها عيني!، ويرتجف بها قلبي وتتعالي أصوات نبضاته!، لن أنكر أن تكرار المكان لم يعد صدفة!، بل أنا من أذهب اليه!، معذرةً!، لا شيء أمامي غير ذلك!، لكم أذهب إلى حيث هي وأظل أنظر إليها!، أو بدقة أكثر أسترق النظرات!، أحدق بها ثم إن نظرت إليَّ لتعلن أنها تراني أنظر إلى السماء!،

وكأني أعد النجوم أو أتأملها!، رغم أنه لا نجوم في وضح النهار!، أعتقد أنه رد فعل مغفلٌ جدًا رغم أني أفعله!، أو أظهر كأني أصيد بعض الأفكار رغم أن عقلي في مهب الريح!، ثم ما إن أسرح في عينها وجمالها مرة أخرى أنشد في نفسي ما أنشده كل مرة، فأقول:

يا مَنْ تُجيد عيونُهَا لغةَ الهوَى ***هل غاب عن تلك العيونِ مُرَادِي

لكِ نظرةٌ فتنَ الجمالُ بِسِحْرِهَا *** ومُقَبَّلٌ يشفي غليل الصادي

إن المحاسنَ أَبْدَعَتْ تَصْوِيرَها *** في ناظريكِ وغصنكِ الميَّاد

قَسَمًا بثغرٍ بالسيوفِ مُمَنَّعٍ *** وبسحرِ لحظٍ قد أضاع رَشَادي

ما مَسَّ خَدَّكِ غيرُ أَنفاس الصَّبَا *** نَسَمَاتُهُنَّ روائحٌ وغوادِي

أنا مَغْرَمٌ فتَكَ النحولُ بجسْمِهِ *** وسَطْتَ عليه عداوةُ الحسَّادِ

إن تمنعي عني اللقاءَ فإنني*** صَبٌّ قد استعذبت فيك سهادِي

ثم تفسد إنشادي كل مرة حمقاء تناديها، وتقول: هيا بنا لقد تأخرنا!، فيعبث وجهي ثم أقول: لا تأخر عنك مرُ الزمان يا مفرقة الجماعات يا هادمة اللذات أنتِ!، كم هي ثقيلة تلك الفتاة على قلبي هي وجملتها البغيضة!... حقيقة!، سعادة قلبي لرؤيتها لا تزيد كثيرًا عما يشوبه من أسى حين يُجبَر على الذهاب عنها بعد رؤيتها!، أو تذهب هي عنه، ولم تدرِ أنها أحزنته بذهابها بعدما منحته سعادة وجميل وقت من الزمن!، الزمن الذي لا يمر إلا عندما نلتقي!، ويكأن نار أشواقي تحرقه؛ فيهرب مسرعًا من بين يدي!،

ما ضره لو توقف أو تباطأ عند لقياها!، ليت أحدًا يقدر على إفهامه ما يفترض به أن يفعل!...

الفتاة التي أحببتها تمتلك قدرًا من الجمال يجعلها محطًا للنظر!، لذا قبل أن أعرفها، وأهتم لشأنها اهتم لشأنها الكثير من الشباب!، لا أستطيع إنكار ذلك لأنه الواقع!، ومن بينهم أناس يعرفونها قبلي وأنا أجلس معهم دائمًا!، وكانوا يتحدثون عن كثير من الفتيات وهي منهم!، لكني لم أكن أعرفها!، بل اتضح أني الوحيد الذي لا يعرفها!، ولما وقعت في حبها كلما جاء الحديث ويتم ذكرها يرتبك داخلي دون سابق إنذار!، ويشتغل قلبي غيرة عليها!، لكني لا أملك أي شيء!، أكره جدًا قلة حيلتي في جعلهم يتوقفون عند الحديث عنها!، هم لا يسيئون إليها أبدًا، لكني لا أتحمل وصف أحدهم لجمالها أو أي شيء بها!، حينها لا أملك إلا قولي الذي اعتادوا عليه، بأن الحديث عن الفتيات أمر ساذج وأحمق!، لا أستطيع قول أي شيء آخر حتى لا أكون واضحًا، لكني أصبحت أقول ذلك بحرقة!، صدقني رغم أنها نفس الجملة إلا أن قولها مختلف تمامًا، فالكلمة التي تخرج نتيجة العقل لا تساوي أبدًا تلك التي تخرج نتيجة الشعور!...

أعتذر منك لأني أكثرت في الحديث عني، لكن أعتقد أنه وجب الحديث بعموم الكلام عن دلائل الحب، ربما أحسها أنا الآن أكثر ومن مثلي لكونها جزءًا منا!، لكن ذلك لا يمنع أن يصلك جزءٌ من الإحساس!، ودلائل الحب كما يتضح لي أنها بين ما يظهر على الشخص وبين ما هو مكنون في صدره!، فأما ما يظهر عليه فربما يلاحظه كل الناس وربما بعضهم وربما لا!، أما ما بداخله لا يمكن عدم ملاحظته لنفسه!، وكذلك لا يعرفه غيره،

أو يعرفه من هو عاشق مثله! فالعاشق الصادق في نظري يكون بقلب هائم في حبه، دائم في إخلاصه!، ذِكر من يحب مستولٍ على قلبه وحديثه بين نفسه!، يذكره بعدد أنفاسه!، لا يغيب عنه أبدًا!، كقول شاعرنا:

خيالك في عيني، وذكرك في فمي *** ومثواك في قلبي فأين تغيب؟

أو يزيد عنه ويصبح كله لمن يحب!، يومه وليله ونهاره، حديثه وقوله وكلامه!، كقول الحلاج:

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت *** إلا و حبّك مقرون بأنفاسي

ولا خلوتُ إلى قوم أحدّثهـم *** إلا و أنت حديثي بين جلاسي

ولا ذكرتك محزونًا و لا فَرِحًا *** إلا و أنت بقلبي بين وسواسي

ولا هممت بشرب الماء من عطش *** إلا رَأَيْتُ خيالًا منك في الكاس

لو قدرتُ على الإتيان جئتُكم *** سعيًا على الوجه أو مشيًا على الرأس

ويا فتى الحيّ إن غّنيت لي طربا *** فغنني وأسفًا من قلبك القاسي

ما لي وللناس كم يلحونني سفها *** ديني لنفسي ودين الناس للنـاس

إن أعظم الناس حبًا أولئك الذين يستلذون بعذاب البعاد!، ويبتسمون عند اللقاء وكذلك عند الملام!، ويغلب عليهم تفريد من يحبون! ، أقصد أنهم يرون من يحبونهم متفردين في كل شيء!، في الجمال والوقار والحكمة!، ويغلب عليهم كذلك نصرتهم في أي شيء!، ينصرون أحبتهم ظالمين أو مظلومين!، بل إنهم يميلون لعدم تصديق بعض الأمور عنهم!، وهي الأمور التي قد تهدد حبهم، الذي هو ليس إلا حبًا من طرف واحد بعد!، والغريب

أنهم يبدأون في تصديق تلك الأمور حين يصبح الحب من الطرفين!، لكن في البداية يصلوا إلى نكران الرأي المهدد للحب ذاته وإقامة الحجة ضده!، يميلون إلى استحسان ما يشجع حبهم فحسب!، أولئك الناس لا ينبغي أن يكون مصيرهم الخيانة و الغدر!، أو الهجر و الحرمان!، هم أصدق القلوب وأعظمها!، فليت الحياة تعطي بقدر الصدق والإخلاص!....

إن الحب حين يأتي يقلب حالنا، لكن المضحك في الأمر أن الشخص الهمجي العشوائي في طبعه هو أكثر إنسان تظهر عليه دلائل الحب!، فعندما يصبح أكثر صمتًا!، وأجمل هندامًا!، وأكثر هدوءًا!، لا يتكلم إلا همسًا، ولا يضحك إلا ابتسامًا!، حينها نعلم أنه وقع في الحب على الأرجح!، أما الشخص صاحب الوقار في ذاته، قد لا نعرف أمره بيسر، وإن كان هناك ما يفضح حبه!، لما يظهر منه في بعض الأوقات بعكس صفاته!... إن ما أكتبه لك الآن قد ينطبق على كثير من الناس وليس بي وحدي!، فأنا لست إلا واحدًا منهم!، ولكني أرجح أن الأغلب منهم ينطبق عليه ما كتبته عن نفسي!، لأن الحب حين يتمكن يقود كل الناس كيفما شاء!...

الحب حين يأتي المرأة لا يسكنها فحسب، بل يحتلها!، فيغير بها ما لا تغيره السنون ولا المواقف!، وتظهر عليها دلائل الحب بوضوح أكثر من الرجل، لكن معظم تلك الدلائل لا تظهر إلا أن كان هناك تعامل قائم بينها وبين من تحب، وتظهر في أبهى صورها حين تعبر عن جمالها كأنثى بها!، كتسامحها الدائم!، اهتمامها المطلق!، تعلقها الشديد!، سعيها للتضحية!، وفضولها لمعرفة كل شيء عمن تحب!، وكذلك الصدق، لأن المرأة المُحبة لا تستطيع أن تخفي بعض الأمور التي تحتاج أن تحكيها!، وإن حاولت

إخفاءها ستبدو غير سعيدة!، أو متوترة وغير مستقرة!، وكذلك أغلبهن يغلب عليهن التلميح عن الحب وليس الاعتراف به!، وأعظم المحبات في نظري وأكثرهن تدليلًا على حبها، تلك التي يُطبع جزءًا ممن تحب في شخصيتها!، فتقلده حتى يصبح جزء منه فيها!، فأي حظ يكون حين أملك من تكون جزء مني بها!، و أستطيع أن أناديها ب(يا أنا)....

صديقي!، أرجو ألا يُفهم من الكلام أن حلمي فقط مجرد فتاة!، أو أن أعظم انتصار قد أحققه امرأة!، الأمر ليس بذلك النحو أو تلك السذاجة!، فليس حلمي فتاة ولا انتصاري امرأة!، ولكن الحقيقة أن ما يريده القلب ليس هينًا!، مشكلتنا أننا نستهين بشعور الآخرين حتى نقع في مواقفهم!، حينها نعلم كم هو صعب قتل الأمل وعذاب القلوب!، لكن اعلم أن الوقوع في الحب أمرٌ جيد بغض النظر عن النتائج!، فأنا أكتب لك الآن ولا أعلم ما سيكون، هل سأنال حبًا تمنيته؟!، أم أن ليس لي من الحب إلا عذابه؟!، لكني الآن أيضًا لا أقدر على شيء سوي أن أحب حبًا صادقًا، حبٌ بلا أمل!، لا أحب من أجل شيء!، أحب فقط لأني أحب!، راضٍ بالقليل، بل لا أبالغ إن قلت لك أني راضٍ بالعدم!، و كلمتي الأخيرة إليك، ادع الله لي!، فأنا هنا وقلبي هناك، فليت موعد يجمعني بقلبي مرة أخرى!، أنا:-

الجسم في بلد والروح في بلد ** يا وحشة الروح بل يا غربة الجسد..

عندما تقع في الحب أنت كذلك، اصغ له ولذاتك!، فإنه سيُعْلِمُكَ عن نفسك ما لم تكن تعلمه!، نعم!، ستعلم كم أنت مسالمًا بطبيعتك!، جميلًا في ذاتك!، ستعرف كيف يكون سلام النفوس؟!، ستعلم أنه لو نظر الناس

لك حينها لعرفوا أن العالم الموحش الذي حولنا والصراعات التي لا تنتهي لا ينقصها سوى الحب!، الحمقى الذين يجردون الإنسان من روحه ومعالمه بقولهم أن الحب ليس إلا مجرد كيمياء تختلف في الجسد!، سيعلمون أن الأمر ليس بتلك السذاجة، وأن كيمياء الجسد تتغير حقًا، لكنها نتاج الحب وليس الحب نتاجها!، سيعلمون أنه لا شيء يقدر على التقليل من جماله وقدسيته!، سيعلمون أن الحب وحي من الرحمن!..

الاعتراف بالحب...

كيف حالك؟!..

اليوم، أكتب لك وأنا لست صافي المزاج، ولا أنا الآن ذلك الشخص رائق البال الذي اعتدته!، لأني بكل صراحة وبساطة، لم أعد أتحمل كتمان ما أكن في صدري لها، ولا أنا ذلك القادر على البوح به وبثه إياها!، أنا منزعج جدًا كوني كذلك، فلم يسبق لي أن كان هناك شيء ما أريده هكذا، ولا أعلم كيف الوصول اليه؟، فأصبح لي شوقان، شوقي إليها، وشوقي إلى متعة الوصول!!.. ربما تتعجب الآن وأنت تعلم حبي لها منذ وقت طويل، ولم أخبرك بتلك الحيرة، وفي حقيقة الأمر أنا لست بذلك التشتت، ولا تلك الحيرة منذ سويعات أو دقائق، وإنما مذ رأيتها وأنا أتجول بين القرارات وأتخبطها، ولا أخرج في النهاية بأي قرار حتى وإن لم يكن صائباً!، لكني أخبرك الآن بتلك الحيرة رغم علمك أني شخص قليل الحكي متأخر الكلام دوماً، لأنه قد وصل بي الأمر إلى ذروته، أنا حقًا لم أعد أتحمل قلبي الذي بجانبي!...

مذ وقعت بحبها يا صديقي، وأنا أكتب في الرسائل ثم أشطبها، أنظم القصيدة ومن ثم أمزقها، آتيها لأقول أحبك يلوح الخوف فيخرس الكلمة على لساني!، واه من الخوف لو تعلم خوفي على قلبي، أنا حقًا أخاف عليه كثيرًا، فهو قليل الحزن لكن حزنه شديد، ورغم ذلك الحزن الشديد الذي أصابه نتيجة كتماني لحبه فإنه ليس أقصى ما قد يصيبه، فربما يصاب بالكسر أن رُفِضَ حبه، لذا آثرت الكتمان على البوح لأن حزن القلب أقل من كسره قسوة!..

أنا لا أنكر خوفي وخشيتي أن أبثها حبي!، خِشيت أن يروح قلبي ضحية رفضها!، أو تنتحر كرامتي على لسانها فلا يبقى لي شيء من نفسي للنظر به إليها!، ومن شدة خوفي عاقبة إخبارها حاولت إقناع نفسي بأنها لا تصلح لي كي تكون حبيبتي أو نبقى سوياً!، لكني وجدت كل شيءٍ فيها يقترب من الكمال، فأصبحت أجاهد في إقناع نفسي بأني من لا يصلح!، واقتنعت بأني حقيقةً لا أصلح، فكرهت نفسي وأحببتها أكثر!.... لقد صور لي ذلك الخوف نفسي ضئيلًا!، بل ضئيلًا جدًا، وأقول: كنت سأقدم على إخبارها حبي لو أني ظننت بأنها تراني شيئًا عاديًا، لطالما أحس دائمًا أنها لا تراني أصلًا!، رغم نظرها الدائم إليّ!، وآاااه من نظرتها!، فتنظر هي وأنشد أنا بحرقة قلبي:-

كفي القتال وفكي قيد أسراك ** يكفيك ما فعلت بالناس عيناك

كلت لحاظك مما قد فتكت بنا ** فمن ترى في دم العشاق أفتاك

كفاك ما أنت بالعشاق فاعلة ** لو أنصف الدهر في العشاق عزاك

كملت أوصاف حسن غير ناقصة ** لو أن حسنك مقرون بحسناك

وأني ببعض الأحايين لأحدث نفسي أكثر فأقول: أعلم أني لا أليق بجمالها، لكن قلبي يليق بها، فهو جميل مثلها مذ أحب، فهلا رضيت بي قلباً؟!، فقط أريدها أن تنظر إلى قلبي لتعلم مكانتها!، لقد وصل الأمر إلى أني فقط أريد أن أقول لها أحبك، لا شيء أكثر من ذلك، لا أنتظر منها سوى سماعها لكلمتي، أعلم تماماً أن روحي تطوق شوقًا لكلمة منها تشابه كلمتي لا تساويها!، لكن يبدوا أن الحياة ليست عادلة بما يكفي كي أنال كلمة!... إني لأموت خوفًا بأن كلمة واحدة -لا- تهدم كل حلم وبيت جميل بنيته في خيالي!، واااه من عراك الواقع مع الخيال، فأتشبث أنا بالخيال لأنه يرضيني، ويشدني الواقع ناحيته لأنه الأقوى، والنتيجة أني أتمزق بين قوة الشد ورجاء التشبث!..

أنا كما الكثيرين من الناس لهم ظروفهم الخاصة، والتي تتيح لهم الكثير من الأشياء وتمنعهم عن الأخر، أنا أمتلك ما يعوق أخبارها حبي، لكن ذلك لم يقف حائلًا بيني وبينها لأخبرها، وإنما سؤالي الدائم لنفسي ما يمنعني، ماذا!، ماذا لو لم يجن لي اعترافي سوى حزن أكثر وحسرة أكبر ثم كسر عظيم؟!، ماذا لو امتلكت من الحماقة قدرًا؟!،

فتنظر إلى كلمتي لها _أحبك_ على أنها مجرد كلمة!، ولا تعلم أنها قبل أن تخرج قد أخذت معها من العمر والروح والدماء الكثير!..

صديقي، أنت الآن بت تعي شيئًا من تشتتي وتوتري وانفعالي، لكني أحسست شيئًا من الهدوء بعد شروعي في الكتابة إليك، لذا أستطيع الآن أن أخرج بقرار ربما يميل إلى الصواب أو يزاحم جملة القرارات الخطأ!، الآن، لقد أخذت عليَّ عهداً، لإن تَقَربت مني بقدر حرف من حروف الأبجدية، لسوف أهرول إليها بقدر كل ما كتب عن الهوى، لكني لا أقدر على الاقتراب بقدر حرف واحد لطالما لست في حروف أبجَديتها!... أنا لن أخبرها بحبي لها، لكني أيضًا لا أود الموت قبل أن تعرف كم أحبها، ولا تسألني كيف؟؛ لأني لا أدري، ولتعلم أنت أن موت الحب في قلوب العاشقين ليس سهلًا، وكذلك الخوف على القلب ليس عبثًا، حقيقةً (ما أصعب الاعتراف بالحب حين نُحس أنه قد يكون بداية النهاية!، وما أصبعه الحب حين لا نعرف كيف نبوح به، وليس أمامنا سوى أن نحب أو نحب أكثر!)...

طاب مساؤك!!...

أعلم أني في المرة الفائتة لم أكتب إليك بقلم عاقل أو كلمات رصينة!، لكنك ستتغاضى عن ذلك لعلمك حالتي حينها، وكم كنت حائراً ومشتتاً ومتخبطاً في قراراتي، لكن، دعنا لفينة من الزمن نتحدث فيها سويًا عن الاعتراف بالحب بشكل قد يكون أدق، و كلماتي إليك لا تحمل طابع العام أو المطلق، لأن العام لا يقبل الخصوص و المطلق لا يقبل التقييد!، وهي قد تطبق على مجتمعات معينة، ولا تطبق علي نظيرها!، لذا كلماتي ليست عامة أو مطلقة على كل أهل الأرض، وإنما هي خاصة ومقيدة بمجتمعات عُرفية معينة!...

الحب يا صديقي لم يخلق حتى يكون وحيدًا بداخلنا، فالحب الوحيد يؤرق النفس، ويبطل معاني الروح، وإنما يكون لائتلاف نفسين وتناغم روحين داخل قلبين يراد لهما أن يكونا قلباً واحداً أو سوياً، لذلك حين نحس نبض الحب في قلوبنا نشعر دونما تفكير بطلب القلب في كل نبضة أن نبلغ المحبوب حبه!، فهو لا يحبه فقط، وإنما يحبه ويريده، إذ أن الحب وحده لا يشفي، ومن ثم يكون (الاعتراف بالحب أول مطالب القلب!!)، و رغم ذلك المطلب الذي لا يمل القلب عن طلبه، ورغم سلطة القلب التي قد تصل في بعض الأحايين إلى السلطة المطلقة، فإن الكثير لا يلبي الطلب، ولا يجيب النداء!، وما منع أولئك من الاعتراف بحبهم إلا ما قد منعني، أو مضاف إليه بعد الأمور، أو تلك الأمور بمعزل عما منعني!، أعني أن أقول لك: الخوف الذي منعني الإفصاح عن حبي لمن أحبها قد منع الكثيرين قبلي!، وهناك أشياء أخرى سأخبرك الآن ما أعلمه منهم!، لكن

قبل أن أشرع في كتابتي إليك بهم، أؤكد أن الخوف هو سيد تلك الموانع!، فويحك أيها الخوف، كم قتلت حبًا قبل أن يبدأ!..

اعتقاد أنّا لا نليق بجمال أو قدر من نحب يمنعنا، وقد يقتل الحب داخلنا أحيانا، أو كما أخبرتك أنفًا أن تحس الضآلة في نفسك مقارنة به، ربما نكون لا نساوي من نحب في القدر أو المكانة حقيقةً، لكنا دائمًا نساويهم في الإنسانية، أليس أن أكون إنسانًا كافياً أن أكون محبوب أحدهم؟!!، في الحقيقة أن في دين الإنسانية يكفي، أما في دنيا الحياة والمجتمعات والأعراف لا يكفي، إذ أن الحياة لا تبنى علي الحب وحده، الحب ملهم، محفز، نشيط وثائر، لكنه وحده عاجزًا، لم تزل الفوارق المادية والاجتماعية تقتل حروف البوح بالحب قبل خروجها لإعتقادنا أنها لن تجدي!، ربما نعيش كثيراً دون التفكير في وضعنا من حيث المادة والمكانة، لكنا قد لا نكف عن التفكير في كليهما إن أحببنا، وقد يكون أول إحساس بالعجز في حياتنا، لكنه عجز ليس بهين، فَعجزنا عن إشباع البطون أقل شدة علينا من العجز في إشباع القلوب والأرواح!، وربما يصل الحب إلى أرقاه في ذلك الكتمان، وهو الحب دون أمل، نعم، يا صديقي، الحب بلا أمل أرقى الحب، حب لا يعرف ماذا يفعل؟ ولا إلى أين المسير؟، لكنه يحب!، فلعل الله يحدث بعد ذلك أمراً!!...

البعض منا يرى الاعتراف بالحب ضعفًا، أعلم أن وجهة النظر مبررة عند صاحبها ببعض الأسباب أو الشعور الخاص، لكن الاعتراف بالحب فضيلة، وإثبات للإنسانية قبل أي شيء!، فالحب أقصى ما قد يصل إليه الإنسان من شعور، فأنا أحب، تعني أني إنسان محب، إنسانٌ في المقام

الأول، والإنسانية أرقى ما قد يصل إليه المرء منا فكيف لمن وصل أن يكون ضعيفًا؟!، هل يصل إلا القوي؟!، الاعتراف بالحب- يا صديقي- قد يظهر ضعفًا لأنّا نتنظر فيه الإجابة عن أنفسنا، لكنه ليس كذلك، دعني أخبرك ما أعني بشكل قد يكون أدق (الاعتراف بالحب ألف قوة، مغلفة بغشاء رقيق من الضعف)، لكن من ينعته بأنه ضعف كله لم يصب!!....

وحين نذكر من كانت رؤيتهم للاعتراف بالحب ضعفاً، لابد من ذكر المعتقدين بأن الاعتراف بالحب تقليلٌ من القدر وإنزالاً من الشأن!، فرغم جماح المشاعر وسيطرتها على العقل إلا أن بعض العقول لا تستجيب، ولا ترجع عن صلابتها، وإن رجع لحظة وراح في تفكيره تنبت في عقله حيرة يعقبها غروره بأنه لا يخضع لاختبار الرفض أو القبول!، وفي الحقيقة أننا حين نعترف بالحب لا نكون في وضع الاختبار، وإنما في وضع الكسب أو الخسارة، لأن الاختبار يعني التقييم، وأننا في الحب لا نقيم بمعايير قياسية معينة؛ حتى ننجح في الاختبار فيتم قبولنا، أو نفشل فيكون الرفض!، الأمر ليس تقيما وإنما انجذاب، تعلق، فكر وشعور، فإن كان عند من أحب مشاعر تجاهي تشابه مشاعري اتكسبته، وإن لم يكن خسرته، والحياة معرضة في كل مواقفها إلى المكسب والخسارة وليس التقييم، ولا أحد كبير علي أي منهم، ولا أقل من الأخرى، فأولئك الذين يرونه تقليلًا وإنزالًا واختبارًا، أعتقد أنهم بحاجة إلى مراجعة الأمر، تحديدًا إن كان متعلقًا بالقلب، متعلقًا بفرصة أن تكون محبوب أحدهم، بأن يعيش أرق المشاعر وأجملها، بأن يرى بين يديه ما تمناه قلبه، فأي غرور وتكبر يكون على أرق ما مس القلوب!!...

سأخبرك الآن عن أخطر الاشياء التي تقف حائلًا بين المرء وحبه، وهي مجتمعاتنا الضيقة، ولا أعني أنها ضيقة في نطاق الرقعة أو المساحة أو تمددها، فهي للأسف كبيرة جدًا، وإنما الضيق في مفاهيمها وأفكارها، فقد تربى الكثير منا على أن الاعتراف بالحب تسللًا عبر النوافذ، ويكأن الاعتراف بالحب صار سرقةً أو هجوماً غير مسلح!، والحقيقة أن ذلك الإدعاء كاذباً، ولا أكثر من الفطرة دليلًا على كذبه، فإن كتمان الحب ليس من فطرة الإنسان، المحب يريد أن يبلغ محبوبه حبه، ويريد أن يعلم حبه إن كان يبادله شيئًا، أعلم تمامًا أنه لا يمكن ممارسة الشيء الفطري بالحرية المطلقة، لكن أيضاً لا يجوز تقيد الفطرة تقيدًا مطلقًا، وإنما يتاح قدر من الحرية ضمن أعراف ذات عقلانية وسطية، فلا يمكن تقييده أو وضع التعبير عنه ضمن نمطية معينة، أو جعله خاضعاً لمراسم معينة، أو اعتباره مؤسسة، لأن الحب ليس كما الزواج مثلًا، أو الجنس لأنه مرتبط بالرسمية أيضاً، وهو يقوم طبق نمطية معينة وبين الشريكين كفكر أو مؤسسة!، إذن، الاعتراف بالحب لابد له من مُتنفس، ولا يصح تقييده ومحاصرته، ولا يصح وصفه بالتسلل عبر النوافذ وما شابه من تلك الترهات، لأنه لا يمكن لعاقل أن يعتقد بأن رد فعلٍ لأجمل المشاعر وأرقها يمكن أن يصور كجريمة!...

سر في الطرقات وبين الأخلة وتحدث إلى من تقربت منهم، ثم أخبر أحدهم بأن فلانة تثيرك وأنك تشتهيها!، سيجيبك فورًا بأنها حقًا مثيرة وتستعدي التفكير والتأمل!، ثم يسرح بخيالاته إلى حيث ما يتمنى!، أما قولك له بأنك تحبها فربما سينظر لك كأنك شخص تافه!، أو كانك شخص جاد لكن

الأمر نفسه تافه!، ليس من شيم الرجال!، فقط الأسِرة منصات الرجال في مجتمع العجز الجنسي!، أمرٌ مضحكٌ!، ولقسوة تلك النظرات وجرمها قد يكون اعتراف الرجل باقتراف ذنب أو فعل جريمة أيسر عليه من اعترافه بالحب!، لكنه بصفته الرجل (الذكر)، والرجل بمجتمعنا يتاح له الكثير من الأمور، فربما يُغفر له ذنبه إن اعترف بحبه بعد فترة!، باعتباره تائباً عن الذنب بعد أن أدرك تفاهة الحب وسذاجته، وإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له!، ولا يصح اعتبار توبته نصوحاً إلا بعد اعترافه بأنه لم يعد يحب!، وأنه كان مراهقاً طائشاً!، فهنيئاً لك أيها (الذكر)، قد كُسر قلبك لكن غُفر ذنبك!، فأي مجتمعات تلك التي أرهق فكرها رقة المشاعر ونُبلُها!..

برغم رجعية مجتمعاتنا في تعاملها مع الاعتراف بالحب عمومًا، إلا أنها قد تتهاون مع الشاب (الذكر) بعض شيء، لكن لا تهاون مع الفتاة أو المرأة أبداً، ولا أعرف بأي حق سُلبت المرأة حقها تمامًا في البوح بحبها لمن ينبض قلبها له!، أليس الحب كما الحب والقلب كما القلب؟!، لم النظرة إليها بعين السوء إن فعلت؟!، ويكأن الاعتراف بالحب كبيرة في كتاب الخطايا!، أو ملوس لسجل الأخلاق والفضائل!، أو كأنه دخل دائرة الفواحش!، فلا يخجل البعض أو يَعقل نفسه من اتهام فتاة في شرفها وأخلاقها نتيجة اعترافها بحب قد أدماها!، وكأنها سرقت أو زنت!، ما بقى لهم إلا أن يجعلوا للاعتراف حداً!، يكون فيه (تجلد المتبجحة المعترفة بالحب بالسوط خمسين جلدة!)، لكنهم رحمة بها تركوا السوط وأخذوا يجلدونها باللسان ألف ألف جلدة!، وإن بعضهن ليفضْلن الموت مرة

بالقلب حاملًا ما به مشتعلًا، ولا يمتن بكلام اللائمين ألف مرة في كل مرة!...

أخبرتني إحداهن ذات مرة بأنها كتبت قصيدة غزل، هي لا تحب أحدهم، ولم تكتبها في أحد، لكنها تصف فقط فتى أحلامها في تلك القصيدة وتداعبه بكلماتها في الخيال، فإذا بالقصيدة تقع أسيرة أمها، فما كان من أمها إلا أن وبختها توبيخاً شديداً!، ثم اتهمتها بالانحلال وتطرف المشاعر ودونية التربية!، ثم مخاصمتها وأخذت تشكو منها إلى والدها ليعاقبها!، كل هذا وهي لا تحب أصلًا!، فكادت تلك الفتاة أن تترك الشعر، وتحرم نفسها من حقها في الحس والمشاعر نتيجة رد فعل عصبي جاهل!، وها هي الآن تحب ولا تعرف ماذا تفعل؟!، فبديلًا عن كون الأم هي الملجأ والمرشد في الحس والفكر، أصبحت هي الحائل بينها وبين ما تتمنى!، فلم تعد الفتاة تعرف كيف لا تحب فتاها؟، ولا تعرف كيف لا تكره أمها؟!، فأي رعب يملك الفتاة في حبها؟، وأي قسوة تلك من مجتمع يدعي الرحمة؟!..

الكل يا صديقي يتنمى أن لو يقدر على إتيان الحبيب وإخباره حبه، لكن الأفكار التي سادت تعوقهم!، والأعراف التي حكمت تمنعهم!، فالجميع يريد ولا يقدر!، ومن يقدر لا يُعْلِن!، ويبقى من يخاف العَلن لا يقدر!، لأنه ببساطة يخاف الفضيحة!؛ لذا نحن دون مزايدة أو محاباة نعيش في مجتمعات منافقة، تعودت فعل كل الجرائم والفواحش في الخفاء، لكنها تنكر على أحد منا أعظم وأنبل إحساس قد يصل إليه في حياته لمجرد أنه في العلن!، أو أنه أُعلن دون قصد!، أو أنه تم فضحه، في مجتمعاتنا يحق لك فعل كل شيء، أي شيء خارج فاحش قذر!، شريطة ألا يعلم أحدهم

سرك!، حتى تستطيع أن تمشي ولسانك سوطًا تجْلد به من يُعلَن أمره أو يُعلَم سره في أي أمر!، فأنت في مجتمع النفاق والثرثرة إما أن تكون متحدثاً مع الناس عن أحدهم، أو تكون أنت ذاتك حديثهم!..

كيف حالك؟، اتمنى أن تكون بصحة جيدة ومزاج جيد!..

أعتذر منك لأني لم أكمل الرسالة إلى نهايتها المرة السابقة، لكن دعنا الآن من الحديث عن مجتمعاتنا، فأنت تعلم أني لست على توافق كبير معها!...

الاعتراف بالحب كما يتضح لي يكون في ثلاث حالات، إما أن يكون اعتراف بعد معاملة أو مخالطة دامت شيئاً من الوقت، أو اعتراف بعد استلطاف دون معاملة، بعد نظرات متعلقة أو ابتسامات قلبية مرسومة على الشفاه، أو أنه اعتراف طارئ سواء كان هناك تعامل يسبق ذلك الاعتراف أو لم يكن، وكل تلك الاعترافات قد تكون في وقتها، وقرار البوح بها صائب، ورغم ذلك تفشل لأن طريقة تقديم الاعتراف خطأ، وقد تكون كلها خطأ لأن الطريقة والوقت غير ملائمين، ورغم ذلك ينجح!، لأن جزءاً كبيرًا من نجاح الاعتراف معتمدًا على الطرف الآخر، فربما يقبله وإن كان منقوصاً وهشاً، وربما لا يقبله وإن كان به كل التمام!..

الاعتراف بعد تعامل..... أتعرف يا صديقي؟!، محاولة إخفاء الحب أكثر معاناة من إظهاره حين يتمكن من القلب!، مهما حاولنا جاهدين إخفاء تلك المشاعر تفضحنا النظرات والابتسامات، يفضحنا اهتمامنا و شغفنا الدائم للوصال!، وقد يظهر ذلك من الطرفين دون أن يعترفا!، أعرف أن الحب يعبر عنه بالكثير، وربما يكون جلياً في الفعل، لكنّا نظل مشتاقين مطوقي النفس لسماع كلمة (أحبك)، وما يكون ذاك الاشتياق والشغف إلا لنعلم من نحن لديهم لتطمئن قلوبنا!، نحن يغلب علينا عدم تصديق وقوع

الحب ممن نحب ما لم نسمع منهم كلمة أحبك!، لا تزال هي الكلمة القادرة على جعلنا أكثر اطمئناناً وتصديقاً...

حين يكون هناك تعامل قائم، وعلاقة بين الطرفين قد ترتقي إلى الصداقة، قد يكون الاعتراف بالحب أصعب من أي حالة أخرى، لأننا لا نستطيع كبح رغبتنا في البوح لهم بالحب؛ لأنهم مقربون منا ويمكننا فعل ذلك إن أردنا، وكذلك لا نريد أن نخبرهم خوفاً من الرفض، حتى لا تكون الخسارة خسارتين!، فخسارتك من تحب تدمي قلبك، وخسارتك القرب الذي كان تجعلك تندم على بوحك!، وأعتقد أنه لا صداقة بعد اعتراف بالحب، أو أنه -حقيقةً- أمراً مستحيلًا!...

راسم الاعتراف الحب في كل الأناس موحدة تقريبًا، و من مراسمه أن الرجل هو من يبادر بالاعتراف أولًا!، لكن ليست كل المراسم واجبة الحدوث، فربما يحدث العكس وتعترف المرأة، و اعتراف الرجل ليس كاعتراف المرأة، غالبًا لا يتشابهان في الشكل الذي يقدم به، ولا الدوافع التي أدت إلى الاعتراف قد تكون واحدة، بغض النظر عن أن الحب هو الدافع الرئيس!، فالرجل قد يقدم على الاعتراف ويتراجع عنه لعدة أسباب محدودة، تنحصر في تفكيره في الرفض وخسرانه من يحب، وعن رد فعلها تجاهه عندما يخبرها حبه، فبعض الفتيات أو النساء يكن رد فعلهن عنيفاً بعض شيء حين يعترف لها شخص بحبه!، قد يصل ببعض الأحايين إلى التوبيخ وتشنيع التصرف!، وقد تصفه بأنه أساء النظرة إليها!، ويكأنه أخبرها بأنه يريد إقامة ليلة حمراء معها!، إن ذلك النوع من الفتيات أو النساء يمتلكن من الحماقة والقبح ما لم يمتلكه شخص آخر، فأي جرم قد

ارتكب حين أخبرها بأنه يحمل لها أجمل وأرق و أعظم شعور قد يحمله إنسان لآخر؟، ورغم ذلك الرد العنيف من أولئك الحمقاوات فهن لا يترددن لحظة في الافتخار بأن فلاناً وَقَعْ على وثيقة حُسنها وجمالها، وقال لها: أحبك!، أنا لا أقول بأنه من الواجب أن نرد على كل من قال لنا: أحبك بكلمة وأنا أيضاً!، لكن علينا أن نتعلم الإنسانية ورقة القلب، وأن نتعلم كيف لا تهان المشاعر فنحن لسنا في ساحة حرب؟!...

المرأة حين تريد الاعتراف بحبها تكون أكثر حيرة وتوتراً، لأنه قد جرت العادة على أن الرجل هو من يُقْدم على الاعتراف، فتكون بين حيرة انكسار قلبها إن رُفضت، وهزيمة ذاتها الأنثوية لأنها من بدأت بالاعتراف!، وإذا قلت آنفا أن الرجل يقدم على الاعتراف ويتراجع عنه لعدة أسباب محدودة ومحصورة، فإن المرأة تقدم على الاعتراف وتتراجع عنه لعدة أسباب قد تبدو أنها محدودة ومحصورة أيضاً، لكنها في الحقيقة ليست كذلك، لأن الذات الأنثوية لديها غير محدودة، وتمثل لها الكثير بكل جوانبها وعالمها الخاص!، لسنا الآن بصدد الحديث عن ذات المرأة الأنثوية، لكن يكفي أن أخبرك بأنها ذات دائمة المقارنة والسؤال!، لذلك تكون أكثر حيرة وتشتتاً لحظة الاعتراف لوجود أبعاد كثيرة في حساباتها!، إضافة إلى أنها أكثر خجلاً وحياءً من الرجل، لذا حين يعصف الحب بقلبها يزيل جزءًا من الحياء ثم يقتل الخجل!، وتقدم على الاعتراف وهي لا تخاف سوى الرفض، لأنه ليس من طبيعة الرجل قسوة رد الفعل تجاه من يحبه، أو تعنيفه كما تفعل بعض النساء!، فالرجل غالبًا ما ينظر إليها كإنسانة جميلة، عفوية ومحبة!، فلا يصدر فعلًا إلا وفيه صنعة من اللطف حتى لا تتأذى!....

هناك نوعًا من العلاقات يظهر غريبًا في حدوثه ممن يكون بينهم تعامل وود قائم، إذ أن كل جوانب الحب قد تظهر من الطرفين دون أن يعترف أحد منهما بالحب للآخر، وتسير الأمور بما يمهد الطريق لاعتراف كل منهما، لكن تسير الأيام معهما فلا يعترفا ولا يفترقا!، وتلك العلاقة رأيت منها الكثير، لكنها كانت تظهر دائمًا علاقات مبالغ أو غير سوية في تفاصيلها، لأنها غالباً ما يكون الحب فيها لم يقطن القلب، والفعل بعض الشيء مصطنعاً، أو أنه حب عقلي لم يمس القلب مساً يجعله يشتاق لنطق كلمة أحبك!، أو أنه هناك مصلحة لكل منهم في وجود العلاقة دون الاعتراف!، أو أن هناك مقارنة تجري من أحدهم وربما الاثنين معاً!، فهو مثلاً سيقول: أحبك، لكنه لن ينطق بها إلا حين تأكده من عدم حصوله على الأخرى التي كان يفضلها عن تلك التي يتعامل معها!، ويظهر لها الحب شكلاً حتى لا يفقدها، وقد تكون هي الأخرى تفعل الأمر ذاته!، وغالباً تلك المقارنة هي السبب الأكبر لذلك النوع الغريب من الحب الظاهري والعلاقات!، لكني لا أتردد لحظة بأن أصفه بحب فاشل!، لأن الحب الذي يقوم على الاستحسان والغاية لا يمكنه الدوام!...

الاعتراف الطارئ.... في بعض الأحايين والمواقف نضطر إلى الاعتراف بالحب!، وفي بعض الأحيان يُفرض علينا الاعتراف!، فحين يلوح في الافق من يهدد حبنا كشخص آخر يظهر في حياة من نحب!، أو سفر ضروري أو غير ضروري!، أو بعاد طارئ!، نضطر إلى الاعتراف حتى لا نخسرهم، اعتقاداً منا بأن ذلك سيرجع الأمور إلى مجرياتها الطبيعية!، وكذلك يفرض علينا الاعتراف دون وعي كافٍ أو إدراك كليٍ منا في لحظات معينة،

وأغلب تلك اللحظات تكون لحظة الغيرة!، فالغيرة أكثر الدوافع الغير واعية للاعتراف، لكنها تظل اللحظات الأجمل بين كل لحظات الاعتراف بالحب!...

صديقي، نحن بالحب موتى وأحياء!، ومرضى وأصحاء!، لكن قبل حبهم لنا يغلب علينا الموت والمرض، فعندما نذهب إليهم لنخبرهم بحبنا نكون مثل من يذهب إلى الطبيب يشكو له حاله، فما من الطبيب إلا أن يعطيه شيئاً من الدواء، فليس الذهاب فقط للإخبار بالمرض أو الشكوى!، وإنما كذلك لوصف الدواء و إتمام الشفاء!، فما بالك أن يعطيك الطبيب شيئاً من السم فينهي عليك!، أو لا يعطيك شيئًا فيبقيك على ألمك!، كذلك هم، يقولون أحبك فتشفي، أو لا يجيبونك فتبقى على ألمك!، أو يرفضونك فتموت قهراً!، كلمة واحدة تصنع بنا الكثير، وراءها تسكن آلاف الأحلام والأمنيات، فإما أن تُشرد وتُهجر من مسكنها، أو تبقى فيه فتزينه وتصير واقعاً يتحقق!، إن لنا في الاعتراف أمل إن يمت تقف بهجة الحياة فترة حداداً عليه!، أعلم تمامًا أن الحياة لا تقف على وجود أحد، لكن ربما يكون سيرها بوجود أحدهم أفضل!...

لتعلم أن النكران في الحب شديد على النفس، وأن لوم النفس نتيجة تخاذلها وكتمان حبها أكثر شدة وألماً، لكن عليك ألا تكون مثلما أنا أبداً!، عليك أن تخبر حبك من أحببت، فتعيش منتصرًا وسعيداً بقربه، أو مت شهيداً!، نعم "مت كما شاء الغرام شهيدا"، الحب ليس للجبناء!، عليك ألا تخشى أي شيئ بقدر ما تخشى أن يأتي الرحيل فجأة، ولم تُعلم من تحب كم

تحبه، لا تسمح أن يكون الصمت سيد الكلام!، ولا الرحيل واقع الأمر!، واعلم خليلي:-

خليلي إن الحب فيه لذاذة.... وفيه شقاء دائم وكروب

على ذاك ما عيش يطيب بغيره.... ولا عيش إلا بالحبيب يطيب

ولا خير في الدنيا بغير صبابة.... ولا في نعيم ليس فيه حبيب

لا تكن كما أنا، ولا كمن قال فيهم الشاعر :-

تجنبتُ إتيان الحبيب تأثمًا... ألا إن هجران الحبيب هو الأثم

فذق هجرها إن كنت تزعم أنه... رشاد ألا يا ربما كذب الزعم

وأنا الآن قبل أختم رسالتي إليك أود أن أسألك وأسأل الناس سؤالًا، إن أمكن وصول سؤالي إليهم!، حتى لا يقف أحدهم حائلًا بين المرء وحبه!، سواء أن كان مجرد سامعٍ متكلم، أو أنه المحبوب ذاته (إن كان الاعتراف بالحب يعد ذنباً أفلا يكون الحب جريمة؟!، أالله يضع الجريمة في قلوب العباد؟!)...

اللقاء الأول..

صديقي العزيز، كيف حالك؟، أتمنى أن تكون بخير...

أحمل تلك المرة في رسالتي إليك خبراً قد يبدو مهماً، بدون تشويق أو إثارةٍ لتساؤلاتك، إنني لم أقدر منذ أن أخبرتك في رسالتي الفائتة بعدم اعترافي لها بما أحمله تجاهها من مشاعر أن أتحمل مطلب قلبي بالبوح بما يكنّه لها!، في لحظة ما، تساوت عندي كل الحسابات العقلية والخواتيم والنتائج!، أعني أني قلت: سأقوم بإخبارها وليكن ما يكن!، إذ بدر لعقلي بعد أن أجهده التفكير تساؤلاً، أليس أن يشتد الألم _ألم الكسر_ ثم يزول خير من أن يدوم الألم الأقل شدة؟!، ربما اقتنعت بمنطقية ذلك التساؤل؛ لأنه مشجع أكثر على إبانة حبي لها، وقد كان!، استجمعت قواي، ثم تحدثت إليها عبر الرسائل خاصتها، ثم انتظرت لبعض ساعات حتى جاءني الرد، حيث قمت بعمل خطة فاشلة جداً، رغم ظهورها منطقية!، وهي أني سأرسل لها بعض الكلمات قبل أن أنام مباشرة حتى لا أجلس منتظراً الرد على جمر من التساؤلات والأفكار!، ونفذت الخطة كما رسمتها، فأرسلت لها بعض شيء من الكلام، وعيناي تتغمضان من اشتياقهما للنوم، ورغم ذلك لم أنم!، فجاءتني الساعات الأطول في حياتي وأكثرها إرهاقاً!، فمزيج من الأرق والأفكار التي تخص الذات والقلب ليس أمراً بسيطاً، بل مزعجٌ جداً!، وتحديداً إن كنت من النوع الذي يخاف كثيراً على قلبه

بين نفسه وشخصه أمام الناس!، وبعد محايلات لاستجلاب النوم رحت به، لأصحو على رد منها!...

ربما كان ردها مبشراً أو غير ذلك!، لكني اعتبرته دون تردد الخيار الأول!، فكل الطرق تؤدي إلى روما في منطقي حينها حتى وإن كان طريق القاهرة الصحراوي!، ثم بعد عدة رسائل!، تدور حول اللاشيء طلبت منها أشياءً لا تبدو لي مقنعة تماماً لكن لنطل الحديث عليّ ذلك!، لكنها كانت تبدو مقنعةً لديها!، وهو الأهم عندي!، فأنا مجرد متحايل على الكلمات أما هي فالقاضي، لابد أن يكون مقتنعاً حتى يصدر حكماً عادلاً، أو غير عادلاً، هذا لا يهم!، المهم أن يكون الحكم لصالحي!، في الحقيقة أنا لست هنا لأهتم بأمر العدالة!، ففي تلك الحالات الرحمة فوق القانون!...

بعد عدت أيام أصبح الأمر أكثر لطافة وخفة، ومنه تسربت إلى حياتها، لن أقولك لك أنه حدث ببراعة مطلقة مني، وإنما بمساعدة قَبولها أيضًا!، ومن ثم انخرطنا في أمور كثيرة افهمتني أني في الطريق الصحيح، وأعتقد أني لست غبياً بالقدر الذي يعوقني قراءة المسار!، لن أحكي لك كل التفاصيل حتى لا أطيل الرسالة، لكني في وقت قصير تمكنت من قلبها وعقلها، وكان الأمر جلياً لي كوضوح النهار، لكنني أيضاً كنت متردداً دائماً في أن أخبرها بأني أحبها، وفي ليلة ما بلغت العاطفة بيننا أشدها، وأوحيت لها ببعض كلمات تفهمها ضمناً أنها الأهم والأقرب إلى قلبي، أنت تعرف أني لست الشخص الواضح بشكل كبير في تلك الأمور، لأني لازلت لا أرضى لنفسي موقفاً لا أحسد عليه منها!، فكنت مراوغاً جيداً في بعض الكلمات، وفي كلمات أخرى كانت تطغى على مشاعري فاكون أكثر وضوحاً!، لكن سرعان ما

أتراجع وأشرح ما قلته شرحاً يقتل المعنى!، فتفهم هي الكلام بالمعنى الذي شرحته، وليس الذي كتبته!، لكنها كانت متحمسة جداً للكلام بيننا في ذلك الأمر، حتى أنها راحت بعد ذلك تقلب الحديث عن كل الأمور بما يخدم الكلام عن العاطفة!، وهو ما دعاني إلى التحدث إليها بصراحة أكثر، فأصبحت أكتب الكلام ولا أشرحه لتفهمه هي على محمله الحقيقي، حتى تأكدت أني أحمل لها شعورًا من نوع خاص _الحب_ لا يقبل نوع آخر من المشاعر، وفي لحظة ما اجتاحتها المشاعر، خانتها اصابعها بينما كان تكتب بقيادة قلبها، وكتبت فقالت: أحبك!!!، لحظة!!!، قلتُ: أحبك؟!!!، قالت: نعم، ولكن لم أكن أقص...، فقلت: فلتذهب لكن وما بعدها إلى الجحيم!، قلت أحبك!،!، قالت: نعم!، قالتها بصيغة يغلب عليها الحزن!، فأسرعت بردٍ فيه شيء من الدعابة حتى لا يطول حزنها ثوان أخر!، فقلت: أنا آسف جدًا لأني لم أبادرك، أعترف أنك كنتِ الأشجع، والأجمل أيضاً، فالبادئ بالحب أجمل، ولكن أعتقد أن مبادرتك لا تفيد بالضرورة أنك الأكثر حباً وامتلاءً به!، لذلك أنا أرجح أن قلبي مليء بالحب لك أكثر!.....

عدة رسائل أخر تبادلت فيها القلوب حديثها، إن قلبي لكان يفرح لكل رسالة منها كأنما هي الأولى، كأنها تقول لي أحبك لأول مرة في كل رسالة وكل حرف!، لكنه كان عندي حديثٌ لا يشفي!، ينقصه من العيون النظرات، ومن الصوت النبرات، ومن القرب الهمسات!، ولأنا لا نملك شيئاً حينها سوى هواتفنا، طلبت منها سماع صوتها فأجابت، ارتبكتُ بعض شيء حين سمعت صوتها وتلعثم لساني!، لكني تخطيت الأمر

سريعاً!، وأخذنا الحديث الذي مر على قلبي مباشرة دون أن أعي ما تقوله تماماً إلا الشاعري منه!، فأنا لا أدقق فيما يقال، وإنما فقط أستمع!، لأن هدفي ليس الكلام وإنما الصوت!، وليس كل الصوت يطربني، لكن ذلك الصوت يرقص قلبي!، وأخذت الرقصات قلبي حتى الصباح، فاتفقنا على اللقاء، ثم انتهينا!...

بعد أن انتهيت من الحديث معها لم أفكر في أي شيء مضى، لم أعد أفكر إلا فيما حدث تلك الليلة!، حقيقةً حلاوة الوصول أنستني عناء السفر!، وجواب القضاء، أنساني عِناد القدر!، لكم أدركت أن كل ذلك الحزن الذي تمكن من قلبي، و كل ذلك العناء، الألم، الوجد والسهر لم يساوي قليلاً من حلاوة وصولي إلى قلبها!، أتعلم يا صديقي؟!، عندما قالت لي: أحبك، أحسست بأن الكون كله أصابه أمر جَلل!، وليس قلبي وحده، ربما "توقفت الأزمان، كفت الأرض عن الدوران" أو أني ولدت من جديد!، أحسست أن كل الكون تداعى لفرحي بقولها، حينها لم أكن لأطلب أي شيء غير أن يكون ما قالته حقيقةً!، وأني لست بأحد أحلام يقظتي أو رؤي منامي!، خذوا كل شيء، فقط اتركوا لي كلمة (أحبك) شريطة أن تكون منها!...

أعلم أني أطلت عليك في الحديث عنا، استميحك عذرًا في ذلك!، لكن، دعنا الآن نتناقش سوياً حول اللقاء الأول وما يُبني عليه!، ولمْ البدايات أكثر جمالاً؟!، لمْ يتفق الجميع على أن البدايات أجمل؟!، أو أن لمْ كل شيء في بدايته جميل؟!، أليس أمراً يدعو للتفكير والتأمل؟!...

اللقاء الأول.... حين اتفقنا على اللقاء، كان يلوح أمام عيني وفي خيالي تصورات وخيالات لذلك اللقاء، لكني كنت أكف عن التخيل عمداً، حتى لا أقارن بين ما تخيلت وما سيجري، فأنا لا أحب أن يظلم الواقع بشطحات الخيال!، لكن في العموم ربما يصح في نظري أن يجري اللقاء على نحو الخفة والبساطة و الحقيقة في كل شيء، وليس على المبالغة والكذب واستعراض نقاط القوة فقط!، وأقصد بنقاط القوة كل ما يدعم ثقة الطرف الآخر بك أو يبرز محاسنك، في حين تتغافل عن أشياء لابد أنها ستظهر بعد ذلك!، لأنها جزءاً منك!، إذ نكتشف بعد فترة أنه كان يستحسن أن لو قيل شيئاً عنها!، بما أنها جزءً منا لابد أن يظهر!، فربما كل شيء بنا يفضل أن لو يقال، لكن علينا أن نختار الكلمات المناسبة ونحن نتكلم عما لا يدعم موقفنا أو ثقة من نحب بنا!، بمعنى أنه لا يفترض مثلاً أن تقول بأن طبيعتك لا تسمح لها بالتعامل مع أحد!، لكن ربما يكون أفضل إن قلت أنني أغار بعض شيء!، وكذلك أي صفة ليست حميدة بك أنت تقر بها، عليك أن تشير إليها وليس التصريح عنها!، وربما كذلك يفضل أن يسير اللقاء على نحو الحديث عنهما فقط!، وليس الحديث عن الناس!، لا يهم الحديث عن أحد بعينه!، ربما في نظري أن التقليل من الآخرين حتى نظهر بشكل أفضل في نظر من نحب لن يضيف لنا غير السلب على العلاقة بعد ذلك!، أعني أن أقول لك : إن كان اللقاء لنا وللحب فليكن لنا وحدنا وللحب وحده!، لا ينبغي أن يلوث لقاء الحب بأي شيء آخر!، حتى لو بالحديث عن الزواج!...

أنا لا أتفائل أبدًا بتلك التي تهمل أنوثتها لتثبت قوة شخصيتها!، وكأنها بساحة قتال!، ولا بذلك الذي يجعل اللقاء كله على النحو الساخر لينفي عن نفسه تهمة التشدد!، وأنه معتنقاً لدين المرح!، أؤكد لك أن الظهور بغير اعتدال يرجح كفة النهاية قبل البدء أصلاً، والظهور بغير الحقيقة يجعلنا أُناساً غير حقيقيين، فنقع في حب الوهم وليس الأشخاص!، فعندما يزول الوهم_ وهو لا محالة زائل_ يزول الحب معه لأنه فقد مِصداقيته!...

أود أن أشير لك بشيء لفت انتباهي، وهو أن اختيار مكان اللقاء الاول يشير إلى طبيعة المختار له!، وتحديداً إن كانت الأنثى!، هي تفاصيل صغيرة قد نتجاهلها، لكنها مؤشرات لأمور أكثر أهمية!، وربما سنتحدث في ذلك لاحقا باستفاضة، لكن أردت أن أستفز عقلك لتفكر بها قبل أن أكتب إليك بما أرى!..

جاء الآن دور الحديث عن التساؤلات المهمة، لمْ البدايات أجمل؟!، لمْ لا يبقى الجمال للنهاية؟!، إليك شيئاً مما أرى في ظل نكراني لما يقال بأن الجديد له بريقه ولمعانه، وما أن يصبح قديماً يفقدها!، في الحقيقة أنا لا أعترف بذلك، لأني لم أقع في حب غطاء إناء من الألومنيوم!...

إن العلاقات الإنسانية تمر بمنحنيات وتغيرات كثيرة، لذا إن تمكنا من معرفة تلك المنحنيات والتغيرات يمكننا حينها المرور بها إلى حيث نريد، وهي منحنيات وتغيرات حتمية في حال أن البقاء هو الهدف!...

البدايات غالبًا ما تحمل منطق التعارف وليس المعرفة!، أو على نحو كسب المعلومة فقط، وليس تحليلها!، لذلك نتجاهل الوقوف على بعض

التفاصيل ومناقشتها، فنقع في حب الظاهر من القول أحياناً!، أو نتغاضى عما يمليه علينا الطرف الآخر بوجه الحقيقة، ونأخذه بوجه اللا مشكلة والاستهانة!، فإذا جد الجد عرض الأمر بحقيقته، وتنقلب اللامشكلة إلى مشكلات، والاستهانة إلى استغاثة!، أنا أؤكد لك أنه أن كان هناك من يستطيعون التحليل فحتماً سيظهر أمامهم مستقبل العلاقة!، فقط من تحليل بعض تفاصيل الكلام!، وإن كان ذلك الظهور ليس ظهوراً كامل الملامح فإنه سيساعد حتماً في بناء مستقبل العلاقة بشكل أوضح وأقوى!، لكن المشكلة تكمن في أننا في أغلب الأوقات ننشغل في التعرف ونتغاضى عن المعرفة!...

اليقين بصدق و جمال و فضيلة من نحب في بداية العلاقة تجعلنا سعداء بتلك الصفات!، والتي نسندها نحن إليهم وإن لم تكن موجودة فيهم من الأساس!، و ربما بتغير المواقف والظروف يتغير ذلك اليقين إلى شك!، ومن الشك إلى اليقين بالعكس!، ونكون نحن من أسندنا الصفات إليهم ونحن المستاءون من عدم وجودها بهم!، والحقيقة أن العوار يكمن فيما رسمناها في مخيلاتنا وليس بهم!، وبرغم أننا من أسندناها إليهم نتساءل أين هي؟!!، فنكون بذلك جنينا على أنفسنا وعليهم!، لذلك، عدم وضع صفات لأحد والتعامل معه على أنه مجرد إنسان يتيح لنا أن نحب صفاتهم الحقيقية، و عدم إلصاق الصدق المطلق بهم يتيح لهم التعبير عن كل مكنوناتهم دون مراوغة أو تزوير أو تجميل!، وعدم إسناد الجمال المطلق إليهم يجعلهم يمارسون حياتهم معنا كبشر بشكل أكثر واقعيةً وصدقاً، لأن البشر لا يمكنهم أن يظهروا في كل حياتهم بمطلق الجمال أو القبح!،

وعدم الاعتقاد بكمال الفضيلة فيمن نحب يتيح لهم حقهم في الخطأ_ وهو حق_ ويتيح لنا جمال ممارسة المغفرة والسماح!، لذلك السعادة المبنية على إسناد الصفات لا تدوم، لأنها مثلاً كإنسانة ليست آلة لتطبيق نموذجك الخيالي ولا هي إحدى فتيات مدينتك الفاضلة!، فعندما تكتشف أن الصفات التي رسمتها ليست موجودة لا تقل بأنها تغيرت!، وأنه لا شيء يبقى كما هو!، ثم في النهاية تقول أن البدايات فقط هي الأجمل!..

إن صعوبة البداية قد تزيد من جمالها، ويكأن الجمال قد يبدو مكافأة للصبر على الصعاب!، فما أن يصبح الجمال وليد الصعوبة بداخلنا دون دراية فإنه يحيل الجمال إلى نهايته دون دراية أيضاً، نتيجة سهولة الأمر فيما بعد!، وكأننا نفقد الجمال لاقترابه أكثر!، أو سهولة الحصول عليه!، فعلينا أن نحاول ألا نخلط بين الأمور، الشعور، المسببات والنتائج!، وأن يكون الجمال متفرداً لا مسبب له إلا وجود من نحب في حياتنا، حتى لا يروح ضحية شيء آخر، أو يزول بزواله!...

إن جمال بدايات الحب قد تتجلى في قدر ما تضيفه تلك البداية إلى حياتنا!، وإلى قدر ما تسده من خانات الاحتياج!، فالاحتياج إن وجد والجمال أن يكون يتناسبا تناسباً طردياً بلا شك!، لكن ربما لأني لم أعد مُحتاجاً ظاهرياً، لم أعد أرى ذلك الجمال الذي كان في البداية!، وهنا كذلك خلط بين عدم احتياجنا ظاهرياً وبين أننا لم نعد نحتاج من الأساس إلى المسبب!، والدليل أن ليس كل من لم يعد يرى جمال البداية يستطيع أن يفقد من يحبه!، لأن هناك احتياجاً داخليًا لوجود من نحب قد يختلط علينا عدم ظهوره من عدم وجوده!...

ربما أيضًا تجلى ذلك الإحساس بالجمال والسعادة بأنه لم يعتلِه خصام بعد!، أو تسلط غير مبرر!، أو خصام غير عادل!، ليس بها تلك الندبات التي تطبع في القلب أو النفس بعد فترة من العلاقة، نتيجة مرورها بمواقف عدة!، ربما يكمن جمالها بأنها ليس بها شوائب ولا ذكريات مؤلمة!، ولا تلك التفاصيل التي تجعلنا قد نعيد النظر في علاقتنا ذاتها!، ربما تكون البدايات سعيدة؛ لأنها تخصص للإسترسال في الحكي عن المشاعر واستعراض الصفات النبيلة وتزيين الصفات السيئة!، ربما تكون جميلة لأن المواقف فيها تاريخ وليس حاضر!، والتاريخ فيها يكون مزوراً بعض شيء!، أو نستطيع أن نقول أن التاريخ هنا يحكيه المحب وهو دائماً المنتصر لدى الطرف الآخر!، بغض النظر عما أن كان الضحية أو البطل الشجاع!، ربما سعيدة لما بها من فقرات المدح المتوالية!، والتي تكون على نغم سعيد ورقصات روحانية وابتسامات قلبية!، ربما سعيدة لأنها تحكي فقط عما دفعنا لحبهم، أو محاولات بائسة لتبرير الحب الذي وقع!، ربما لتصويرنا بأن الشخص الذي أحببنا هو ما كنا نحلم بلقائه!، كل ذلك جميل ويجعل الأمر يبدو في غاية الجمال، لكن هل ستسير الحياة على ذلك النحو فقط؟!، بالتأكيد لا!، وبالتدقيق البسيط فيما قلته لك آنفاً نتأكد أن المشكلة ليست في البداية أو النهاية!، وإنما في موضوعات البداية وموضوعات النهاية!، فكل الموضوعات في البداية تقريباً ليس بها ما يؤل بنا إلى الحزن أو الغضب!، لذلك إن نجحنا في إدارة المواضيع سننجح في ظهور نتائجها!...

أريد أن أؤكد لك أن التحفظ في البدايات من أسرار جمالها، فنحن غالباً ما نفكر فيما قد يزعج الطرف الآخر في البدايات قبل القول والعمل!، فما أن

تُزال كل الخطوط، ويصبح كل القول مباحاً، ويصبح العمل بما نريد، وليس بالرجوع إلى من نحب حتى وإن كان رجوعاً جزئياً، تذهب العلاقة إلى النهاية أو الغضب والتعاسة!، فإن استطعنا أن نبقى على التحفظ على أقوالنا وأفعالنا لن يكون هناك ما يؤول بنا إلى تعاسة العلاقة أو قبح النهايات!..

العقل!، البدايات غالباً ما يكون القلب وحده يتكلم أو يتحكم، أما بعد فترة يبدأ العقل في الاشتراك بالأمور، والعقل حين يشترك في العلاقة، إما أن يقومها ويبقيها أو ينغصها ويفنيها!، فالعقل لا يعرف تهاون القلب ولا تغاضيه!، لذلك عقلنة الحب والبدايات مهمة لاستمراره، وبما أن الثابت الوحيد في الحياة هو التغيير، إذن، لابد أن يظهر شيئاً من التغيير علي العلاقة!، لذلك المحبُ الفطن ليس ذلك الذي يرفض التغير، لأن التغيير سيحدث رغماً عنه!، وإنما هو ذلك الشخص الذي يحاول عقلنة التغيير ومسايرته!، إن كان ذلك التغيير لا يشكل خللاً في العلاقة ذاتها، وهنا لا ينبغي لنا كعقلاء أن نبرر لأنفسنا بأنهم قد تغيروا!، ولكن علينا السؤال لمَ؟!، وما هي الحدود في التغيير؟!، أهو الحد الطبيعي نتيجة الامتلاك؟!، أم هو الغير طبيعي نتيجة الملالة والسأم؟!، وإذ ما كان التغيير فجائياً أم تراكمياً؟!، كل تلك أسئلة لابد أن تطرح قبل أن نتهم الطرف الآخر بالتغير، أو أن بدايته كانت أجمل!..

إن العجز عن التفكير السليم لحظة جماح المشاعر هو ما يفسد معظم العلاقات، و العلاقة كما يبدو لي تتجه من الشعور والخيال إلى الواقع بالمرور بالمواقف، ومن القلب إلى العقل بالمرور بالأيام!، كنتيجة طبيعية

لتحويلها من مجرد علاقة تقوم على العاطفة فقط_ الحب_ إلى علاقة تقوم على المؤسسة_ الزواج أو الاستمرار _ وهو ما لا يقبل منطق الحب وحده!، لذلك إن لم تتغير طريقة إدارة العلاقة من حين لآخر باتفاق بين الطرفين حتما ستفشل!....

البدايات قد تقوم على أكذوبة الأنهار!، والحقيقة أن الحب لا يعترف بالانبهار مطلقاً، هو لا يعترف إلا بالبساطة والحقيقة أو التجمل البسيط، وعلينا أن نعي أصلًا أن وجود العمق في البساطة!، لذلك كلما ازداد تعقيد الشيء الغير معقد دل على سطحيته!، و كلما زاد انبهارنا بشخص ارتفعت معه أسقف طموحاتنا وآمالنا فيه وفي معاملته وحبه ووده!، ويصبح الشخص المُنبَهر به مطالباً بما في رأس الطرف الآخر وليس بما يستطيع فعله!، أو ما هو واقعي!، فيحيل الانبهار العلاقة إلى نهايتها دون تقصير حقيقي أو خطأ فادح!، فنحن عندما ننبهر بشخص علينا ألا نقع في حبه أو نوقعه في حبنا!، حتى لا نظلمه ونظلم أنفسنا، أو نتعامل معه على أنه مجرد إنسان نبحه!، وقمة العدل والإحسان إن تعتبرني مجرد إنسان!...

لا أحد ينكر أن للبداية حماستها!، كحماستنا للسهر والاهتمام والسؤال والتفاصيل أحياناً، لكن ثمت فرق كبير بين الحماس والاندفاع!، فالأخير ليس عقلانياً!، فربما نحتاج إلى عقلنة المشاعر في بدايتها حتى نستطيع أن نُكمل!، الأمر أشبه بسباق الجري كثيراً، فإذا استنفذت كل طاقتك في قطع المترات الأول فإنك ستفشل حتماً في إكمال السباق!، وحينها سأتهمك بأنك لم تعد تقدر على الجري كما عرفتك في البداية!، أعني أن أقول لك أنك لم تعد جميلاً كجمال البداية!..

إن جمال البدايات متجدد في معظم العلاقات، لكننا لا نأخذه على هذا المحمل إطلاقًا!، وأنا أتعجب لم؟!، دعني قبل أن أخبرك كيف يتجدد في نظري؟ أعطيك تشبيهًا قد يسهل فهم ما أعني أن أقوله، لعلك جلست في البيت أياماً كثيرة ثم خرجت ليلاً، فرأيت القمر نوره كاملاً، فتسير الأيام بعد ذلك نحو التمام_ لأن الأيام لا ترجع إلى الوراء_ والقمر ونوره نحو النقصان، ثم تسير الأيام إلى التمام أيضًا، ويسير القمر ونوره إلى الكمال!، تلك الدورة الطبيعية للقمر ونوره بمرور الأيام، ودورة الحب تماماً مثله!، إذ ما شبهنا الحب بالقمر والسعادة بالنور والظلام بالخصام والهجر!، قمة الجمال والسعادة في بدايتها ثم نقصانها!، ثم أزمة وخصام!، ثم وصال جديد يصل فيه الجمال إلى قمته!، قد لا تحس جمال تلك القمة مثلما كانت في بدايتها فقط لأن الحب هنا أصبح له ذاكره!، لكن ربما يجب علينا في بعض الأحايين أن ننحيها جانباً ونستمتع!...

الهدف... إن الحفاظ على الحب أصعب بكثير من الحصول عليه!، ولكي يظل الحب ينبغي أن نبذل مجهوداً أكبر!، ولابد أن ندرك أن هدفنا هو البقاء، وإن البداية إن كانت جميلة أو بمنتهى الجمال لا تعد وصولاً، وإلا ما أسميناها بداية من الأساس!، وأثناء عملنا على الهدف يمكننا الاستمتاع بكل ما في الحياة وكذلك مواجهتها!، علينا أن نعلم أن المشكلة لا تكمن في خروجنا من جمال البدايات، بل دخولنا في قبح النهايات بتفكيرنا العاجز!، خروجنا من نعيم الأنس إلى جحيم الوحدة!، ومن جمال الحاضر إلى آلام الذكريات!، من الحب إلى اللاحب!، أليست فكرة بشعة؟!!..

صديقي... حين ندرك أن الحب فلسفة، وإن البقاء فن، ستتعلم كيف نفكر بالحب؟، وكيف نجيد فن البقاء!، وحين نجيد فن البقاء سنعلم أنه يقوم على المرونة لا التصلب!، وعلى المتغيرات لا الثوابت!، وعلى المناقشة لا الاحتكار!، وعلى النسبي لا المطلق!، سنعلم أن البدايات التي تُبنى على الكذب عمرها قصير!، وأن البدايات التي تُبنى على الحقيقة المطلقة قد تنتهي قبل أن تبدأ للأسف!، سنعلم أننا ربما نحتاج نوعاً من التجمل لا الكذب!، ربما ستعلم أنت أنه ينبغي عليك أن تكون واضحاً أمامي، حتى أستطيع أن أتخذ القرار بشأنك!!..

الغيرة....

مساء الخير عزيزي..

اليوم بينما كنت أجلس مع حبيبتي في المكتبة حدث شيء ما، لا أعتبره وأنا أحكي لك الآن أمراً جَلل، ولكن حينها بدا لي عظيماً!، وهو ما جعل الغيرة تشتعل داخلي عليها، لقد انتابتني بغض النظر عن إذ ما كان الأمر يستدعي أم لا!، لكنني تداركتها سريعاً إثر كلمة لطف منها!..

أتساءل الآن، كيف حدث ذلك؟!، عليك أولًا أن تعلم تماماً أني سعيد جداً بغيرتي عليها!، لكنّي فقط أتساءل باندهاش!، كيف جعلني الحب هكذا؟!، فأنا كما تراني دائماً شخصٌ ثابت إلى حد كبير!، لا شيء قادر على إدهاشي سوى (الجمال)، لا شيء قادر على إثارة غضبي!، ليس الهين ما يجعلني أخاف!، ولا البسيط يجعلني أحزن!، فلم الآن أغار من شيء أراه وأنا أكتب إليك الآن عادياً؟!، لذا، وأنا هادئ الآن سأكتب لك

شيئاً عن الغيرة قبل أن أغار عليها مرة أخرى، أو بكلمات أدق مرات أُخر!..

لن أكتب لك حول الغيرة من حيث التاريخ وتطورها في الجنس البشري (علم النفس التطوري)، في ضوء ما يقال بأن الغيرة ميراث تطوري من الصراعات بين الحيوانات الذكور لكسب الأنثى!، أنا لا أنكره!، ولكن، كيف يدلنا ذلك على تطور مفهوم الغيرة عند المرأة؟!، على ماذا تنافست؟!، اشتراك الانسان مع الحيوانات في الكثير لا ينفي إضافة الروح على عاطفته!، و في العاطفة لا تتجه به الغيرة نحو السلوك الحيواني، فالحيوان يغار ويثور من أجل الجنس والتكاثر!، اما الإنسان يثور من أجل البقاء، ولا أقصد البقاء على قيد الحياة، وإنما البقاء سوياً!، لذلك، أرجح أن نناقش الغيرة على ما نملكه نحن الآن من معرفة نفسية عنها!، حتى نستطيع أن نعيش بها دون أن نتعرض لخسائر الجانب المظلم منها...

بدايةً، الغيرة في نظري أعقد ما في الحب، بل من الممكن أن يكون الحب معقداً بسببها!، لكن، إن أردت أن أطلق عليها تعريفًا_ مع تحفظي على إطلاق التعريفات_ فأقول: الغيرة هي الجهاز المناعي لدي الحب!، لذلك الغيرة السوية هي مجرد حمى تضرب الجسد قليلاً ثم تزول!، أما تلك الغيرة الغير سوية_ المرضية_ فإنها كما السرطان في الجسد لا تتركه حتى تفنيه وتقضي عليه!، وربما كذلك هي الخوف من الفقد!، كفقد المكانة أو النظرة، فقد الاهتمام والحماس!، أو الشخص أحياناً!، أو بمعنى آخر هي الطفح الطبيعي لفوران بركان المشاعر!...

قبل أن أكتب إليك بعموم الكلام عن الغيرة، دعني أدر لك شيئًا مما أرى في غيرة الرجل وغيرة المرأة، حتى يسهل عليّ بعد ذلك إيضاح ما أعني قوله، لأن عموم الكلام عن الغيرة يستدعي الوقوف على نقاط الاختلاف بين الرجل والمرأة في غيرتهما، حتى لا تبدل الأمور وتلتبس الكلمات، ثم تبدل المعاني...

نحن الرجال نغار، بل نغار جداً!، لا أبالغ عندما أقول أنّا نحترق!، لكن غيرة الرجل ليست معقدة كثيراً، فهي إما غيرة تظهر بما يناسب طبيعته العنفوانية في الدفاع، أو صامتة جداً لتناسب مقامه وهيبته!، لكن مناسبة المقام لا تلغي عنفوانيته تجاه قلبه!، والمتأمل لعين الرجل الغيور لحظة غيرته سيجدها ما هي إلا نافذة لبركان ثائر بداخله!، و أعجب ما بالرجل حين غيرته أنه عنيف الثورة شديد القرارات و حليم الفعل!، أعني أن أقول لك أنه لا يطبق غالباً كل قرارات ثورته!، ولذلك العنف الذي يعرفه الرجل عن نفسه، وهي طبيعته_ بحكم تكوينه الجسدي_ يفضل غالباً أن يكون بعيداً عمن يثور بسببها_ شريكته_ أثناء ثورته!، لأنه لا يحب أن يقع عليها شيئاً من ذلك العنف!، وإنما يعبر به فقط عن ضيقه وغضبه!، فالعنف في غيرة الرجل السوي للتعبير وليست للاستخدام!، وإن كان قريباً منها وممسكاً بها مثلاً، فإنه يختزل عنفوانه في شد عضله والضغط على أسنانه أحياناً!، ليبدد قوة الضغط عليها!، كل ذلك قد يحدث دون دراية منه، وأعتقد أن كل الرجال الذين لا يعانون من الغيرة المرضية تميل لفعل ذلك!، ولأن الرجل فقط يختزل العنف في نفسه ويعبر به من بعيد أو من قريب بلطف عن غضبه وثورته، يبرهن على أن الاعتداء ليس من الغيرة!،

وإنما نتيجة دوافع أخرى ترجع إلى شخصيته وحالته النفسية!، لذا الغيور الطبيعي يمكن احتواءه من المرأة بكل يسر!...

نحن كرجال قد تضربنا الغيرة بقوة بين الحين والحين، وتلك الضربة علاجها غالباً ما تكون الطمأنينة!، نحن فقط نحتاج أن نطمئن!، فعندما تغار مثلاً على حبيبتك من أن أحداً يراها جميلة، فأنت لا تريد قتل كل الرجال!، أو حجبها عن الجميع كي لا أحد يراها جميلة!، وإنما تريد أن تطمئن أنها لا ترى نفسها جميلة إلا في عينك!، لذا أن استطاعت المرأة أن تقف على جوهر مراد الرجل سيكون معالجتها للأمر أسهل!، واعتزاز المرأة بحبها للرجل ومدحها الدائم له، وتذكيره بأنه سيد قلبها، يجعله يتخطى لحظات الغيرة بشكل أسرع!، لأنه لن يكون هناك مجال للشك في لحظات الغيرة أو بعدها!، فأكثر ما يبعث بالشك في عقل الرجل هو عدم اطمئنان قلبه!، وهنا لابد أن نقر بأن المرأة الفضالة المترفعة تبعث الطمأنينة في قلب الرجل!، فبديلًا عن انشغاله بما تفعل، ينشغل بكيفية حبها!، وكيف يمكنه سعادتها؟!، أما تلك الغير فاضلة فبديلاً عن سعيه وراء سعادتها يسعى وراء شكوكه ليصل إلى اليقين من حيث النفي والإثبات!، فعلي المرأة أن تكون فاضلة ومترفعة حتى تثير قلب الرجل وغيرته، بديلاً عن عقله وشكوكه!، وإلا، لا تسأل حينها عن سوء التصرف!..

إن غيرة الرجل السوي_لا يعاني غيرة مرضية_ تتضمن غيرته تلك الغيرة التي يغار فيها على من يحبها من كلماتها!، فإن تنطق بقبح من الكلام فإنه يغار على أخلاقها من لسانها!، أو تشتعل النار في قلبه إن رأى منها ما يهين أنوثتها!، أو يغار مما يفقدها حياءها!، فالرجل لا يغار فقط لأنه يعلم خبث

الرجال!، وإنما يغار من أي شيء يهدد حبه!، أو ما لا يجتمع مع مراده(هي)!، فإن اعتبرت أن الأخلاق والحياء والأنوثة مثلاً شيئاً من مراده فيها، فلابد أن يغار عليها من نقيضها إن ظهر فيها!، وهي أكثر الغيرة دلالة على الحب!، لأنه يريد أن يراها دائماً بنفس العين وذلك الجمال!، وهنا على المرأة ألا تخلط بين الرجعية والتشدد، وبين ما قد يهدد جمال ذاتها في عين من تحب!...

الرجل قد يغار من مدح حبيبته لرجل ما، وقد يكون مثالاً وليس شخصاً من المعارف!، أقصد أن يكون مطرباً أو ممثلاً أو ما شابه، وليست المشكلة في المدح وإنما ما تقارنه شريكته ضمنياً بينه وبين ذلك المثال!، وهو ما قد يتعرض لشخصيته وثقته بنفسه!، وغيرته ليست لأنه يتمنى أن يكون مثله أو أنه عاجز!، أو أن تنتهي محاسن ذلك المثال حتى لا يقارن به!، لكن مشكلة الغيور هنا أن يُقَارَنُ مكنون حبه بظاهر أحد ما!، فيقول في نفسه أنا من يحبها!، إذن كان من الواجب أن يكون ذلك المدح لي!، المشكلة أنه في نفس اللحظة يقارن ما يعطى من حب بما يسند لغيره من مدح!، وهنا قد يبالغ الرجل في اعتقاده بأنها تهينه أو تقلل من قدره ضمنياً!، لأنها قد لايزيد كلامها عن مجرد رأي وليس به من المقارنة أو التفضيل!، أو تزيد المرأة من وقاحتها فتهينه حقيقة!، وهنا على الرجل ألا يأخذ كل الكلام على منحنى التفضيل، وعلى المرأة ألا تقارن ولو حتى ضمناً، وإلا تثبت جهلها في اختيار من يسكن قلبها!.....

قد لا تعي الكثير من النساء أن انتقاد الرجل لها ولمظهرها وتصرفاتها، أو رفضه لبعض الأمور، ما هو إلا نوعاً من الغيرة المستترة!، وليس التحكم أو التسلط مطلقاً!، الرجل السوي غالباً ما يُلبس الغيرة رداء أي شيء آخر ليعبر عنها!، كامتناعه عن فعل شيء!، أو رفضه لأطروحة ما!، ومن ثم يبدأ في استرجاع ما كان يغار منه_ اذهبي إلى فلان ليصنع لك_ هكذا يقول!، فالرجل يغلب عليه عدم التصريح بالغيرة إلا إذا كانت عاصفة!، والمراة الذكية(عاطفياً) تنتبه إلى ذلك بمجرد النقد أو الامتناع!، فعند إشارته إلى أن الرداء الذي ترتديه ليس مناسباً رغم موافقته عليه قبل ذلك!، أو أن زينتها مبالغٌ بها رغم رؤيته لها من قبل بمثلها!، أو أن صوتها عال ولا يصح مع أن ذلك أمر معتاد عليه!، تعلم المرأة الذكية حينها أن هناك أمر ما يغضبه!، وهو ما قد يرجع إلى غيرته بسبب أمر ما!، وأقول قد لأن ليس كل الغضب ينتج عن الغيرة!، فتبدأ في ملاطفته ومناقشته!، وتلك الغيرة مع الرجل السوي تنتهي بالمناقشة ثم يليها العطاء!، ورغم أن الأكثر إقناعاً ومنطقية بين الطرفين هو الفائز، إلا أن المرأة غالباً هي الفائزة في كسب المطالب!، بغض النظر عن كونها صاحبة الحق أم غيره!، لأن هدف الرجل حينها ليس الانتصار لقراراته، ولكن ليعلم بين نفسه أنه مرجعها وملجأها الوحيد!، فإن استطاعت ثانية أن تقف المرأة على جوهر مراد الرجل، سيسهل عليها احتوائه!، ولا يجدر بالمرأة أن تأخذ كل شيء على أنه تسلط أو استخدام سلطه!...

عندما يظهر ذلك السلوك الانفعالي(العنفواني) في الغيرة من رجل، فإن المرأة_ السوية_ تمتلك من الذكاء (العاطفي) ما يقدر على تهدئته حقيقة، فهدوء المرأة وإظهار ضعفها أمامه قوة تغلب كل قوته وعنفوانه!، فهو لن يُغلب بإظهارها القوة ولا بالصوت!، وإنما بالسحر!، وسحر المرأة في ضعفها!، ومن ثم محاولة الإيضاح أو الاعتذار له، ثم قليل من الملاطفة، قادرة على جعله يهدأ!، لم تعرف إلى الآن الكثير من النساء أن "الرجال جميعهم أطفال!"، فبمجرد هدوئه يتبدل ما كان عليه من حال إلى حال، وقد يبدأ هو في الاعتذار لها على ما أبداه من انفعال!، ثم يخبرها بأن ما حدث كان نتيجة احتراق قلبه غيرة عليها!، وتبدأ وصلات الحب والمدح والاعتزاز التي يتمنى حينها كل منهم ألا تنتهي!، إذن مشكلة الغيرة لا تتمركز حولها ذاتها فقط، وإنما كذلك ردود الأفعال تجاهها!..

إن غيرة المرأة إن تساوت مع غيرة الرجل، وإن زادت عليها أو نقصت، تبقى أقل حدة على نفسها، ولا أقصد في نفسها!، لأنها تبكي كثيراً بسبب غيرتها، أما الرجل يتآكل داجله وهو صامت!، فتأثير الغيرة على الرجل قد يفوق تأثيرها على المرأة؛ لأنها تجد مُتنفس لثورتها!، لكن ذلك لا ينفي أن المرأة والغيرة يشكلن ثنائية ملتحمة ومعقدة لأقصى الدرجات!، فالرجل يُرجع غيرته الي قلبه فقط!أما المرأة فترجع غيرتها إلى قلبها وذاتها الأنثوية!، التي لا تقبل شريكاً!، ولا مُقدماً عليها!، إذ أن غيرتها قد تتضمن ظنوناً_ لا أعني الشكوك لوجود احتمال يفوق الآخر_ أنها ليست الأولى في نظر من تحب!، أو أنها على الأقل لم تعد الأولى!، أو أن تأثيرها عليه وانجذابه لها بات منقوصاً!، أو أن حبه لها يضمحل ويتلاشى!، أو أنها لم تعد أولى

متطلبات حياته!، لذا في نظري معضلة الغيرة عند المرأة تكمن في أنها غيرة كثيرة التساؤلات والترجيحات وعقداً للمقارنات!، لذلك، يفترض أن يكون الرجل مجيباً لتلك التساؤلات من خلال القول والفعل معاً، لأن الكلام وحده لن يبدد الترجيح الناتج عن الظن!...

إن تعاظم الحب عند المرأة يدفع غيرتها إلى التزايد، فكلما أحبت أكثر تُثار الغيرة في قلبها من أدنى الأشياء وليس أعظمها فحسب!، والمرأة لا تغار فقط؛ لأنها تعرف كيد النساء!، ولكن لأي شيء يهدد حبها في نظرها!، فربما تصل في غيرتها إلى الغيرة من الأشياء وليس من الأشخاص فحسب!، فتغار على من تحب من أي شيء يأخذ من وقته ويحرمها منه! حتى نومه_ كل هذا نوم؟!! _ وراحته!، بل أنها قد تغار من هواياته!، أو من مصادر تسليته!، قد تغار من أي شيء يثير اهتمامه!، أو يستدر حماسه!، أو تتمايل إليه مشاعره!، فالمرأة الغيور تريد كل الوقت لها!، وكل العطف والحنان لها!، تريد أن يكون حبها هوايته!، والاستماع إليها تسليته!، أن تكون هي كل اهتماماته!، إلا شيئًا يستدر حماسه إلا تلك اللحظة التي يلقاها بها!، لابد أن يكون في غاية الحماس!، تلك قوانين غيرة المرأة عظيمة الحب، لكن لابد أن نفرق بين ما المراد والتطبيق، فإذا جئنا بامرأتين واحدة غيرتها سوية والأخرى غير سوية، فستجيب الأولى بأنها تملك تلك الصفات من الغيرة لكنها تؤمن بنسبية التطبيق تباعاً لحرية الطرف الآخر!، وكذلك قدرته على الفعل وإمكانية تطبيق ما تريد!، فهي تفرق بين الحب والغيرة والاحتكار!، أما الغير سوية ستتهمه بالإهمال واللامبالاة والجحود أحياناً!، وهناك امرأة أخرى تشبه صاحبة الغيرة المرضية في مرحلة من

حياتها، وهي حديثة الحب التي لم تنضج مشاعرها!، ولم تفرق بعد بين الأمور، ربما في نظري حديثة الحب تلك لها كثير من الحقوق التي لا تكون لغيرها!، ليس لكونها مريضة ولكن لكونها لا تعي!، فعلى الرجل أن يكون صبوراً معها وأن يفهمها بلطف ما ينبغي أن يكون!، وإلا عرض نفسه لمساءلة عاطفية أمام هيئة قضاء الحب!...

إن الغيرة حقًا تؤلم المرأة، وما يُؤسفُ له أن كثيراً من الرجال بين غير مدرك وغير مقدر لتلك الغيرة!، والنتيجة واحدة!، امرأة تتألم وصخر لا يبالي!، وما قد يزيد الأمر مرارةً أن تخجل المرأة من الاعتراف بالغيرة لمن تحب لفظاً!، لكونه لا يستطيع الملاحظة بنفسه!، وإن كان الاعتراف جلياً في سلوكها!، وهنا يأتي دور الرجل السوي في فهم سلوك غيرة المرأة، والذي يُسَهل عليه من احتوائها، لكن ما قد يزيد من صعوبة فهم ذلك السلوك هو كثرة دوافع الغيرة لديها!، والدافع إلى الغيرة يختلف من امرأة إلى أخرى!، فعلى الرجل أولا أن يقف على دوافع غيرتها حتى يستطيع أن يرسم الطريق الصحيح للحل!، فتلك التي حبيبها فوق كل شيء، وذاته مقدمة على ذاتها، دوافع الغيرة لديها هي الحفاظ على ذاته لها!، وهي لا تحتاج أكثر من أن تطمئن بأنه لها وحدها!، فهي بسيطة ومحبة مخلصة، أما تلك التي تقدم ذاتها (الأنانية) على حبيبها، فداوفع الغيرة عندها الحفاظ على ما يقدم منه، وليس على ذاته!، ولذلك هي تريد أن تطمئن بأنها الأولى في كل شيء إضافة إلى أنه لها وحدها!، وهي شخصية أنانية احتكارية مريضة!، غالباً لا تستقيم الحياة معها!، لذا الوقوف على الدوافع يعزز من فرص الفهم والعلاج والنجاة أيضاً!..

عندما يتحدث الرجل عن امرأة أخرى غير التي يحبها بصورة حسنة أو أنه يمتدح جمالها مثلاً، لا يُفهم ذلك الكلام من المرأة على أنه وجهة نظره في تلك الأخرى!، وإنما تعتبره اعترافاً ضمنياً أنها ليس الأجمل في نظره!، وهنا نؤكد أن غيرة المرأة سريعة المقارنة مليئة بها!، لكن الحد الفاصل بين سوء عواقب غيرتها وحلها بأبسط الأمور هي طبيعة غيرتها، إن كانت غيرة سوية لا تأخذ منحنى الصعود للأسوء في العلاقة أبداً، بل إن قليل من الملاطفة قادر على جعلها أكثر جمالاً من قبل غيرتها!، لكن الغيرة المرضية لا تعرف إلا منحنى تصاعد الأمر إلى الأسوء!، لأنها غيرة عديمة السمع والفهم والاقتناع!، فالسوية والمريضة قد تغار عندما يقص عليها شريكها أي موقف حدث له مع امرأة أخرى!، لكن سرعان ما يتم معالجة الغيرة السوية!، لكن نظيرتها لا تتلاشى غيرتها إلا بخلاف!، وبذلك تخبره ضمنياً في خلافها معه بألا يحكي لها شيئاً آخر!، وبالتالي تزداد الفجوة بينهم ويفَضل الرجل بعدها أن يفصل كثيراً من أمور حياته عنها!، فتكون الغيرة هنا قد حالت العلاقة إلى خرابها رغم أنها نشأت من أجل البقاء...

إن ظهور السلوك الانفعالي في الغيرة من امرأة قد يعرضها لخسارة أكبر من احتراق قلبها لحظة الغيرة!، وذلك لأن كثيرة الرجال لا يمتلكون من الذكاء (العاطفي) ما يكفي لمعالجة الأمور التي تأخذ منحنى الانفعال من شريكته!، ودعنا نعترف!، الرجل الشرقي خصوصاً قد نراه في حالات كثيرةٍ لا يمتلك أي شيء!، وذلك لما تسرب من شخصية الرجل العربي إليه!، وهو ما لا يقبل ذلك السلوك أصلاً_الانفعال من امرأة_ لما قد يهين رجولته!، لأنه يرى أن المرأة بذلك السلوك تكون قد خرجت عن

الحدود!، فيقابل ضيقها بضيق!، وغضبها بغضب!، فيزداد ألمها، ويكون حزنها حزنين!، حزنها على قلبها الذي يحترق، وحزنها على رد فعله وغيرتها التي لم تقدر!، وقد يكون ذلك الرجل يحبها فعلاً!، لكنه يعاني من عدم الفهم الجيد للأمور!، أو من نقص ذكاء عاطفته!، والرجل الذي يمتلك قدراً من الفهم والذكاء لن يصنع المعجزات لتهدئتها، فالمرأة الثائرة بسبب غيرتها لا تحتاج إلا لشخص يستمع إليها عندما تبدأ ثورتها بصمت!، ثم بهدوء يقول: أنا آسف!، لم أكن أعلم أن هذا الأمر يزعجك!، فإن كان الأمر وجوده ضرورياً يتبع قوله بلكن، ثم يبدأ في إيضاح الأمر لها أو إفهامها، وإن كان غير ضرورياً فلابد أن يخبرها بأنه لن يتكرر مرة أخرى!، ثم بقليل من الملاطفة مع شيء من الغزل قادر على أن ينسيها دنياها، ويجعلها طفلة بين يديه!، صدقني أعظم انتصاراتك وأروعها أن تخضع لقانون من تحبها لحظة غيرتها!، مع إنك تمتلك كل أساليب الدفاع وإمكانيات التمرد!، أجمل انتصاراتك ألا يقدر أحد على محاكمتك غيرها!، مع أنها لا تقدر عليك إلا بمرادك!، أجمل الكلمات أن تقول لها أمرك عزيزتي لأنها تريد أن تبقى لك وأنت لها!، إن الأمر ليس صعباً، لكنه يحتاج إلى نوعاً من الفهم والذكاء!، لكن على المرأة الذكية كذلك أن تقلل من انفعالاتها بقدر ما تستطيع حتى لا تستنفذ صبره على ذلك الانفعال، فهو مطالبٌ بالفهم وهي مطالبة بالاعتدال!، ..

أريد أن أشير إليك بشيء مزعج لفت انتباهي في معظم فتيات ونساء جيلنا!، وهو أن بعض النساء يردن الغيرة من الرجل ظاهرياً لكن لا يردن القرار!، قد اتفقنا أن الرجل حين يغار ربما لا يطبق معظم قراراته بعدها، لكن هناك

من الغيرة ما يستدعي القرار حقاً!، والغيرة بدون قرار- وإن لم يسري - فإنها غيرة زائفة لم تشعل القلب!، والعجيب أنهن لا يترددن في إصدار القرار لحظة الغيرة!، وربما تكون قاسيةً وغليظةً على أشياء لا تحسب من الأمور إلا أتفهها!، أعني أن أقول لك: هناك صِنف من النساء يردن الرجل مظهراً فقط، تتباهي بغيرته عليها، لكن لا تحكمها قرارات تلك الغيرة!، وبما أننا في عصر التباهي يصعب أن تأخذ الأمور مجرياتها الصحيحة!...

دعنا الآن نتحدث عن الغيرة بعموم الكلام، لأنه كما يبدو لي أن الطرفين يمكن أن يقعا في نفس الشيء لعمومه، أو نفس الشيء قد يكون بهما!، كالشعور بالنقص نتيجة ماض مجهول!، وهنا لا نستطيع إنكار الماضي وتأثيره!، ولا طريقة التربية ودورها في تحديد معالم الغيرة!، أو أن الغيرة لابد ألا تكون سوية في إنسان(ة) يحتقر نفسه(ا) (الدونية) شعوره(ا) قبل الحب بأنه(ا) لا يستحق الحب أصلًا!، وكذلك النرجسية التي ترى أن القليل منها يساوي الكثير من العالم أجمع!، فتعتقد دائماً أن كل احتياج الطرف الآخر في الحياة هو وجودها في حياته فقط!، والأنانية التي قد تتجاهل مشاعر الطرف الآخر إطلاقاً، وتتجاهل رغباته واحتياجاته!، تريد أن تكون دائماً في المقدمة في كل شيء دون أن تقدم هي أي شيء!، وتكون تلك الشخصية سمتها الأساسية الأخذ دون العطاء!، وأمراض نفسانية كثيرة تؤثر على ظهور الغيرة وطبيعتها!، وكل ذلك قد لا يلام بعض المرضى عليه، لأن إهمال العقل الجمعي العربي للأمراض النفسية واستهزاءه بها هو ما خرب الكثير من العلاقات!، لأنه عقل لا يتساءل عن الأسباب والدوافع!، وإنما يبرر لنفسه فقط دوافعه إلى الهروب!، لا أطالب

كل شخص أن يصبح طبيباً نفسياً، وإنما يتوجب عليه المساعدة والتحمل بقدر ما يستطيع!، وألا يكون الهروب هو أول الخيار لأنه أسهله!...

إن انتقل شعور الغيرة من الغيرة ذاتها إلى حب الامتلاك والسيطرة المطلقة!، أو أنها الدكتاتورية باسم الغيرة و الحب!، فإن ذلك الانتقال يؤول بالعلاقة إلى نهايتها!، لأن الغيرة في الأساس هي إشارة إلى الحبيب كي يتوقف عن فعل شيء ما، أو أنه يتوجب عليه أن يبتعد عما يثير غيرة الطرف الآخر، وليست لتمكين أحدهما على الآخر!، ومن ثم الحكم عليه واحتكاره!، وقد تظهر الغيرة كديكتاتور محبوب!، لكنها لا تعني الديكتاتورية إطلاقاً!، ويظهر الفرق بين الغيرة وحب السيطرة والاستحواذ من طريقة التعبير عنها، ودعني هنا أخص المرأة بالكلام أكثر!، فعندما تثور في غيرتها وتتخذ أسلوب الأمر للأمر لا للعتاب والطلب!، تكون أظهرت ما لا يتناسب مع شخصيتها كأنثى سوية!، وأمر الأنوثة طلبٌ مغلف بالأمر!، وهو_أي الأمر للأمر_غالباً ما ينتج عن الشعور بالنقص!، والذي لا تستطيع تفاديه إلا بإظهار السيطرة الفارغة في الحديث!، فتتعامل مع من تحب على أنه ملك لها على إطلاق صريح اللفظ لا المجاز!، أو أنه عبد لديها وأمرها واجب النفاذ!، وذلك الشعور بالنقص يمنعها من التراجع عن قراراتها إن حاول الطرف الآخر أقنعها!، لأن التراجع في نظرها قد يُحسب ضعفاً، وبالتالي لن تكتمل سيطرتها!، بل إنها قد لا تقبل النقاش أو محاولة الإقناع من الأساس!، وهي غالباً لا تأبه لمشاعر الطرف الآخر فهي تدور في فَلَك مشاعرها و أرائها و أوامرها فقط!، فعلى المرأة أن تفرق بين غيرتها وبين ما قد يتسرب من شخصيتها تحت مظلة الغيرة!...

إن الرجل قد يغار على امرأة لا يحبها لكنها تحبه!، وكذلك قد تغار المرأة على رجل يحبها لكنها لا تحبه!، وهو ما يثبت أن جزءًا ليس بقليل من الغيرة هو حبٌ للذات، وليس للطرف الآخر فقط!، لكن ربما ينقلب السحر على الساحر في الثانية، أقصد امرأة تغار على رجل يحبها، لأن غيرتها قد تقودها للفضول!، وفضول المرأة بوابتها إلى التعلق والحب!، ومن هنا قد نصدق كيف يكون ضرب النساء بالنساء؟!، وكيف يمكن للغيرة أن تنشئ حباً من الأساس!، وكذلك الغيرة أطول عمراً من الحب!، فقد تعيد حباً للحياة مرة أخرى!، فلعلك تفارق إحداهن ثم تشاهد موقفاً يثير غيرتك عليها فينبت الحب في قلبك من جديد!، لذلك هي بلا شك جزء ليس بقليل منها حب للذات!....

صديقي!، نحن نحتاج إلى الغيرة أحيانًا، لأنها تذكرنا بأننا نحب!، بأننا لا نريد إلا أحدهم، وهو كذلك لا يريد سوانا!، لكن إن لم نعِ ما وجدت الغيرة من أجله انقلبت إلى مشكلة!، ومشكلات الغيرة كما يتضح لي كثيرة!، ومنها أن لها عينها الخاصة، والتي لا ترى الأشياء على حجمها الطبيعي!، ولا على حقيقتها الكلية!، بل أنها قد ترى كل شيء وتَعمي فقط عن الحقيقة!، لذلك تنتج عنها مشكلة أخرى وهي ظهورها همجية في تفكيرها وعشوائية في تصرفها!، وذلك لأنها خليط من المشاعر، وليست شعوراً مستقلًا، بل هي مزيج من الغضب والحزن و الخوف معاً!، فيتولد منهم التشتت وعدم المنطقية في النظر والحكم على الأشياء!، لكن مشكلتها الكبرى أنها صادقة المشاعر!، وهو ما يتطلب رد فعل حذر ولطيف تجاهها!، وكذلك إضافة الكثير من المصطلحات الاجتماعية إلى الغيرة

زادت من تعقيدها وصرامتها!، كمفهوم الشرف والنخوة والرجولة والشهامة!، ولا دليل على صحة قولي أكثر من تقبيل رجل غربي لامرأة غربية قد لا يشكل إزعاجًا لشريكها!، وهنا دوافع الغيرة تكون قد تأثرت بالعرف والاجتماع!، لذلك علينا أن ندرك أن للغيرة دوافع تكوينية وعرقية ونفسية وعمرية!، فالغيرة تتأثر بالعمر مثلاً، فما يثور منه الشاب قد لا يحرك في العجوز شعرة!، وما يجعل الغيرة مشكلة أكبر هو الخلط بين الشك والغيرة!، بل بين الشك والفضول أحياناً، فالفضول القليل منه غيرة، والكثير منه شك!، وكذلك الخلط بين حب الحفاظ على الطرف الآخر ومفهوم الكرامة!، لذا علينا أن نقف على مراد المفاهيم، وألا نخلط بينها حتى تتضح معالم الغيرة السوية، ثم جني ثمارها في الحفاظ على الحب!، وإلا ظهرت نظيرتها_المرضية_ وقضت عليه!...

كلمة لك أنت.... تفهم ما الغيرة؟ ثم استمتع بها!، فإن أولها عذاب وآخرها عذاب!...

حلو الكلام (الغزل)..

عمت مساءً عزيزي!، لم أكتب لك منذ شهر تقريبًا، لقد حدث فيه الكثير، لكنني سأكتب لك عن شيء واحد اليوم، لأن ورقاتي لن تكفي لسرد كل ما حدث!..

في صباح اليوم و بينما كنت ذاهب لملاقاتها في إحدى الأماكن، قابلتني إحداهن فَسَلَمَتْ عليّ أمامها، وهو ما أثار غيرتها كثيراً، رأيت ذلك في عينيها من بعيد قبل أن أجلس، لكنني تصنعت عدم إعارتي الأمر اهتماماً!، وعندما جلست أمامها أدارت وجهها عني!، فتبسمتُ لِما فعلت، ودار بيننا حوار:

أنا: لمَ أدار القمر وجهه عني؟!.

هي: لا شيء!.

أنا: لابد أن هناك شيئًا!.

هي: لأن وجهك قبيح!.

أنا ضاحكاً: أنا وجهي قبيح؟!..

هي: نعم قبيح!، ألم يكن عندك مرآة ترى بها وجهك قبل أن تأتي؟!..

فضحكت أكثر لطريقة كلامها وملامح وجهها، ثم عم الصمت لحظة، و قلت: بل عندي مرآة كبيرة مولاتي!، لكني مذ أحببتك وأنا أكره مرآتي!، أكره أن أراني بعيني!، لأني أراني بعينيك أجمل!..

فنظرت إليّ بصمت، ثم قالت: أنت أحلى الناس في نظري!..

أنا : جل من سواك يا قمري!،

ضحكت!، ثم فجأة قالت: لا تكمل الغنوة لتهرب!، أخبرني من تلك التي سَلمتَ عليها؟!.

أنا : مهلاً!، هي من سَلمَت عليّ!.

قالت : هذا لا يُعني شيئاً، المهم أن كل منكما سلما على الآخر!..

أنزلت وجهي لأني لا أريدها أن تراني وأنا أضحك على طريقة كلامها وتعابير وجهها!، وإذا بها فجأة تقول: أرأيت، أنت لا تستطيع النظر في عيني لأنك مخطئ.

أنا: لا، لم أخطئ أبداً، لكني لا أقدر على النظر في عينك!..

هي: لم؟!..

أنا: لأني مصاب بدوار البحر!.

عم الصمت لحظات، ثم اتبعت الحديث...

أتعرفين نيوتن؟!.

هي باستغراب : نعم أعرفه!..

أنا: بعثت له برسالة أقول فيها: عذراً نيوتن!، الجاذبيةُ في عيونِ حبيبتي، وليست في أرضٍ يابسةٍ!، فإن ذهَبت ومعها عيونها، فأعلم أن قوانين الكونِ ستنهار حتماً!، وكل شيءٍ سيتطاير بأحلامهِ إلى الفضاءِ بلا عودة!..

لكنه لم يجبني بعد!، تعتقدين لمَ لمْ يجبني؟!.

هي: ضحكت، وقالت: لا أعرف، تعتقد أنت لمَ؟!..

أنا: أعتقد أنه متردد في إجابتي!، من العقل أن يراجع نظريته وحساباته!، لأني قمت بتجربة أخرى، وتبين لي فيها أن الأشياء لا تظل على الأرض بفعل جاذبيتها!..

هي: إذن، ماذا يمسك الأشياء بالأرض أيها الفيزيائي العظيم؟!..

أنا : بعد التدقيق الشديد والتجربة و الاستقراء و الاستنتاج عزيزتي، تبين لي أن الأشياء لا تستطيع الطيران؛ لأنها سكرت بخمر عيناكِ!، إذن، لا علاقة لجاذبية الأرض المزعومة بالأمر!.

صمت لحظات ثم واصل.. أتدرين؟!، هذا هو الفارق بيني وبين نيوتن!، أو بمعنى أدق، هذا هو الفارق بين العالِم والمجتهد!، هو استند في نظريته إلى تفاحة!، لكنه حقاً لم يُوَفَق في التعامل معها!، فبديلاً عن تفكيره في التجارب و الاستنتاجات و المعادلات التي لا تفيد!، والتي لابد أن تعطيه نتائج خاطئة!، كان يمكنه أن يسألها! لماذا نزلتي إلى الأرض ولم تطيري

إلى السماء؟!، كانت حينها ستجيبه بأنها سكرت بخمر عيناكِ!، لكنه لم يكن يمتلك من الحب ما يكفي!، أقصد من العلم!، فأضاع عمره في معادلات لا تفيد!.... لكنني أيضًا أعتقد أن الأمر ليس بتلك السهولة!، حقيقةً الأمر كان يحتاج لعالم مثلي كي يكتشفه!، ليست الرياضيات أو الفيزياء مهمة للاكتشاف!، أعظم الأشياء تكتشف بالحب!... أعتقد ذلك!...

قالت وهي تضحك كثيراً: لقد قضيت على العِلم بنظريتك!، لكنني معجبة بها!..

أنا: ويمكنني القضاء على العالم كله أيضاً لو اضطررت لإثبات أني أحبك!.... قلتِ: أنك معجبة بالنظرية لكنك لم توضحي موقفك من صاحبها!..

هي بعد صمتها للحظات ونظرها إليَّ ثم لأسفل: أحبه!، أحبه أكثر من أي شيء!...

نظرت لها وكدت أطير فرحاً لفرط جمال إحساسي لكلماتها!، وانتهت وصلة من الحب، وبدأنا وصلة جديدة تمنيت كثيراً ألا تنتهي!...

صديقي العزيز، رغم أني لست ممن يصيغون جميل العبارات باحتراف، لكنني أحس تأثير أي كلمة قد تكون جميلة على مسمعها!، حلو الكلام (الغزل) يؤثر كثيراً على حالتها!، إن الكلمة الجميلة تطرب أذنها، تمس قلبها وترقصه!، تغير حالها من حال إلى حال!، بل تحييها!، أرى بها ما لا أراه بسبب هدية أهديها إياها!؛ لذا سأكتب لك عن المرأة والغزل من خلال

مواقفي معها!، ولا أدعي أن كل ما حدث بيننا هو نموذج يحصل بين كل اثنين بينهما علاقة!، أعني أن أقول أني سأقص عليك بعض ما حدث حتى أستطيع أن أخبرك ما برأسي عن الغزل من خلالها!..

قبل أن أقع بحبها وقبل أي شيء مما أنا فيه كنت أحفظ جملة غريبة!، وهي أن "المرأة تحب بأذنيها!"، لم أكن أفهمها تماماً بكل جوانبها!، لكنني أعيها الآن بكل ما فيها من معنى!، لأني رأيت مصداقيتها أمام عيني!، ودعني في البداية أعطيك تشبيهًا قد يكون دقيقاً، وهو أن الغزل والمرأة كما الشمس والقمر، فالقمر لا يضيء ويزداد جماله إلا إذا منحته الشمس منها نوراً!، وهنا أعتقد أنه عندما تأفل المرأة فإن حلو الكلام ينير وجهها مرة أخرى!، بل نستطيع القول بأن حلو الكلام يمثل لها أحياناً الوقود لدفعها للأمام وإكمال الطريق!، فهو لها احتياج وليس رفاهية!، أعني أني أقول لك أن جزءاً كبيراً من حب المرأة للغزل هو في الحقيقة احتياج بداخلها!، وليس مجرد كلمات تسمعها لتستمتع بها!..

المرأة تبحث عن معسول الكلام!، جميل النظرات!، و حنو اللمسات!، لكن دعنا الآن في الغزل وحده!، المرأة تبحث عنه لأنه يشعرها أنوثتها!، يشعرها مكانتها، بأنها لا تزال الأجمل والأروع في نظر من تحب!، وكذلك تبحث عنه لأنها الأكثر شعوراً بالإحباط وقد يكون دافعها!، و عُرضة دائماً للاكتئاب نتيجة التقلبات التي تمر بها فيخفف عنها!، حساسيتها الزائدة لبعض الأمور تحتاج إلى الاطمئنان من خلال مدحها!، إننا لا نستطيع إنكار أن نفس المرأة نفس متوترة وكثيرة المقارنة!، لذا هي في حاجة إلى حلو الكلام والتغزل بها كي تستعيد ثقتها ببعض المواقف وتحس أنوثتها على

الدوام!، ولا يصح في نظري أن يقول الرجل للمرأة حلو الكلام، ويعتبره كرمٌ زائد منه!، أو أنه إثبات لحبه ليس أكثر!، ولكن لابد أن يدرك أن جزءاً ليس بسيطاً منه هو حق لها!...

اتفقنا على اللقاء في أحد الأماكن لكنَّا لم نلتقِ وحدنا!، بل كان معها ثلاثة من أصدقائها!، وحين دخلتُ عليهم ألقيت عليهم التحية، ثم نظرت لها وغازلتها أمامهم!، فاحمرّ وجهها، وصار مورداً وجميلاً أكثر!، ونظرت إلى الأرض لخجلها ممن معها!، لكنني شعرت بقلبها يرقص فرحاً بداخلها!، تلك أجمل المرات التي غازلتها بها كرد فعل منها!، وسعادتها لم تكن من فراغ كما أرى!، لأن حبي لها أمام صديقاتها ليس كالذي بيني وبينها فقط!، لأني بفعلي هذا أعلن حبي الشديد لها أمام الجميع!، بل إني أفخر بحبها أيضاً!، أعلنها أجمل النساء في نظري!؛ لذا أرجح أن يكون أجمل أنواع الغزل وأرقاه وأحبه إلى قلب المرأة هو ذلك المدح والإعجاب الذي يبديه حبيبها أو شريكها لها أمام صديقاتها أو المقربين منها!، لأنه برهنة على حبه وجمالها في عينه!، بل إنها تعتز بنفسها وتزداد ثقتها أكثر!، وتعلن هي أمام الجميع بصمتها وخجلها أنها قد راهنت على الحب، وربحت الرهان!، لكن المشكلة في نظري في أن الرجل عندنا يخجل من قول حلو الكلام لحبيبته أو شريكته أمام الناس!، ويكأن في ذلك إهانة لشخصه وإنزالاً من قدره!، الرجل عندنا فقط ليهين ويوبخ!، تلك قمة الشخصية والرجولة والفحولة!، ربما نحن الرجال علينا أن نرى الأمور من بُعدٍ آخر قد يكون أعمق و أدق!...

كنت أنتظرها تحت أحد العمارات، وإذا بها تظهر فجأة أمامي على بُعد مترات، لكنها كانت تبدو في غاية الجمال!، توقف قلبي حين نظرت إليَّ من بعيد ثم تبسمت!، أحسست أني أملك الأرض بما عليها!، فلما وصَلتْ إلى حيث أقف فاجئتها بكلمات أربكتها!، تعالي إليّ هنا لنختبئ!، في ذلك المكان أسرعي!، وبدون أي نقاشٍ منها دخلت معي إلى باب العمارة التي كنا سندخلها أصلاً!، دخلت معي وهي مرتبكة وتعتقد أن هناك مصيبة حدثت!، فلما دخلنا سألتني ماذا هناك؟!، فقلت: كارثة!، فتحت عيونها أكثر، ثم قالت بخوف: ما الذي حدث؟!، فقلت: سمعتهم في الطرقات يقولون أن هناك حورية هربت من الجنة!، وأن من يجدها ويرجعها سيكافؤنه بقدر كبير من المال!، لكنّي لما رأيتها فُتنت بجمالها ووقعت في حبها!، لذا سآخذها لي وحدي، ولن أرجعها إلى أحد!، لأكون أنا الوحيد من الناس الذي يمتلك حورية على الأرض!، وكذلك أول من تصير أرضه جنة!، نظرت إليَّ نظرة لم أنسها إلى الآن من جمالها وصدقها!، ولا أعتقد بأني سأنساها أبداً!، وقبل أن تنطق بحرف قلت لها: لا تقولي أي شيء!، مهما كانت فصاحة لسانك وبلاغتك لن تستطيعي أن تَصفي ما رأيته في عينيك!، لا تظلمي ما بداخلك بعجز الكلمات عن التعبير!، ربما يصح أن تصمت الألسن حين تتكلم العيون!، نظرت إليّ، ثم قالت: لن أقول أي شيء لأني حقاً لم أجد الكلمات التي قد تعبر أو تليق بما داخلي!، لكنني فقط أريد أن أقول: أني أحبك!.... كانت تلك الطريقة الثانية التي أحس شعوراً جميلاً منها تجاه كلماتي!، لذا أعتقد أن المرأة تحب مفاجأتها بحلو الكلام!، كلام دون أن يكون قبله مقدمات تجبرنا على قوله أو تأخذنا

إليه!، وكذلك امتداح ظهورها و طلتها!، ربما علينا أن نصنع من أي شيء شيئاً جميلاً يجعلهم يستمتعون بأوقاتهم معنا أكثر!، ويعتزون بأنفسهم أكثر!..

كنا نتكلم ذات مرة وأخذنا الحديث إلى أن قالت: هل ستظل تحبني حتى حين أكبر، ولا يكون من الجمال الذي تراه الآن شيء؟!، حينها أحسست خيبة أمل حقيقية في نبرة صوتها!، لكنني ضحكت لتذَكري الذي قال: عليك أن تحتفل بعيد ميلاد زوجتك دون أن تخبرها أنها تقدمت في السن!، وأنا كذلك أرى المرأة تريد أن تنضج دون زيادة في العمر!، وتزداد حكمة وخبرة دون أن تمر بالأيام!، لكن رجعت إليها مسرعاً، فنظرت لها وبهدوء قلت: حبيبتي لن يمسها الشيب، وإنما سيغازلها!، فنظرت إليّ وحدقت بي للحظات، ثم وضعت يدها على المنضدة، وأنزلت رأسها على يدها، ولم تقل أي شيء!... هنا أدركت كيف لكلمة أن تبعث بالأمان لقلبها!، وأننا ببعض الأحيان لا نحتاج لقلب موازين الحياة أو إنكار الحقائق!، لا نحتاج إلا لكلمات تشعرنا بأننا في المكان الصحيح!، المكان الذي نطمئن بوجودنا فيه يوماً بعد يوم!، فلمَ نبخل على أنفسنا بشعور أحدهم بأنه في أمانٍ في قلوبنا وبين أيدينا؟!...

كنا نجلس سوياً ذات مرة، وقلت لها بعض الكلمات فأشعلت غيرتها!، فنظرت إليَّ، ثم قالت: وأنا كنت عائدة إلى المنزل وكان هناك بعض الشباب يقفون على ناصية الطريق وسمعتهم يقولون بأني لا يفرق بيني وبين القمر!، شباب قالوا ذلك!، ضحكت لأني أعرف أنه لم يحدث!، فقط كانت تريد أن ترد إلى الغيرة التي أحستها!، فضحكت وقلت: حبيبتي

أعتقد أن تشبيههم خاطئ!، فعبث وجهها وقالت: حقاً؟!، قلت: نعم!، قد يُخَيلُ للبعض أن حُلوتي لا يُفرق بينها وبين القمر!، لكنهم مخطئون!، فإن أمعنوا النظر سيدركوا أن القمر جماله يزداد وينقص!، أما حبيبتي فجمالها يزداد فقط!، أعتقد أن عليهم ألا ينظروا إليها لأنهم لا يمتلكون عيون دقيقة!، وحتى لو نظر الجميع إليها، واتفقوا على حسنها وجمالها ستظل نظرتي لها هي المختلفة!، أعتقد أن الجمال الذي أراها به لا يراه أحد غيري!، و إلا صار الجميع ضحاياها كما أنا!، ثم خفضت صوتي وبلهجة بطيئة قلت: وأعتقد أيضاً أن عليها ألا تلتفت لأحد ولا لظاهر الكلام ولا لسحطية النظرات وإلا سأضطر أنا لكسر رأسها!، نظرت إليّ ورفعت يدها، وقالت مسرعة: لا داعي لذلك أبداً، هي أخبرتني أنها لا ترى غيرك!... لكم أحب يا صديقي أن أحول غيرتها إلى انتصار لي بقلبها!، ولا أخفي عليك أن سعادتها بسماعها كلمة حُلوة مني لا تزيد عن سعادتي بقولي لها حلو الكلام!، أفرح حينها فرحين، فرح بسعادتها وفرح بأني أستطيع أن أقول ما بداخلي ولا أكتمه!..

تأخرت عليها حين كانت تنتظرني في حديقة المكتبة، وكان البرد قارساً جداً، فلما وصلت عندها وجدتها منكمشة في أضيق حيز من الفراغ!، فقلت لها: صباح الخير مولاتي!، فقالت: صباح الورد!، لكن، قد أكلها البرد!، ضحكت وقلت لها وأنا أجلس: أعتقد أن مولاتي تبالغ في ظلمه!، البرد لم يُرِدْ أبداً أكلها أو جعلها ترتجف!، فقط كان يريد احتضانها كي يشعر بالدفء!، لكن علينا الجلوس بمكان دافئ أكثر، تعالي معي، ولما وصلنا للمكان قلت لها : أعتقد أن المكان هنا دافئ أكثر!، قالت: نعم هو

كذلك، لكن أعتقد أن الدفء في كلامك ونظراتك أكثر!، ربما دفء روحي لا يشرعني الآن برد الجسد!، لحظتها انقطع الكلام من لساني!، تشبثت عيني بها! ولم تعد لتنزل أبداً!، ما كان منها إلا أن قالت: لمَ أنت صامت؟!، ثم لمَ تحدق بي هكذا؟!... استفقت من نظرتي إليها، ثم قلت: لا شيء، فقط وجدتها!، قالت باستغراب: ما الذي وجدته؟!، قلت: الإجابة!، قالت: الإجابة عن ماذا؟!، قلت: سأخبرك... سَأَلَ أحدُهم مُستَنكِراً، لوْ حاوَل البَحرُ الانتحار!، أين يرْمي نَفسه؟!، ربما الآن أستطيع أن أرد عليه وأقول: يا مسكين!، الكَونُ عيناها!، فهل تعتقد أنها لاتسع بحرك المنتحر؟!، نظرت إليّ بابتسامة وقالت: كنت تقول عيونك كالبحر، والآن تقول كالكون، ألا ترى أن عيني تتسع أكثر فأكثر؟!، فقلت: نعم تتسع وتتمدد كل يوم، أعتقد أنها ستظل بهذه الطريقة حتى يصبح الكون نفسه جزءاً فيها!، نظرت إلي نظرة خطفت قلبي أكثر، ثم قالت: وأنا أريد أن أكون جزءاً فيك!، بداخلك!... صمت... وأريد أيضاً أن أسألك سؤال!، أومأت برأسي نعم، قالت : عندما يغضب أحد من الناس بدون أن يكون هناك ما يستدعي ذلك الغضب، فغالباً ما يسمع جملة" اذهب إلى البحر واشرب"، وهنا إن غضب البحر من أين يشرب عزيزي؟!... تفاجئت بالسؤال!، وضعت يدي على شعري وانظر إليها وأنا أفكر!، ثم قلت بلهجة بطيئة: أعتقد أنه لن يجد ما يشرب منه لأن دموعك لن ينزل منها شيء أبداً!... لم يكن هناك شيء يسعدها من جميل الكلام أكثر من ذلك الذي يكون بخصوص عيونها!، هي تمتلك عيونٌ خضرٌ وجميلة حقاً، لكن أعتقد أن كل النساء كذلك، مدح عيونهن مقدم على أي شيء، وأعتقد

أيضاً ان سر ذلك الحب يرجع إلى أن العيون تختزل كثيراً من سمات الشخص وصفاته!، أعني أن أقول لك أن العيون مرآة القلب ومصفاة الروح!، فما يظهر فيهما لا يمكن أن يكون كذباً، لذا إن مدحت العين فأنت تمدح ما بداخلها في الحقيقة!، لذلك يسعدنَ!، لكن اسمع!، هذا لا ينفي أن حبيبتي عيونها جميلة حقاً!...

كلمات الغزل التي تجعل المرأة في غاية السعادة قد تسبب لها غضباً وإزعاجاً كبيراً!، لأن الكلمة التي تسمعها تحكم عليها كونها غزل أم وقاحة عن طريق تحديدها لمكانة القائل!، فالمرأة السوية لا تقبل كلاماً جميلاً أو غزلاً من أشخاص ليسوا معنيين بقول ذلك النوع من الكلام!، و مدى قبولها لذلك النوع يرجع إلى ثقتها بنفسها واعتزازها!، فكلما قلت ثقة المرأة بنفسها ازداد حبها لسماع كلمات الغزل من أشخاص أكثر!، لأنها تجد فيه تعويضاً لما يهتز بداخلها!، على عكس المرأة الواثقة!، فهي لا تقبل الكلام إلا من أقرب الأقربين لها!، لذا، نحن كرجال علينا قبل أن ننطق بأي حرف يشارك في كلمة جميلة، لابد أن نعي مكانتنا لدى المرأة السامعة!، حتى لا يترك الكلام منحنى الغزل واللطافة ويأخذ منحنى الوقاحة والابتذال!..

صديقي، الكلام الجميل مطلوب، ونحتاجه كثيراً في حياتنا!، لكن حلو الكلام يُشترط به ألا يفقد بريقه ولمعانه!، ولا يمكن أن يفقدهما إلا إن تم استخدامه في غير موضعه!، أو بكثرة لا فائدة منها!، فقد تجني الكلمة أشواكاً بديلاً عن الورود!، وذلك من تسرب الملالة من سماع ما لا يُحس أو ما لا فائدة منه!، وأعلم تماماً أن الكلمات التي تخرج من القلب تصل

إليه!، فلا ينبغي بكلمات الغزل أن تخرج إلا إذا كانت نتيجة الشعور وليس العقل!، نحن نخطئ عندما نتغزل بهم لأننا لم نعد نمتلك كلاماً آخر لنتكلم به!، يكون نابعاً عن العقل وليس الشعور!، وهو كلام زائف وعاري من الحس!، وهو ما يجعل الطرف الآخر في بعض الأحيان يقول بأنه لا يحسه!، أو لا يشعر بجماله!، لذا الكلمات لا ينبغي أن تخرج إلا أن كانت من القلب، لأنها تقال باللسان والعين معاً!، فتكون الكلمة جافة من الإحساس والنظرة خالية من الشعور!، وربما المبالغة غير المقولة أمر خطير، ولا يجب التغاضي عنه!، قد تعتقد أنك في بعض الأحيان تمدحها وأنت في الحقيقة تهينها!، إذ قد تمدحها فيما هو بغيرها وليس فيها!، فتتصور هي أنك تمدح غيرها من خلالها!، و قد يكون أحياناً وصفك الدائم لها بأنها جميلة هو اعترافاً بأنها تعاني من نقص في الجمال!، فتحس من كلماتك أنك ترضي خاطرها ليس أكثر!، فعلينا ألا نبالغ حتى لا نهين ونخسر!....

عزيزي!، عندما تغازلها وتصفها بالجمال لا تقل بأنها تشبه خالتك!، فربما هي ترى خالتك قبيحة!، إذا أردت أن تشبهها فأعطِ تشبيهاً كنموذج، وليس شخص من المعارف إلا أن كانت فارهة الجمال!، لا تنس أبداً أننا نتعامل مع امرأة!، شبهها بنموذج كممثلة أو مطربة!، لأنها في الحقيقة تدمج بين جمال الوسط الاجتماعي ورقيها وجاذبيتها أيضا!... الغزل و معسول الكلام فن!، ومنا من لا يتقنه ابداً!، ومنا من يقع في تسرب المعنى الضمني إلى جملة الغزل، أعني أن أقول لك بأنه يقع في تسرب كلمات غير مناسبة في كلمات الحب والغزل فينفتح مجال التأويل!، فربما علينا أن ندقق أكثر

في اختيارنا للألفاظ التي تخترق قلوب من نحب وتؤثر بهم!، وعليهم أيضاً ان يدركوا بأننا لسنا بمحكمة!...

أريد في النهاية أن ألفت انتباهك إلى شيء غريب!، ألا تلاحظ أنه عندما يجيء الحديث عن الغزل نعير كل الانتباه إلى المرأة ونتغاضى عن الرجل!، لمَ هذه التفرقة العنصرية بحقنا!، نحن أيضاً نحب جميل الكلام!، نحب اللطف والرقة!، أعتقد أنك لا تمانع في بعض المدح أو التغزل بك أبداً!، بل تحبه إن كان ممن تحب أن تسمعه منهن!، لكن، لاختلاف طبيعتنا عن النساء فنحن نميل كما أرى إلى أشياء معينة في المدح والغزل!، لكن الغريب ليس في الاختلاف!، وإنما في أننا نحب مدحنا بما يعود بالنفع عليهم أيضاً!، فإن تصف المرأة الرجل بالحنان يحبه منها كثيراً ويمس قلبه ذلك الوصف!، وذلك الحنان عائد عليها!، أو أنها تثق به كثيراً، فيزداد اعتزازاً بنفسه وحباً لها ولذاته!، والثقة أمر عائد عليها كذلك!، كما أن ترجيحها لعقله وإسناد الفطنة والذكاء له يعجبه كثيراً!، وهو عائد عليها بالتفكير بالنيابة عنها في بعض الأمور!، مدحها لطلته تجعله يحب لقائها دائماً!، تصويره بأنه الملجأ الوحيد لها قد يستخدمه الرجل الوغد بصورة سيئة!، لكن الرجل الجيد يجعله ذلك المدح أكثر محاولة في الحفاظ عليها!، وضعه مكانة الصديق والأخ والأب أحياناً يجعله يختصر كل عالمه فيها!، ألا تلاحظ أن كل ما نهواه هو في الحقيقة أشياء لنقوي بها على حبهم أكثر!، لكن تذكر أن كل هذا لا ينفي أن المدح الصامت هو أكثر ما يحبه الرجل السوي!، أعني تقدير المرأة له واحترامه!...

الحب والمجتمع...

مرحبًا صديقي!...

اليوم، و بينما كنا في شوارع إحدى الأماكن قلت لها أحبك، فتبسمت!، فقال الشيخ وقد سمعني: إذا بُليتم فاستتروا!، فنظرت له ثم قلت: وماذا يضر البلاء إن مر سريعًا دون أن يتحدث؟!، ثم انصرفنا!... إن ذلك الموقف أثار في رأسي رسالة طارئة إليك، ونحن قد تكلمنا كثيرًا عن الحب، لكنّا لم نتكلم عن مجتمعاتنا والحب بصورة تعبر عن أزمتهما معًا!، إذ أن في رأي مجتمعاتنا في أزمة حقيقية مع مفهوم الحب ومضمونه، مجتمع يعاني من نقصٍ في الحب في كل شيء!، حب للبعض، للخير، العمل والحياة!، شعوبنا متشبثة بالحياة وكارهة لها!، لذا فالحياة ترفضها!، لذا أود أن أكتب لك شيئًا عما أراه في تلك الأزمة، لكن عليك أن تعلم أنها لا تتعدى حدود وجهة النظر!، ولا تتخطى حدود جغرافية نقطنها نحن ومن يشبهوننا!، ودعنا كذلك لا نتناقش حول الحب بعمومه، وإنما سنقصر حديثنا على رؤية مجتمعنا للحب بين اثنين...

بدايةً لم يكن هناك شعب دون قصص حب يتداولها، ويتناقلها عبر الأجيال، لأن الحب من ثوابت النفس البشرية، ولو أننا جُبنا الأرض من مشرقها إلى مغربها لوجدنا شعوبًا دون حضارة أو تراث يذكر!، لكنا لن نجد شعبًا دون قصص حب يتناقلها!، ولعلك تتذكر قصص أكونتيوس وسيدبى، هيرو ولياندر، غالاتيا وأسيس، روميو وجوليت، عنتره وعبلة، قيس وليلى، جميل وبثينة، وكذلك كثير وعزة، كل تلك القصص تتناقل إلى الآن بين الناس دون انقطاع، ولعل مصير أغلبها المؤسف هو ما أبقى عليها، لكنها تبقى قصص حب ملهمة وحماسية!، ولأن الحب ذاته ذا سر إلهي وطابع مقدس، فإن معظم الأساطير والميثولوجيات أعطته إلهًا خاصًا، وغالبا ما كان إلهًا للحب والجمال!، إذن، نحن إما ظاهرة مرتبطة بوجود الإنسان أينما وجد!، ومهما كان تعامل المجتمعات معه فإنه ثابت في حسه وجوهره، ولا يروح عن الإنسانية مهما تجردت من معلمها!...

دعنا لا نتحدث كثيرًا الحب والشعوب الأخرى، لانها لا تعاني الآن مشكلة في مفهوم الحب مثلما نعاني نحن!، وإن كان هناك ما يعيب تصور بعض الشعوب للحب فإننا سنتناقش فيه لاحقًا!، لكنّا الآن فيمن ينطقون العربية!... إن تسرب بعض صفات الرجل العربي البدوي تحت راية الدين قد أعطت الحب مفهومها ونظرةً جديدة لدى سكان الشرق الأدنى وكذلك الشمال الأفريقي!، أعني أن أقول لك أن الرجل العربي الأصل (الحجازي) قد أثر في فكر الرجل العربي الآن (غير الحجازي)!، والطبيعة العربية الأصيلة في تعاملها مع الحب لا يعتبر تعاملًا إنسانيًا بدرجة ترتقي لمقام الحب ورفعته!، فكانوا مثلًا يمنعون الرجل من الزواج ممن يحب إن

أشهر حبه!، فنجد أن فلان يغازل محبوبته من خلال مخاطبة الذات المذكرة!، أو أنه يتحدث عنها بالتورية!:-

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا

لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

هكذا قال عمرو بين ربيعة لمن يحبها!، لأن الحب إن عرف يمنعه من يحب!، ورغم أن اللغة العربية لغة حب، إلا أن العرب أهل جفاء في التعامل معه!، وهي أكثر اللغات قدرة علي التعبير عنه واحتواءًا له!، إلا أن الشخص العربي أكثر الأشخاص كتمان له وخوفًا من ظهوره عليه!، ومن الغرائب أن الشرقيين هم أكثر الشعوب إحساسًا للكلمات والمعاني!، لكنهم مجبرون على الحرمان والكتمان بسبب المعتقدات البالية المتسربة إليهم من ذوي الطبيعة الجافة القاحلة!، وإن ذلك الحس لدى الكثير من الشرقيين للكلمة وجمالها وخيالها قد صرف فكرهم عن الجسد مستمتعين بمعالم الروح!، فمعظم الشعوب الأخرى تخلط بين الحب والجنس!، حتى إن بعض الألهة لبعض الحضارات كانت إلهًا للحب والجنس معًا!، مثل أفروديت لدى اليونانيين!، أما الحب لدى معظم الشرقيين فهو حب عذري، وإن كنا نستخدم لفظة الحب العذري للدلالة على الشرقيين هنا، فهي في الأصل منسوبة لبنى عذرة!، ورغم رقي مفهوم الحب لدى تلك الثقافة العربية إلا أن مجتمعاتها لم تنسلخ من عباءة جفائها وقحالتها!، ورغم امتلاكها لمفهوم حب يجعله الأرقى إلا أنها لا تستطيع التطبيق بسبب المعتقدات والعادات!....

دعنا نرجع للوراء لحظةً علّنا نستنتج لمَ الحرب على الحب من البدايات.... في نظري كانت تلك الحرب للسيطرة على الأنثى!، ولعلني أقول ذلك لما وجدته من إشارات أو أدلة تشجع رأيي!، فمذ كان أول قانون لدى البشرية وهو قانون حمورابي كان فيه ما يجعل المرأة ملكية خاصة للرجل!، وكان فيه ما يجعل الفتاة العذراء أغلى ثمنًا ومهرًا من تلك التي لم تعد!، وبالتالي علاقات الحب كانت من الممكن أن تتسبب في خسائر للذكر إن فقدت الأنثى التي يبيعها أو يزوجها عذريتها!، إذن لابد من منع إعلان الحب والسماح به إطلاقًا!، ورغم أنه كان يمكن للرجل أن يحب فتاة إلا أن حبه لا يكفيه، وإنما شراؤها، يحبها لكن ربما يجدر به ألا يعلن ويبرر الحب من خلال الرغبات!، لأنها تحافظ على المال أكثر من الحب!، وكذلك أعتقد أن تحجيم الحب في المجتمعات البدائية أو السابقة نشأت عن الحروب والخلافات بين العشائر!، بمعنى أنه فكرة لا يمكن الإعلان عنها، أو أنه أمر غير مقبول حتى لا يُسمح لأحد أن يقع بحب آخر من قبيلة أو عشيرة معادية أو غير مرحب بها!، وربما أيضًا ازدراء الحب فكرة ذكورية لمحافظة الذكر على أملاكه من الإناث!، بمعنى أنه لا يريد أن يكون هناك حب له على الدوام، لكن لابد أن يكون هناك دائمًا موافقة به لأنهن ملكه!، أو أنها كانت نتيجة غيرة للسادة من العبيد، فأصدرت السادة قانونًا أو عرفًا أو مسمًا أخلاقيًا لتحجيم حب العبيد وإخضاعهم!، أو أن ذلك المسمى أنتجه العبيد لإرضاء السادة!، وإذ ما تحدثنا عن العرب فإن كل العوامل الآنفة قد تشترك فيها، إلا أن العرب تفردوا كثيرًا بإلحاق مفهوم النخوة والشهامة والرجولة مع معاقبة المرأة!، وكذلك إلحاق العار بها!،

وإلى الآن لم يزل شرف العربي في فرج إناثه!، وإذ ما انتقلنا من الماضي البعيد إلى عصرنا الحالي نجد أن المجتمعات التي تعاني مشكلة في احترامها للمرأة وتقديرها هي المجتمعات التي تحتكر الحب وتزدريه!، وهي ذاتها المجتمعات التي تعاني مشكلة في فهمها منطق الحريات!....

إن العقل الجمعي لدى العرب، وتحديدًا كبارات السن يرون أن الحب ليس أكثر من وهم يتمكن من الإنسان!، بل أنه في أحسن حالاته نزوة تأخذ شيئًا من الوقت ثم تروح عنا!، وذلك لأن حياتهم المُضنية جردتهم من الحس، وجرتهم إلى التفرغ للكد والعناء!، فهي شعوب تبحث عما يبقيها على قيد الحياة_الطعام _ وليس على ما يشعرها الحياة!.... كارثة أن تقع الفتاة في حب أحدهم في تلك المجتمعات الضيقة!، فما بقى لهم إلا أن يقيموا العزاء لأن ابنتهم تحب!، وذلك العنف ضد الحب وتحديدًا الأنثى تسبب في علاقات سرية!، مما ولد مجتمع منافق يخاف ولا يستحي!، وَلدَ مجتمعًا فيه الخفاء سيد الأخلاق!، أنا لا أستحي أن أقول بأن مجتمعنا مريض بحد يجعله يقبل مشاعر الكره ويبررها وينكر مشاعر الحب وينفيها!، مجتمع يخشى أن يظهر بصورة حسنة!، ينكر على نفسه الحس والفكر وكل ما يجعل منه مجتمعًا إنسانيًا!، ونحن لسنا بصدد الحديث عن مجتمعنا بشكل عام، لكن علينا أن نتفق أننا شعوب ميتة على قيد الحياة!، فإن كان الإنسان عقل وإرادة، وروح وعاطفة، فإننا لا نمتلك من الأنسنة شيئًا!، مجتمعاتنا تعاني من فقد للعقل وسلب للإرادة!، وتشتت للروح وإنكار للعاطفة!، فأي مجتمعات تلك التي تحيا بدون جوهر الإنسان!...

إن الحب أقوى شعور قد يصيب الإنسان، لذا هو أقوى من قوانينه التي وضعها ليضبط بها نفسه!، لذلك الحب يحتاج لثقافة تروضه وليس لقانون يمنعه أو عرف يقيده!، لأنه متمرد ولا يهدأ!، ولميل الشخص الشديد للتضحية لن تقف أمامه أعراف ولا قوانين!، ولو أن مجتمعاتنا أدركت أن العالم أصبح منفتحًا أكثر، و التواصل بات أسهل ما يكون، لكانوا أعلنوا الصلح مع الحب بديلًا عن إعلانهم الحرب عليه!، لكن لم يزل يمكنهم إعادة التفكير،لأن تلك الحرب الشعواء على الحب لابد أنها ستنتهي وتخسر، أعتقد أن الحب الذي أشعل الحروب، أوقف الزمان، وبنى الرجال وأذل العظام لن تقف أمامه مفاهيم مجتمع قاصر في فهمه مريض في مضمونه!، صدقني الحب لا يمكن الحرب عليه لأن جيشه لا ينتهي، ونبعه لا ينضب!، ولو أنهم جعلوا عقوبة الحب هي الإعدام شنقًا لما توقف يومًا إعدام ملايين البشر مبتسمين عند لقاء حتفهم!..

إن أكثر ما يُحارب الحب من أجله هو زواج المصلحة و زواج التعارف (التقليدي)!، وزواج المصلحة هو أبشع أنواع الزواج في نظري، لأنه يغير كل المفاهيم، فيكون فيه تقييم الأملاك والمصلحة يسبق تقييم الشخص!، مما يجعل الزواج مشروعًا وليس مؤسسة!، وإن ذلك النوع من الزواج لا يشارك في قتل الحب فقط، بل في قتل الإنسان ذاته!، أما زواج التعارف لا بأس به إن لم يوجد الحب!، لكن إن وجد الحب بطل التعارف!، ولأن ذلك النوع من الزواج يرضى الأهل فربما تجبر الفتاة فيه على الزواج من غير من تحب!، ويُقنَعُ الشاب بأن وراء قلبه الخراب إن لم يتم إجباره!، وهم كذلك يحاربون زواج الحب لأنه أقل تكلفة وهم يريدون التباهي!،

يقول العمُ: خذوهم فقراء يغنهم الله!، ذلك حتى إذا ما جاء دور ابنته في الزواج انقطع لسانه!، دعني أقص عليك قصةً رأيتها أمام عيني ولازلت إلى الآن أتذكرها!... الشاب لا يريد تلك التي اختارتها والدته، و الفتاة لا تريده كذلك، لكن أمها تريده!، هي عروس لا تعوض في نظر أهل الشاب؛ لأنها فتاة موظفة!، وهو شاب لا يعوض في نظر أهل الفتاة لأنه يعمل بالخارج ويمتلك من المال الكثير!، وظلت محاولات الإقناع مستمرة إلى قبل بدء الحفل بساعات!، ولما لم يجدا مهربًا من تلك الزيجة الملفقة وافق كل منهما على الحفل، وحين بدأ الحفل وغاص الجميع في الرقص والطرب أوقف (شاويش المسرح) الأغاني، ثم قال للشاب: قل لها أحبك!، فقال الشاب: أحبك!، ثم مثله للفتاة فقالت: أحبك!، ثم صفق الجميع، وأنا في ذهول أتساءل!، على أي شيء صفقتم أيتها الحضور الكرام؟!، على كلمة أحبك التي أهانت الحب!، أم على إتمام زيجة مصلحة ملفقة!....

لا أعرف لمَ حاول البعض ونجح في إقناع مجتمعاتنا أنها خلقت لتتناسل!، نعم، مجتمعاتنا تعتقد أنها خلقت لتتناسل!، ونتيجة ذلك الاعتقاد أنها فقدت الحب، وفسد نتاج التناسل!، وهو اعتقاد مبرر لدى النشء ولا يلامُ عليه!، لأن الطفل الذي تربى دون أن يجد أباه أمامه يقول لأمه حلو الكلام، ويعبر لها عن حبه سيكبر ولا يرى الحب قيمة في الأسرة والحياة!، ولقد فقد الرجل حنوه ولطفه على شريكته لأنه لا يجتمع معها على حب!، وفقدت المرأة أنوثتها فأصبحت غوغائية همجية التصرف لأنها تفتقر للحب أيضًا!.. إني الآن لأتذكر كلمات زاهي وهبي حين قال: امرأة لا تجيد الحب عاقر ولو أنجبت، الأنوثة فعل الحب لا التكاثر!، نعم، لا تظهر الأنثى إلا

لمن تحب!، عدا ذلك هي امرأة غير مكتملة وأنثى مُفتَعلة!.... يا صديقي إن تقف أمامك فتاة في بيتك وقد تزوجتها، ثم تنظر في عينها وأنت تعلم أنك تحبها، وأنك كذلك كنت يوما جُزءًا من أحلام تلك الفتاة، هذا إحساس أعتقد أنه لا يعوضه ألف زواج تعارف!، ولا مليار زيجة مصلحة ملفقة!، ربما تشعر من خلاله أن الحب حقيقةً أسمى وأبقى!..

صديقي العزيز عليك أن تتفهم شيئًا، وإن كنت أعلم أنك متفهمٌ جيد.... أنا لا أريد الانحلال، لكن أريد ألا أعاقب على بسمتي لها!، لا أريد الفجور، لكن لا أمنع من النظر في عينها!، لا أريد الرذائل، لكني أريد أن أقول لها أحبك دون خوف!، لا أريد أن يروني الناس ملاكًا، لكن أريد ألا أظهر سيئًا لأني أحب!، صدقني مهما يكون المحب هو لا يريد إلا ما تمنى!، وكذلك العيش في سلام!... أخبرني أنت، إن كفرت الناس بالحب، فبما يؤمنون؟!، إن كفروا بأعظم شعور قد يصيبهم!، فهل يمكن أن يكون هناك ما يحسونه غيره؟!، أخبرني، أليس من الحماقة أن نقول أن الحب قد يضر البشر في أخلاقها وهو سيد الأخلاق!، أليس من القسوة في حق أنفسنا أن ننكر الحب؛ فنموت على قيد الحياة!...

الفراق...

صديقي!، أنا في حاجة للكتابة إليك!، في الحقيقة أنا بتلك الحاجة منذ أيام !، و أيضًا لم أكتب لك منذ فترة لسبب ما أجبرني على التوقف!، لكنني الآن أكتب لك عما دعاني للتغيب وعدم الكتابة!.... إنني فارقت حبيبتي!، فارقت قلبي، وودعت روحي!، دعني لا أذكر لك السبب الآن لأن بعض التفاصيل تؤلمني كثيرًا!، كل ما أحتاجه هو أن أكتب أي شيء!، في الحقيقة أنا لا أعلم ماذا سأكتب!، لكنني سألبي احتياجي لذلك ليس أكثر!...

أسألك في البداية!، أين أنا؟!، أين حياتي؟!، حياتي التي انقلبت من الحياة إلى اللاحياة!، لا أعني الموت!، لكن شبيهه!، الموت يا صديقي خروج الروح من الجسد، أما الفراق فإعياء الروح داخله!، أنا صاحب روح معياة! أنا نصف ميت!، المُفارِقُ نصف ميت!، نصف حي لأني من الأحياء، ونصف ميت لأني لا أشعر بالوجود!، أين بسمتي؟!، أين سعادتي؟!، انقلبت كل السعادة التي كانت تغمر قلبي إلى أحزان تمزقه!، انقلبت النبضات الحانية إلى ضربات مؤلمة!، وخزات موجعة!، طلقات نيران

قاتلة حارقة!، زد على هذا سهم الحب الذي أصابني في بادئ الأمر!، الذي حين أصابني لم أحس ألمه!، لكنني أحسست كل الآلام عند محاولتي انتزاعه!، ربما خروجه أخذ شيئًا من الروح معه!، أو ربما على الأقل أصابها!، إن انتزاعه ليس بالهين اليسير!، فكلما حاولت انتزاعه أتألم أكثر!، فتسّاقطت الدمعات من عيني على جسدي فتغرقه!، حتى صار كل شبر فيه يحمل لوحة حزينة!، رسمت بالدموع كما تنحت الماء الحجر!..

ألم في كل شهيق!، حسرة في كل زفير!، مؤلم كثيرًا حين يتحول وجودي في الحياة إلى شيء مؤلم!، مؤلم ألا تقدر طول المسافات جعلني أنسى!، ولا قصرها يجعلني قادرًا على الاقتراب!، مؤلم لقاء الأرواح بيننا!، لقاؤها في المنام يؤنس روحي ثم يفزعني!، يهيج عقلي ويوحش وحدتي!، هو أجمل اللقاء بعدما استحال في الواقع، لكنه أشده ألمًا بعد الانتهاء!، إنني يا صديقي أتألم في كل شيء!، أتألم حين أواسي قلبي كي لا يتألم!، أتألم حين أشتاق لها وأنا أفكر في النسيان!، أتألم حين أمنع عيني عن رؤيتها، ولا أجد ما يقنع قلبي بنسيانها!، أتألم حين الحزن، وأنا أعلم أن ليس لنا في الحزن قِبلة إلا من تهواه قلوبنا، فماذا إذن وقد ضاعت قبلتي؟!، حين تلوح أمامي عينه فأبتسم، ثم أتذكر أننا افترقنا فيرجع إليّ الأسى مضاعفًا فأتألم أكثر وأكثر!، أتألم حين يلاحظ أحدهم شرودي فيسألني ما بك؟!، فأجيبه بخير!، لا أعلم أي خير لكني أقول!، أتألم حين أقول: أنا لن أحكي أي شيء لأي أحد رغم أني اتمنى الصراخ!، لأنه من السخيف أن أبرر و أقول: إني بدونها لم أزل على قيد الحياة!، لأن تلك الجملة دليلًا على أني لست بخير!، لست على ما يرام أبدًا!، أتألم الآن رغم أني في لحظة الفراق قلت

سأتحمل!، لكن يبدو أني لم أعي تمامًا ما الذي قلت عليه سأتحمله!، صدقني مؤلم أن نزع حبًا ونُفنى في سقياه، ثم نحصده ألمًا، أليس من العدل يا صديقي أن نزرع وردًا فينبت وردًا، فلما نزرع الورد فتنبت الأشواك؟!..

أنا تركتها لكني لازلت لم أرحل عنها!، صدقني الترك لايعني الرحيل، والبعد لا يقتضي النسيان!، أني حين تركتها ونويت الرحيل لم أعي أني محملًا بالحزن والأسى!، لم أدرك أنهما سينزلان على قلبي فيمزقانه!، حسبت أني قررت الرحيل وأنا موليًّا وجهي شطر الصواب!، لكني أدركت بعدها أني وليت وجهي نحو لا أدري!، لكن تمهل!، علمت الآن وأنا أكتب لك إلى أين وليت وجهي؟!، إلى أين ذهبت؟!، إلى السجن!، نعم، الفراق أن تُسجن!، ألا يسعك كل الكون، ويصبح سجنا ضيقًا!، أن يصبح أصغر حيزًا من الفراغ كأكبره!، لأن الحقيقة سجن الفراق ليس بين أربع جدران!، بل أن تسجن بين أفكارك في أضيق فكرة!، فكرة أنك لم تعد تقبل الحياة وألمها!، ألا تستطيع التنفس!، ليس لأن الهواء ناقصًا او منقوصًا!، ولكن لأن صدرك هو المختنق!، ألا تستطيع الكلام!، ليس لأن الكلام انتهى لكن صاحبه!، ألا تستطيع التفكير ليس لأن الأفكار زالت، ولكن لأنها لا تجدي!، ألا تستطيع النوم خوفًا من الأحلام!، وأن تخاف من الاستيقاظ حتى لا تعيش يوم مرير كسابقه، وتُعاد مرارة الأيام!، الفراق أن تُسجن وأن تَشِيخ فجأة!، لأنه يا صديقي... السنونُ لا تُعَدُ بالأيامِ!، وإنّما الأحْزان!، وأنا بَلَغْتُ مِنَ الحُزنِ ثَلاثُمائةِ أسى...

ليت الحياة التي أجبرتني على الفراق أهدتني النسيان!، لكنها خانتني كعادتها!، عندما رأيتها ظننت أن تلك الحياة تبسمت!، لكنها كانت تكشف

عن الأنياب!، لكن لا بأس، تلك الحياة تقسو لتعطي!، ثم تعطي لتأخذ!، ثم تأخذ لتقسو!، فعطاء الحياة لا يقل عن الأخذ قسوة!.. أيعقل أن أحسد من فقد الذاكرة!، أيعقل أن أتمنى نسيان كل شيء حتى أنسى أنني فارقتها!، فأنا لم أفارق حبيبتي فحسب، أرجوك لا تقل هذا!، بل قل: فارق البسمة!، البهجة!، الأمل!، فارق الحنان!، ودع عيونًا يطمئن عند رؤيتها!، فارق يدًا تشعره الوجود!، خَسِرَ حبًا وهبه الحياة!، أنا لم أفارقها فحسب، وإنما فارقْتَني!، لا تقل علاقة انتهت!، بل قل عذاب بدأ!، ألم اشتد!، ولا تسألني كم من الأيام شُغلت بها!، بل سلني كم من عمري كان لأجلها!، كم حلمًا أصبح سرابًا كانت فيه هي الشريك؟!، كم نبضًا من القلب كان لها؟!، كم كنت لها!... أيعقل أن يكون شفائي من الشوق أن أشتاق أكثر؟!، أن أكون كما قال:

بُرْئي من الشَّوْقِ أنْ أشْتاقَ مِلءَ دمي
حَظِّي مِنَ الوَجْدِ: يُطْفِينِي ويَشْتَعِلُ..

ماذا أصنع في حنين قلبي؟!، كلما توسلت إليه بألا يرهقني فيرهقني أكثر!، وكأنه بات يكرهني لأني قسوت عليه!، يعاقبني لأني حرمته ممن يحب!، يهجرني ويدق لها من جديد كلما ذكرت!، وبدون ذكر أيضًا!، كأنه لا يريد العودة إلى اللاحياة مرة أخرى وأنا من أجبره عليها!... لن أخفي عليك أن فراقها أرهقني، يرهقني، وأتوقع المزيد!، صدقني لو أنه بيدي ما أحببت!، فأنا لم أشتهِ السهر ولا البكاء!، أنا متعبٌ جدًا!، صدقني أن تلك الدمعات ليس مجرد ماء!، بل هي روحٌ تخرج في صورة سائلة!، صدقني إنني عندما

أضحك الآن وتتعالى أصوات ضحكاتي هي في الحقيقة صرخات!، أنا أضحك لأني لا أستطيع الصراخ!، حتى لو أن الآه تكفى لصرخت بها، لكن لا شيء يكفي، لا شيء يشفي!...

كلمة فراق كنت أسمعها!، أعرفها!، أحفظها!، لكن لم أعرف أبدًا بشاعتها، غلظتها وبطشها إلا بعدما صرت من ضحاياها!، كلمة لم تكن تسكن مدينة حبي وأحلامي، لكنها جاءت فدمرتها وشردتني!، ربما أدركت الآن فقط معنى الفراق!، ربما آمنت حقًا بما كانت تخبرني به إحداهن بأنها تحس ألمًا في قلبها وذراعها الأيسر حين تبكي من قسوة من تحب وفراقها له!، ربما الآن آمنت أن وجع القلوب حقيقة!، ربما آمنت أن زمن الفراق وأيامه لا يمر إلا أن أخذ معه من الروح والدماء الكثير!، ربما في الفراق فقط أدركت أن للساعات عقارب تلدغ لتذكرنا بالفراق، وترجعنا إلى الألم كلما غفل عنا!، ربما حين كان يقتلني البعاد لم أكن أعلم ما تفعله الفرقة!، لكنني الآن أعلمه!، ربما أدركت أن بعض الحروب لا يصح السعي فيها إلى النصر، بل أن تحاول الخروج منها بأقل الخسائر!، ربما تتمنى فقط أن يتبقى لك منك شيء!...

أتذكر كل مرحلة أمر بها بعد فراقنا!، ما أبشع الفراق كلما ابتعد بالزمن ولم ينتهي بعد!، أتذكر كيف تلقيت صدمتي بقرارنا الذي جررت إليه بصمت؟!، بصمت غاضب!، بهدوء قاتل!، وأقول: ليت أني ذو طبعٍ عصبي مجنون يستطيع أن يخرج ما بداخله فورًا!، و أندم على ما تزامن مع صدمتي من الكبر!، العناد!، الغرور في المحافظة على القرار!، أوهمت نفسي أني على ما يرام، بل أنا بخير جدًا!، لكن بعد الاستفاقة من الصدمة

جاءني استيعاب القرار، بل استيعاب الكارثة!، ومن ثم رفض القرار الذي تغافلت عن عواقبه!، رغم أني لم أكن راضيًا عنه تمام الرضى!، ولا أقول الاقتناع!، فليس كل مقنع نرتضيه، وليس كل ما نرتضيه مقنعًا!، مضافًا إليه رفضي الاعتراف بواقعي الذي أصبحت أعيشه!، كيف بدونها الحياة أصلًا؟!... يرهقني أنني لم أعهد اضطراب نفسي قبل ذلك أبدًا بذلك الحد!، فلمَ الآن كل ذلك الاضطراب؟!، لا أعرف كيف أُوَفِقُ بين الرفض والقبول؟!، بين الرجوع عنه أو الاستمرار!، أريد أن أتقبل الوضع لكن يبدو أن الوضع نفسه لا يتقبلني!، مشتت بين قناعة عقلي ورضاء وإلحاح قلبي!، وكأني أساوم نفسي على قرار جديد قد يعيد إليَّ الحياة!، فمتى تنتهي تلك المرحلات قبل أن أنتهي؟!..

صديقي!، أعلم أنه سيكون هناك يومًا تُزال فيه هموم نفسي وأحزان قلبي!، أعلم أنه سيأتي!، لكن أأمل أن ياتي سريعًا قبل أن أفنى ولا يجد مني شيئًا!... أتعرف؟!، لا أعلم إذ ما كنت وقعت بالحب أم وقعت على رأسي!... لا، لا تُزدُ مواساتي لأن المفقود أعظم بكثير من مجرد مواساة!، لو كان يجدي لجنّدت جيشًا يواسيني!... في النهاية فقط أريد أن أقول: لو كان يجدي، لشكوتك أيها الفراق إلى الله!...

مساء الخير صديقي العزيز...

مر بضع أيام على رسالتي السابقة إليك، ولم نتناقش فيها حول الفراق كما اعتدنا على المناقشة بكل الأمور!، ألا تلاحظ ذلك؟!، حقيقةً حينها لم أستطع أن أكتب أي شيء غير ما كتبته!، لم أكتب لك حتى كل ما كنت أرغب في البوح به!، أو إخراجه من صدري!، لكن كنت أعلم أن لنا في الفراق بقية!، لنا فيه حديثًا عنا جميعًا وليس عني وحدي!، لأنه للأسف زار الكثيرين ودمر أحلامهم وكسر قلوبهم!...

إن الأسباب التي تَجُرنا للفراق تختلف من علاقة لأخرى، وتبعات الفراق ونتائجه وتأثيره على النفس متفاوت كذلك!، لكن نحن في الفراق قد نشترك في الألم والحزن!، في التخبط والاضطراب!، نشترك بأنّا لانريد الرحيل فحسب، وإنما نريد أخذ نصف الروح الساكنة بجانب قلوبهم لنا، و انتزاع النصف الآخر الساكن بجانب قلوبنا لهم، لئلا يرجع كل مفارقٍ بروحٍ كاملةٍ، لكنها وحيدة!، تاركة كل منهما روح الآخر شريدة، متعبة و معياةً!، قد تكون أسباب الفراق كثيرة، لكن الأهم من السبب هو أن كل إنسان يعلم لم تَرَك؟!، لمَ قرر البعد والفراق!، يعرف إن كان ظالمًا أم مظلومًا!، أم ظالمًا ومظلومًا!، لأن في النهاية كل منا يمتلك أسبابه!، وغالبًا ما يفضل الكثير منا ألا يذكر السبب الحقيقي للفراق!، لأنه قد يساء فهمه أو يُنظَرُ له على وجه الغدر!، أنا لا أبرر لقرار الفراق، لكن أعتقد أن من أحب بصدق لا يمكن أن يأخذ قرار الفراق إلا بعد أن يكون قد أخذ الوصال منه الكثير!...

لقد قلت لك في المرة السابقة أنني تركتها، وما قلت ذلك إلا لأني كنت أحس هزيمة لكبريائي في أي صيغة أخرى!، لكن الحقيقة أنا لم أتركها، بل أننا اتفقنا على الفراق!، كان نوعًا صعبًا وموجعًا!، لكني بعد التفكير الذي أحاول فيه أن يكون العقل أسبق إليه من أي شيء آخر، لم أعد أجد الهزيمة لكبريائي أصعب من أن أُتهم بشيء آخر!، وهو أن أثبت أني كنت البادئ بالهجر والفراق والغدر!، الهزيمة الحقيقة أن تَعلم الحقيقة وحدك، ثم تخرج على الجميع وتعلن أمامهم النصر!، كثيرًا ما نجد أحدهم أو إحداهن يتفاخر و يقول: أنا من تركتها! أو تقول: أنا من تركته!، كأننا نفتخر بأننا لسنا أوفياء!، بأننا خائنون!، بأننا لا نهتم ولا نقدر من يهتم بنا ويقدرنا!، بأننا لا نصلح للحفاظ على الحب!، هل يصح اعتقاد المرء منا أن اعترافه بأنه كان متمسكًا للحظات الأخير، وأنه لم يخدع، وأنه كان صادقًا، وأنه كان محبًا مخلصًا، إن تلك الأشياء تنقص منه!، أو تجعله يبدو ذليلًا ومهزومًا في نظر الآخرين؟!، كلا، أعتقد بأن هذا يجعله إنسانًا صريحًا وصادقًا!، لمَ نهتم بالنصر الزائف أمام الناس وننسى أنفسنا؟!، قد تكون الحقيقة مؤلمة وفي بعض الأحايين مهينة!، لكن علينا ألا نجرح إنسانيتنا بالكذب!...

كل شيء في الحب يمكن ألا يكون إراديًا، إلا الفراق غالبًا ما يكون كذلك!، لكن الحب بسلطانه يعاقبنا بكلمة واحدة "تحمله"... قرار الفراق عندما يكون صادرًا عن العقل غالبًا لا يصح الرجوع عنه، لأن العقل لن يترك قراره!، وهو بارع في الدفاع عن قراراته كثيرًا، أما تلك الفراقات الناتجة عن الغضب والشعور غالبًا ما يكون الرجوع عنها سريعًا وسهلًا، فنحن أيام أن

كنا سويًا اتفقنا كثيرًا على الفراق للأبد، ثم نكتشف بعدها بلحظات أن الأبد يمكن إدراكه!، كان الأبد يجيء سريعًا ويكأنه منتظرا خلف القرار!، لأنها كانت قرارات سريعة وغير عقلية أو منطقية!، لذا كان الرجوع عنها سريعًا أيضًا!، أما قرارنا الذي افترقنا بسببه كان قرارًا عقليًا منطقيًا إلى حد كبير!، لذا الرجوع عنه أمرًا بات مستحيلًا!، على الأقل عندي!، أعني أن أقول لك أن القرارات الناتجة عن الشعور أمر يسير الرجوع عنها بمجرد أن يزول ذلك الشعور أو الإحساس بعكسه!، أما قرارات العقل فتدوم بدوام التفكير، وأن التغافل لن يُذهب التفكير كثيرًا!، لأن العقل إذا سطع نجمه في سماء علاقة ما لا يمكن أن يزول سطوعه مرة أخري!، لذا أذكر لك جملة كانت تقولها لي حبيبتي، أقصد من كانت!، وهي جملة أعتبرها صحيحة ومنطقية، وأعمل بها أيضًا "ما يترك بالمنطق لا يسترد بالعاطفة"...

في الحب، الفراق بهدف أسمى من الوصال بلا هدف!، فإذ لم يكن الوصال هدفه البقاء دومًا فلا للوصال معنى!، ربما تهدم العاطفة والحنين ما بناه المنطق أحيانًا، لكن الوصول إلى درجة الاستناد للمنطق في اضطراب العلاقة دليل عدم القناعة بالبقاء فيها!، فيكون المنطق أسبق إلى الأمر الخير من العاطفة!، فلا يصح أن نكمل أو نعطي الآخرين أملًا بالبقاء إلا إن أُعطي العقل إشارة لإمكانية البقاء!، وذلك لأن العلاقات فيها من المؤشرات ما يكفي لتوضيح مسيرتها!، بحسب ما أرى أن غالبًا ما يكون هناك مؤشر بعد فترة قصيرة من بدء العلاقة عن إمكانية استمرارها!، دعني أعطيك تشبيهًا، لعلك تمشي في إحدى الطرق ويكون السير فيه إلى الأمام، بغض النظر ما إن كان السير سهلًا أو صعبًا، يسيرًا أم به من العقبات الكثير!، ما يهم أنه إلى

الأمام!، أي إنك تحرز تقدمًا، ثم تأتي عند نقطة معينة تجد أن الباقي من الطريق دائري!، كلما مشيت فيه ترجع لنفس النقطة!، ثم تفكر في كل مرة_ لفة_ أنه لا طائل من السير في ذلك الطريق!، لكنك تسير فيه دون وعي أحيانًا!، أو بتغافل في أحايين كثيرة!، ثم بعد أن يتعبك السير ولا جديد يذكر تبدأ في إخبار نفسك إنه لا طائل من المسير!، فتقرر الرجوع من ذلك الطريق بعد أن استهلكت من طاقتك الكثير!، هي العلاقة كذلك المثال في نظري!، نصل إلى بعض المواقف تعلمنا إن كنا سنظل سويًا أم لا محالة سنفترق!، لذا بكل أسف، في بعض الأحيان يجب أن يكون الفراق هو القرار لأنه الصواب!، في بعض الأحيان يكون الفراق كمال الحب!...

إن أسوأ ما قد يمر على العلاقة أن نستمر بها لأننا نخاف تبعيات الفراق!، لأننا لا نحب أن نكونوا وحيدين!، وليس لأن الحب والشغف وقودها!، ولا البقاء هو الهدف!، أو أننا نخاف من الفقد!، ودعنا نفرق بين الفقد والفراق لأن الكثير يخاف الفقد!، نحن أحيانا نخاف أن نفقد ما ينتج عنهم، وليس أن نفقدهم!، ففقد الشخص هو فراقه كذات!، بينما فراق ما ينتج عنه هو فقد فحسب!، كمثال قد نفتقد الاهتمام وليس الشخص!، وكذلك قد نخاف من المجهول!، فنسل إن افترقنا ماذا بعد؟!، وكذلك من أسوأ ما يمكن أن يمر به أحد منا في علاقته ألا يريد البقاء، وكذلك لا يريد أن يظلم الطرف الآخر!، شعور أتوقعه مؤذيًا ومؤلمًا وسخيفًا!، لكن البقاء في مثل تلك الحالة لا يعد قرارًا صحيحًا!، لأنه سيأتي يوم ويكون فيها الرحيل واقع!، في نظري، إن تمرد الحب علاجه الفراق!، لا شيء آخر!، ومنه علينا أن نحدد دائمًا مكانتهم، نحدد من هم في قلوبنا!، علينا أن نبقيهم في حياتنا

لأجلهم فقط، وليس كي نحصل على ما ينتج منهم!، علينا أن نعلم أن الحب غاية وليس وسيلة!...

بما أن الفراق يستند إلى العقل أكثر من العاطفة، فأعتقد أن الآن هو الوقت الأنسب للإشارة سريعًا عن العقل والعاطفة في العلاقة!... قد يظهر العقل والقلب متناقضين، وقد تظهر العاطفة معاكسة للعقلانية!، لكن في الحقيقة أن كل منهم يكمل الآخر!، فقد يُقوم العقل طيش العاطفة!، وقد تُقوم العاطفة جبروت العقل وتلين صلابته!، لكن العقل في مثل تلك الأمور قلما يخطئ!، لأنه جيد في الإدراك والاستدلال والتحليل!، أما العاطفة أشبه بطفل يبكي من أجل أي شيء يتعلق به!، فيكون العقل هو ذلك الأب المرشد!، قد يقسو عليه ويمنعه ويحرمه!، لكنه دائمًا في مصلحته!، أعلم أنه لو كان الأمر متروكًا للعقل فقط ما أحب إنسانًا منا!، ولو أنه متروكًا للعاطفة فقط لما انتهت علاقة واحدة وما نجحت أيضًا!، لذا العقل فقط يحدد مسيرة العلاقة ومصيرها بعد أن تبدأ وتدخل في مرحلة الوعي والنضوج!، في البدايات يكون الإحساس أقوى بكثير من أن يوجد التفكير!، لكن إذا علا صوت التفكير لابد أن يُسمع!، وقد قلت لك سابقًا إن العقل حين يتدخل في العلاقة إما يقومها ويبقيها أو ينغصها ويفنيها!، لكن ليس كل الأشخاص يمتلكون نفس القدر من منطقية وقدرة التفكير، وبالتالي لن تتشابه النتائج!، إن التحليل العقلي والمنطقي يتفاوت بين الأشخاص!، فكلما كان الشخص مدربًا على الإشراك العقلي والتفكير كلما تظهر نتائج الحكم سريعًا، لذلك الأشخاص الأكثر منطقية والأدق تحليلًا إما أن تنتهي علاقتهم سريعًا أو تذهب إلى البقاء الأبدي!، لكن

كارثة أن يحدث لهم مثلما حدث معي!، كانت كارثة أن أمتلك عواطف جامحة وعقل منطقي!، قمة العذاب..

إن العقل لغةً هو المنع!، وليس التفكير السديد!، فربما الهدف من العقل في الأساس هو منعك مما تريده نفسك وعاطفتك!، والعقل في بعض الأمور وقح!، ربما لا يخجل من اتهام مَن تحب بأي شيء!، أو تحليل عيب فيه!، لكنه كذلك نزيه جدًا!، لأنه لا يحابي ولا يستند إلا للواقع والتحليل، أما العاطفة قد تعمى عن رؤية أي شيء لاتريده!، وانتصار العقل غالبًا ما يكون نتيجة قوة حجته وكثرة دلالاته!، وسلطته لا يمكن الإفلات منها في كل الحالات!، لابد له من مرة ينتصر فيها!، أما العاطفة كالأنثى!، لا تفوز إلا بضعفها القوي!، وانتصارها يسبب الهدوء المؤقت إن لم يكن مدعومًا من العقل!، بينما انتصار العقل يسبب الإزعاج المؤقت!، وكذلك قرارات العقل قد توفر لنا الراحة الدائمة!، لكنها لن توفر السعادة في كثير من الأمور!، لأن السعادة غالبًا ما تكون في تلبية متطلبات الروح، أقصد العاطفة!، ولن أنكر أن العقل قد يكون في بعض الأحايين جبانًا، لكن العاطفة قد تكون متهورة!، لذا ليس من الصحيح أن نقول إن قراراتنا العاطفية دائمًا على خطأ!، أو أن العقلانية دائمًا على الصواب!، فربما وجودهما معًا يؤول بنا إلى الصواب إن استطعنا أن نوفق بينهم، لكن يبقى أبشع ما في الفراق أننا لا نستطيع أن نوفق بين احتياج الروح وقوة العقل!....

أتمنى لك إن أحببت ألا تفارق، لا أريد أن يزور الحزن قلبك!، ولا يكون الألم رفيقك!، لكن ربما يأتي يومًا وتصبح فيه كما أنا!، أو كما الكثير منا!، لذا أريد أن أخبرك أشياءً حاولت أن أفعلها لأنني رأيت فيها الصواب، فربما تحتاجها ذات يوم، وأرجو ألا تحتاجها!.... صديقي إن فارقت من تحب لا تسيء إلى مواجهة أو بين جلاسك عند الفراق أو الخلاف!، فلرب عودة تجعلك تندم على الإساءة!، وإن نويت الرحيل دون تراجع لا تضع نفسك في موقف يجعلك تغار عليها!، لأنه سيجدد الحب، وقد يزيده ويرجعك إلى ما تحاول أن تتوب عنه مرة أخرى!، ولابد من قطع كل الروابط والصلات بينك وبينها حتى لا تدع لنفسك فرصة للتذكر أو الرجوع!، واعلم أنك حين تفارق تكون ضعيفًا، بل ضعيفًا جدًا!، وهو ما قد يجعلك تستسلم لرغبة أي واحدةٍ منهن كي تكون بجوارك!، أو يأخذك ذلك الشعور بالضعف إلى الاعتقاد بأنك تحمل مشاعر تجاهها!، وهي مشاعر زائفة لا وجود لها من الأساس!، فما أن تتعافى من جرح فراقك تكتشف أنك لم تحب تلك التي شعرت بحبها نتيجة ضعفك!، وتكتشف أيضًا أنك استخدمتها كجسر للعبور من شاطئ الأحزان!، وهو ما يترتب عليه انهيار الجسر وسقوطه!، أقصد أنك ربما إن فعلت ذلك تجد من يخرجك من أحزانك وينقذك من وحدتك!، لكن لا محالة ستظلمه!، لذا أعتقد أنه علينا أن نتحمل أي شيء كي لا نقع في ظلم أحدهم!، عليك أن تبقى وحيدًا حتى تتعافى!، وأعتقد أن للقلب فترة استرجاع لذاته!، لا يستطيع أن يحب فيها أحدًا آخر!، لذا من يخرج من علاقة ويدخل في أخرى هو شخص لم يحب يومًا، أو أن قلبه نفسه لا يعرف الحب!، وما أريد أن أحذرك منه أنه حين

ينقلب الحب على صاحبه قد يحول جماله إلى قبح!، وهدوءه إلى غضب!، وسكينته إلى هياج!، فثأر الشخص لقلبه قد يجعله يتحول من ملاك إلى شيطان!، فلا يجدر بنا أبدًا أن ننتقم ممن كنا نحمل لهم أرق المشاعر وأنبلها!، حتى وإن بالغوا في الأذى!، وإن انقلب الحب إلى حرب بيننا، يتحتم علينا إنهاء الحرب، وبدون أن نخسر كثيرًا، لأنه ربما من ينجو من الحرب يتحول إلى شريد!، ودقق فيما تنطق به عند فراقك، فكثير من حقيقةِ الإنسانِ تظهر على لسانه لحظة فراقه!...

الوحدة..

مرحبًا صديقي العزيز!...

مر الكثير من الوقت و يبدو أني لازلت أعاني بعض شيء!، وأنا حين أشعر بالمعاناة والضيق لا أجد مخرجًا إلا في قراءة بعض الكتب!، أو كتابة بعض الأفكار!، وقد مللت القراءة اليوم مبكرًا، لذا سأكتب لك شيئًا عن معاناتي!... لن أراوغك الاعتراف بما أعاني منه!، ربما هناك الكثير ما يدفعني لقول معاناة، لكن، تظل الوحدة أكبر معاناتي!، لا شيء آخر يكبرها!، قد يبدو الأمر لك موصومًا بالمبالغة!، لكن ربما مع شخصٍ عالمه محدودٌ مثلي يكون الأمر أكثر معاناةً وإرهاقًا!، ولا أقصد حدودية الطموح أو الهدف، وإنما محدودية الأشخاص، تعلم أني شخص اجتماعي منعزل!، يظهر كثيرًا بين الناس لكنه ليس موجودًا معهم!، لأنه في نظري الظهور لا يعني التواجد!، أنا ظاهرٌ هنا، لكني موجود بمكان آخر!، بمكانٍ فيه روحي وقلبي!، لذا أشعر بالوحدة في كل الأوقات، أتذكر الآن بخيت حين قال:

إذ لم يكن لك في البلاد حبيبةٌ.... فكل البلاد مؤجلة.

إن الوحدة يا صديقي أن تكون بين آلاف البشر وقلبك لا يميل لأحدهم!، الوحدة ليست وحدة الأبدان، وإنما وحدة الأرواح والقلوب!..

لن أخفي عنك جزءًا من حقيقتي، فأنا لست بتلك الصلابة التي تراها بالنهار دومًا!، فهناك ما يدعي الليل، ذلك الشيء الذي انقلب عليّ فأدماني!، ويكأنني سرقت أنجمه!، ذلك الجزء من اليوم الذي تستريح فيه الأبدان وتهتاج فيه المشاعر، فبعضها كان لطيفًا يشبه يد حانية تربت على صدري كي يهدأ قلبي من فرط اشتياقه ولوعته، فتغفو عيني وتنام لحظًا!، لكنه كان أما الآن انقلب الليل ومشاعره إلى شيء موحش، بعضها كأنياب الذئاب ومخلاب الأسد حين تمزق في لحم الحي!، وآه من التمزق حين يكون في القلب!، إن لليل أنيابه ومخالبه ونابه الفتاك هو الوحدة!، الليل يا صديقي ليس مظلمًا فقط، بل ظالمًا!، يقتلني كل ليلة ألف مرة ولا يكتفي!... لقد جربت الكثير من قسوة الشعور، لكني أبدًا لم أجد أقسى من الوحدة على نفسي!، ورغم أني كنت بمعظم حياتي وحيدًا لا يؤنس ليلي إلا كتابًا أو ما شابه مما يسلي، لكني لم أحس قسوة الوحدة إلا بعد الحب و الفراق!، لذا أعتقد أنها أشد على من تمتع بنعيم الأنس وجماله!، و الشعور بالأنس ليست المشكلة فيه أنه يختفي حين الفراق! وإنما الشعور بعكسه هو ما يؤرق النفس، ويجعلها وحيدة ومشتاقة إلى الشعور بالأنس أكثر من الشخص، أو إلى الشعور بالأنس وحده!، بل أنه بعد فترة ربما لا يدخل الشخص في حسبة الاشتياق أصلًا!، و الوحدة تكون أصعب على ذلك الشخص الذي يمتلك الكثيرين ممن يرجون وده، لكنه لا يسمح لأحد

بالاقتراب منه!، فيظهر كأنه صخر والحقيقة أنه يشتاق لمن يلاطف روحه!، و ربما تشتاق الروح للملاطفة فقط، وليس لشخص ما يلاطفها!، و ربما يريد القلب أن يدق فحسب، وهو يعرف أنّ لا أحد يروقه!...

لقد تغير بي الحال كثيرًا في وحدتي، أصبحت أكثر حساسيةً تجاه أي أمر أشاهده!، سواء كان الإحساس بالمبالغة أو اللامبالاة!، كلاهما لا يساوي حجمه!، إن شعور الحزن أصبح يؤثر في نفسي كثيرًا!، تتجدد آلامي وأحزاني مع كل شخص أراه يتألم!، ذلك كان في طبيعتي!، لكنه أصبح أكثر تطورًا ومرارة!، أصبحت أراقب الأحداث من بعيد!، أراقب الأفراح!، الأحزان!، أراقب كل شيء، وأبتعد عنه!، حتى لا أتقاسم شعوره مع صاحبه!، وإن كانت معظم محاولات هروبي تبوء بالفشل!، أبتعد عن كل شيء كأني أصبحت بعالم لا يروقني معيشته ولا أي شيء فيه!، لأنه في الحقيقة أنا لا أريد أن أنسى مجرد شخص، بل من كانت تمثل العالم!، لا أريد أن أتعود على العالم بدونها، بل أن أعود العالم أن يكون بدونها!... إنني يا صديقي أصبحت حين أحاول أن أقنع قلبي بأنه يومًا ما سينساها ويحب غيرها أخاف فجأة!، أخاف أن أتعلق بأحدهم فنفترق!، أعلم أنه من الخطأ ان يكون تصورنا للحب مجرد تصور لنتائجه، لكن ها أنا الآن أقع في تلك المغالطة ولا أعرف كيف النجاة منها!، كارثة أن يكون ما أحاول أن أقنع به غيري بات على إقناع نفسي به أولًا!، لكن ربما يحدث بعد ذلك أمرا!...

ها أنا صابر إلى أقصى الحدود!، لا أتكلم ولا أكاد أتنفس!، وإن كان الصبر في الفراق والوحدة ليس مفتاحًا للفرج، بل الاستسلام حتى تأخذ الليالي منا

ما تشاء!، صدقني ليست البلوة أن نصاب بالحزن، بل إننا لا نستطيع تحمله!، و ما يؤلمني أني لا أستطيع منع الحزن من أن يتسرب إلى قلبي!، لأنني كذلك لم أمنع الحب حين دخله!، وعدم مقدرتي على الخروج من عباءة أحزاني أشد قسوة على قلبي من الفراق!، إنها هزيمة نكراء حين لا أجد مفرًا من التأقلم مع الحزن!، مؤلم أن أتجاهل وقلبي معلق!، أن أقول بخير وأنا مشتت!، أن أجبر عيني على عدم النظر وقلبي مشتاق لرؤيتها!، أن أتناسى لأنه لا سبيل للنسيان!، أجبرت عيني على عدم رؤيتها، لكن خيالي يرسمها بأبهى الصور!، يصورها كفتاته إلى الآن!، وروحي تسافر إليها بعدما أجبرت الطريق ألا يكون واحدًا بيننا!، لكن أخبرني يا صديقي كيف لي أن أجد طريقي؟!، كيف لي أن أجد طريقًا يشبه ما كنت أسلكه؟!، الطريق الذي أحببت فيه نفسي أكثر من أي طريق!... أنا يؤلمني الحنين لها، ويقتلني الحنين إلى نفسي!....

أتعرف؟!، على كل المحبين أن يحمدوا الله على المشكلات!، لأنهم لم يصلوا بعد إلى الفراق، ولم يجربوا قسوة الوحدة!، على الذين لا يطيقون الخلافات أن يسألوني عن البعاد!... يا للألم حين تنام عمدًا لتنهي يومك!، ثم في الصباح تبكي عليه لأنه من عمرك!، مؤلم أن يكون كل مطلبك في الحياة أن تنام بلا حزن ولا ألم!، مؤلم أن تكره الجمال الذي حولك لأن كل شيء جميل يذكرك بها!، بشعٌ أن تحاول الهروب من الوحدة فتسقط في المزيد منها!، أن تكون أقصى أمانيك ألا تبقى وحيدا!، وليس أن يأتي من تحلم به!، محبط أن تتذكر خفة خطواتك و وثوقها ومَلَكيتها حين كنت بجوارها، وإذا بها فجأة تشردت!، فتصبح خطوات مبعثرة محملة

بالأسى!، وجعٌ أن تسمع كثيرًا عن"الوجع"، ثم فجأة تصبح قرينه!، كارثةٌ أن تخاف ألا تنسى ولا تروح عنك جراحك!، أتذكر الآن حين أنشدني صديق لي ذات مرة، وقال:

وأتى ليسأل شيخه مستفتيًا .... ماحد من سرق الفؤاد وهاجرا

قد كان يعلمُ أني أهوى قربه .... ما كان حُبّي له هشًا عابرا

أيحلُّ أن يسرق فؤاد خليله .... فينسى الهوى ويتْرُكْه مغادرا

فأجابه الشيخ متبسمًا وعيونه .... تذرف دمعها على الخدود تناثُرا

إن القلوب إذا هوت وتآلفت .... يُعيي طبها الطبيب الماهرا

فأنا طال عمري ومُدَّت سُنونَه .... مازال يُتعِب قلبي فؤادًا هاجرا

أنا لم أعد أبكي!، لأنه عند فراقها كانت عليها من عيني دمعة لو أخذت قدرها لأغرقت العالم!، لكن صدقني ليس لأن عيني لا تدمع معناه أني لا أبكي!، فما أصعبه أن تبكي بلا دمع، وأن تموت بلا مفارقة للحياة!، والدمع يا صديقي ماء ميت!، مات في حرب الأشواق والهجر والخذلان!، أو أنه منتحر لأنه لم يتحمل رؤية قهر صاحبه!... قساة هم حين يقولون: أرجل يبكي؟!، نعم يبكي!، ولمَ لا؟!، أليس من حقه أن يخرج ماءًا تغلى منه عينه؟!، أليس من حقه أن يصرخ ليخرج صيحة تفجر رأسه؟!، أليس من العدالة أن ينفجر بركان ثائرٌ بداخله؟!... مأساة ألا يكون من حقي أن أحكي ما يؤلمني، أن يكون من الواجب أن أظهر كما تعود الناس أن يروني!، مأساة أن يكونوا من حولي تعودوا الحكي، ولم يتعودوا السماع!، لمَ لا يكون من حقك مثلًا أن تظهر ضعيفًا ذات مرة ولا تقرن صفة الضعف

بك بعدها؟!، لمَ ليس من حقك أن تحكي ما يؤلمك وينظر لك على أنك لازلت رجلًا حتى في وقت ضعفك؟!.... إني لأحسد المرأة على حظها في البكاء والصراخ والضعف!، ربما في بعض الأحيان يتوجب علينا المساواة بالمرأة!..

لقد علمتني الوحدة الكثير، علمتني أن الإنسان بلا حزن شبيه إنسان!، لأن هناك الكثير من المشاعر التي لا يمكن إدراكها إلا من خلاله!، وهي جزء من الإنسان فلا تكتمل مشاعر إنسانيته إلا بإدراكه!، علمتني قيمة حسن الاختيار، وإن كان ليس دائمًا يكون الاختبار بأيدينا!، وتحديدًا أنا لم يكن بيدي!، لقد علمتني الوحدة الزهد في الحياة، أصبحت راضٍ بالقليل لأني في كثيرٍ من الأحايين أكون مجبرًا على الرضاء بالعدم!، ربما الوحيدين متصوفة الحب!، علمتني أن لا أحد ينبغي عليه أن يتحمل شيئًا من معاناتي!، فبرغم الحزن أبتسم، وبرغم الهم أفرج عن غيري الهموم!، فإن ضاقت بي الحياة وانقطعت بي السبل ولا أستطيع التحمل أكثر ألجأ إلى وحدتي!، تقتنلي لكنها لا تضر غيري!، تعلمت أن الوحدة لا تختصر في كلمتها، بل بأن لها اتباع كالحرمان والاحتياج!، نحن في الوحدة ضعفاء، محتاجون، نحتاج إلى الكثير، بل إلى الكثير جدًا، لكن لا وجود إلا للقليل أو العدم!، وأدركت أن وجع الحرمان لا يؤثر كثيرًا على من عاش محرومًا، بل على من ذاق طعم الشبع!، وأدركت أن الحاجة في الوحدة لا تصلح أمًّا للاختراع!، لأنه لا يصلح القلب إلا نبضه!، ولا يرجع له الروح إلا حبه!، وهؤلاء لا يأتوا بالحاجة، وإنما حين يحين القدر!...

رغم كل ما قلته لك عن آلام الوحدة والفراق أظهر كشخص في غاية الصلابة والفرح أحيانًا!، ورغم أني أتمنى أن لو كان الرجل قادرًا على البوح بما يؤلمه كما المرأة إلا أنني إن أمكن ذلك لن أفعله!، فأنا أفضل الموت على الوقوف ضعيفًا أو منكسرًا!، ولو كان بداخلي ألف ضعفٍ وانكسار!، ولو أني لم أحكِ لك ما أدركت أنت أن بي وجعًا، أنا أبتسم لأن الكبرياء لا يليق به البكاء!، أبتسم لأنه من الواجب أن أغلف الصراخ بأغلفة من الضحك!... أنا أنكر عليَّ طبيعتي في بعض الأوقات لكنها طبيعتي!، لا يمكنني الإفلات منها في كل الأحايين!، لا أتراجع في بعض القرارات، وذلك ما يجعلني أتهم نفسي بأني سبب حزني وألمي الذي أنا فيه!، أقسو على قلبي بكبريائي!، كدت أخلعه ذات مرة وهو يترجاني بالرجوع!، وإن جاءتني هي الآن معتذرة ومترجيةً، سأخبرها بأنها لم تزل كل شيء، لكني سأختار وحدتي!... أن تقسو عليك طبيعتك ليست أقل قسوة من قسوتهم!، ورغم علمي بأني سأتألم أكثر إن بُحت بما يؤلمني، فعلت!، وها أنا أنتظر اللوم والتأنيب!، ربما فعلت ذلك لأن الأمر ليس سهلًا، نعم، لو كان الرحيل عنها لكان الأمر سهلًا، لكن الحقيقة أنني أريد الرحيل منها!... لا أعلم لمَ كل ذلك؟!، لمَ الحياة هكذا؟!، الحياة التي جمعتنا بابتسامة وفرقتنا بدمعة!، فلمَ الابتسامات ولمَ الدمعات؟!، لكني أعلم كذلك أنها مجرد محطة!، وليست نهاية الحياة!، لكنها محطة مؤلمة، مرهقة، ليس بها حياة!، و لتعلم أن الوحدة- يا صديقي- لا يحكى عنها، لأنه من رأى ليس كمن سمع!، ولتعلم كذلك أني لمْ أستطعْ أن أخبرك عنها كما أريد!، لكن هي بكلمة واحدة... بشعة!...

الحب والجنس...

طاب مساؤك صديقي العزيز...

تذكرت اليوم أنني قلت لك من قبل في رسالتي إليك(الحب والمجتمع) أني سأكتب لك شيئًا عن أشياء تقرن مع الحب في كثيرٍ من الأحايين والمجتمعات!، وقد اخترت شيئًا مهمًا و هو الحب والجنس، لكن ما قد مررت به جعلني أتوقف عن كتابتي فيه إليك!، لكنني الآن، وبعد مرور الكثير من الوقت أحس تحسنًا أتمنى أن يكتمل!، لذا أعتقد أني أصبحت قادرًا على الكتابة بغير الأسى!، وأتمنى كذلك أن أجيد التعبير وأن أصل إلى قدرٍ من الدقة فيما أكتبه إليك في تلك الرسالة!، وقد عاودت الكتابة فيها لأنه أمر _ أي الجنس _ لا مفر من التعامل معه أو مع ظواهره في كل العلاقات العاطفية الحَسنة والغائية كذلك!، وإن كنت قبل ذلك أخاف الحديث عنهما سويًا، لأن الحب وحده في غاية التعقيد، وكذلك الجنس أعقد!، فما بال أن يضاف المعقد إلى الأكثر تعقيدًا!، إن أمر الجنس والحب أمر مشتبك وملتف وكثير الحيثيات من حيث الرغبة، الدوافع،

المتعة، الحس والجمال!، و مضافًا إلى خوفي من ألا أجيد الحديث فيهما سويًا عدم حبي للانخراط داخل محرماتنا الفكرية كلها والحديث عنها!، وأنت لا يخفى عليك أن كل المجتمعات المتأخرة تعاني مشكلةً في قبول الحديث عن الجنس والدين والسياسة!، وإن كانت تلك المجتمعات تعاني مشكلات مع الثلاث ومنها!، وما يعوق حلها هو عدم اعترافهم بوجود تلك المشكلات أصلًا!، لكني لن أتردد مرة أخرى في إكمال رسالتي إليك!....

دعني في البداية أقص عليك شيئًا من تاريخ الحب والجنس لدى الإنسانية، لأن التاريخ ليس فقط للقراءة والعبرة!، وإنما هو خط سير للدلالة على الأصل فينا!، ومن الأصول الجنس والحب، فمذ خطا الإنسان خطاه الأولى إلى الحضارة والمدنية لم يعد يحتفي بالجنس لاحتفائه بخصب الأسرة وحفظ النوع!، لأنه قد أدرك الفرد تمامًا أن الجنس يحافظ على النوع لكنه لا يحافظ على الفرد!، فتأسست فكرة المتعة!، وأصبح الاحتفاء بخصب الحياة وبهجتها وجمالها مضافًا إليه خصب الأسرة بديلًا عن الاحتفاء بخصب الأسرة وحدها!، وكذلك لم يخل تاريخ الشعوب والحضارات من تقديس الجنس والحب، لأنهما مكونات أصيلة في النفس!، وكذلك لم ينفصلا في تلك الثقافات، بل جعلوا لهما إلهًا واحدًا، أعني إلهًا للجنس والحب معًا!، كافروديت عند اليونانين، إله الحب والجنس والجمال!، وهي ذاتها الإله فينوس عند الرومانيين!، وهي عِشتار عند البابليين!، وإنانا عند السومريين!، و عِشتاروت عند الفنيقيين!، وعند الكنعانيون عناة!، وعند العرب عشتر!، ولعل ما اختلف عن أولئك الألهة هو الإله إيروس، ابن الإله أفروديت، وذلك لأنه إلهًا للحب لكنه جامحًا في

الرغبة للجنس!، وهو ما تأسس عليه نوعًا خاصًا من الحب يدعي الحب الإيروسي!، سآتي إليه بعد سطور، لكن دعنا نتفق هنا أن كل الشعوب القديمة لم تفصل بين الجنس والحب من حيث ضرورة الوجود والتبعية!، وأقول التبعية ولا أعني ضرورة التلازم!....

نحن الآن بعصرٍ مختلف، يختلف من حيث الثقافة وتبعاتها من السلوك، وهي متغيرة بتغير الأدوات والمعرفة!، لكن ليس كل شيء يختلف أو يتبدل أو يُلتغي!، فثوابت الإنسان لا تتبدل وإلا يروح معها!، لكن يمكن إضفاء بعض اللمسات على الثوابت من خلال الثقافة أو الإزاحة عنها!، وهكذا الحب والجنس، فالحب ظاهرة انسانية متأثرة بالثقافة المجتمعية والأفكار الفردية، إذ أن الحب لا يحدد السلوك و كل المزاج الفردي أو النوعي في حالة وجوده!، فهو من الثوابت المضاف إليها أو المزاح عنها!، وكذلك الجنس هو ثابت مقيد بقوانين وأعراف مجتمعية وحدود دينية، وذلك لجموحه وهوسه!، وما يتغير ويتبدل بين الثقافات ومن مجتمع إلى آخر هو طريقة تناول الحب، وكذلك تقييد الحنس، من حيث ارتباطه بالحب، أو القبول فقط دون حب!، أو حصره في العلاقات الرسمية _ الزواج_ مثلما في مجتمعنا، وأعني في مجتمعنا عرفًا وقانونًا ولا أقصد وقوعًا، ونظرًا لتلك الإضفاءات الثقافية والعرفية لدى كل مجتمع، لا يحق لأي مجتمع أن ينعت غيره بالفجور أو العهر أو الفساد لأنه لا يشابه أفكاره!، ربما علينا نحن المجتمعات المتأخرة أن ننشغل بأنفسنا أكثر من غيرنا!....

إن جزءًا كبيرًا من تقييد الحب ومحاربته في مجتمعاتنا هو خوفًا من الجنس، لما تتسمُ من مفاهيم تخصها كالفضيحة والشرف والنخوة والحرام!، وهذا

لا ينقص منها وكذلك لا يرفع من قدرها!، لأنه في نظري لا يحق لك أن تحكم على غيرك من مجتمعات من خلال أفكارك!... إن تناول مجتمعاتنا _أي شبه الجزيرة العربية والشرق الادنى والشمال الإفريقي _ للحب يختلف عن تناوله في مجتمعات الغرب مثلًا، ففي الغرب الجنس مطلقًا بشرط القبول!، أي أنه جائز في الحب، بل قد يكون دليلًا على الحب في بعض المواقف وكثير من الأحايين!، فلو كنت أنت مثلًا شابًا ألمانيًا وتحب فتاة وهي بدورها، والجنس أمرًا متاحًا، فما يمنعها من أن تقيم معك علاقة جنسية؟!، لا شيء غير اعتقادها وسلوكها الفردي!، وربما الامتناع يكون دليلًا على عدم الحب إن لم يكن هناك ما يعوق الفعل قهرًا، إذن، الأمر مرتبط بثقافة الشعوب، ولا أتكلم عن الصح والخطأ!... أما في مجتمعاتنا فهناك خلط بين الجنس والحب من نوع آخر!، فهناك توجسٌ من الحب للخوف من الجنس!، لأن الكثيرون يعتقدون أن الحب لابد أن يؤول بنا إلى الجنس!، أو أن التعبير عن الحب يفضي إلى الجنس بالضرورة!، ومن تعاملنا مع الجنس كشئ محرم خارج إطار الزوجية، يضفي على الحب سمعةً سيئةً بوصفه ارتباط بين جنسين في النهاية دون إطارها!، فيصبح المحب أمام كارثة وكأنه أصبح يمارس فعلًا محرمًا دونما المساس به!، وذلك الخلط دون وعي أو دراية هو نتاج أن مجتمعاتنا قد تصل في بعض جماعاتها أن الرجل والمرأة لايجتمعان سويًا إلا أثناء التزاوج!، أقصد أنني عندما قلت لك أن شعوبنا مقتنعة أنها خلقت لتتناسل، و لا ترى تعاملًا للرجل والمرأة خارج نطاق الجنس!، حتى إن سلمت على إحداهن قد تثيرك!، هي بذلك الاعتقاد أصبح الحب بيننا ليس قيمة!، ولا

حتى قيمة مضافة!، بل يمكنهم بتره واستئصاله لأنه قد يؤول بهم إلى ما يعتقدون أنهم خلقوا من أجله!، وذلك المنهاج وتلك الرؤية دربًا من دروب العبثية المطلقة!، فأنا لا يمكنني أن أقول لرجل علينا أن نستأصل كبدك لأنه يومًا ما سيتلف!، أو أقول لامرأة علينا أن نستأصل رحمك لأنه يومًا ما سيصاب بالورم!، لا يمكن منع الأمر لتوقع حدوث شيء وليس حتمية وقوعه!، وأني دائما ما ألاحظ أن الشعوب المقهورة والمكبوتة مثلنا، دائمًا ما يكون التوقع الأسوء هو الأقرب إلى مخيلتها بكل الأمور!، لذلك هي تعيسة لأبعد حد!...

إن ارتباط الحب بالجنس أمر طبيعي!، لطالما تريد النفس المحبة أن تحيا كل حالاتها مع من تحب!، لكن إن سلمنا إن الأمر محكوم بمرجعية أخلاقية وثقافة ودينية معينة، فلابد أن ينفصلا حتى يحدث ما يجعل الأمر لا يتعدى تلك الضوابط!، وفصل الجنس عن الحب ليس أمرًا صعبًا أو يعد إشكاليًا!، لطالما يمكننا فعل كل واحد منهما على حدي!، أقصد أنه بما أنك تستطيع أن تمارس الجنس بدون حب، يمكنك كذلك أن تحب دون ممارسة للجنس!، وإن كنت أعتقد أن الجنس لا ينبغي أن يمارس تحت راية الحب وحده، فكذلك لا يفترض بنا أن نمارسه إلا مع من نحب!، أعني أنه ربما يتوجب علينا أن ننتظر من نحب حتى نعيش معه كل حالاتنا تحت راية الحب والرسمية معًا!، لأنه كما يبدو لي أن في تقييد الحب وإزاحة الجنس عنه متعةً لا يحسها من يمكنه فعل كل شيء!، لأنه دائمًا يتطلع إلى الكمال والوصول!، وكذلك لا أعتقد في جنس لا يظله الحب!، لأني أرى الجنس تحت مظلة الحب علاقة!، أما تحت راية الرغبة فقط

مجرد حالة فسيولوجية!، وإن كان الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستطيع منح الأشياء قيمة، أعني قيمة حسية وجمالية، فلابد أن يضفي إلى الجنس قيمة أخرى تخرجه من عالم الحيوان!، لأن تلك الأمور أراها توافقًا وانجذابًا، وليست تلبيةً لنداء الغريزة فحسب!، إذن، لابد أن تكون تحت مظلة الحب، وإلا تكون مجرد إرضاءً للنفس!، أو بكلمات أدق إرضاءً للجسد!....

الإيروسية أو الحب الإيروسي، حب سيء السمعة في مخيلات الكثيرين!، وأنا لا أراه سيء السمعة!، وإنما هو ثقافة معينة يتفق عليها طرفًا ذلك النوع من الحب!، لكنا نخلط بينه وبين الغائية لإقامة علاقة جنسية!، فالحب الإيروسي غايته نفسه، ونفسه تضمن الحب والجنس معًا، أما الغائية فالجنس غايتها و ظاهر الحب وسيلتها!، والإيروسية ليست عملية بيولوجية أو حالة فسيولوجية فقط!، وإنما هي ضابط إيقاع للإتمام العملية وبلوغ الحالة كما يجب أن تكون!، أما الغائية الجنسية هي مجرد حالة لتلبية نداء غريزة حيوانية!، وأقول حيوانية لما يكون فيها من مشاعر كاذبة وخداع بغيض!... لقد شبه أوكتافيو باث الجنس بالنار الأصلية البدائية التي ترفع اللهب الأحمر للإيروسية، وترفع الإيروسية لهبًا آخر أزرقًا مرتعشًا، هو لهب الحب!، أي أراد تأصيل لهيب الحب من لهب الجنس!، وأقام علاقة بين الإيروسية والشعر: الأولى شعر جسدي، والثاني إيروتيكية لفظية، كلاهما يتألف من تعارض تكاملي، اللغة قادرة على تسمية أكثر الأشياء انفلاتًا وتلاشيًا، الأحاسيس، والإيروسية هي الجنس محولًا إلى استعارة، إلى طقس وتمثيل، وكذلك المخيلة هي الوسيط الذي يحرك الفعل

الإيروتيكي والشعري معًا، المخيلة هي القوة التي تحول الجنس إلى طقس وشعيرة واللغة إلى إيقاع واستعارة!، علاقة الإيروسية بالجنس، كعلاقة الشعر باللغة!، الشعر لغة لا تريد أن تقول، بل تريد أن تكون؛ الشعر يريد ذاته، والإيروسية كذلك، لا تريد الإنجاب، بل تريد ذاتها، قد نقول أن الإيروسية هي انسراب الخيال إلى الواقع!، ومن المنطقي أن ينبثق الجمال من هذه الإرادة في تلك الحالة الإيروتيكية والشعرية معًا، ذلك إن كان نتاج ثقافة موحدة بين اثنين لا يريدان غير الحس والجمال!، بعيدًا عن إشكالات الحياة وأعبائها!، فربما في الأصل ظهرت الإيروسية كملجأ لحالات من الحب المستحيل!، وأنا لا أدافع عن منطقية الحب الإيروسي وكذلك لا أريد تفنيده!، لكنما أريد أن أزيح عنه شبهة الغائية الملصقة به في بغض المخيلات!، حتى وإن كان في الاصطلاح الفرويدي والنفسي ذا دلالة على الرغبة أو الجنسية المحضة، يظل ذا بعد فلسفي و عمق نفسي وجمالي، بعيدًا عن مدلولات الجنس وحده!، أما ما أراها غائية جنسية فهي مختلفة عن الإيروسية كما قلت لك آنفًا، فتلك الغائية تكون فيها كلمة (أحبك) هي أقل تكلفة لإقامة علاقة جنسية بعلاقة مفتعلة!، وكذلك هي أكبر خسارة للنفس والذات والإنسانية!، لأنه يستغل أكثر الناس حملًا له بمشاعر المحبة والإخلاص والتضحية!، لكن ذلك النوع السيئ يظهر داخله على لسانه كثيرًا، فلا يدع أي فرصة تفر من يديه إن سنحت للكلام عن الجنس وفيه!، ثم بعد تَجَرُّئِهِ وانفلاته يحول أي كلام إلى مجراه!، ومن ثم فإن الكلام الجنسي يحول المحيط إلى طقس مناسب لإقامة ما يريد!، وهو نوع وقح إلى حد يجعله يتخيل دائمًا أن مفتاح قلب المرء مفتاح لجسده، عندما

يعتقد هو أن كلمة أحبك مفتاحًا لقلب المرأة لانتهاكها!، أو تعتقد هي أنها مفتاحًا لقلب الرجل لاستغلاله!، لذا أعتقد أنه لا يصح الخلط بين الايروسية والغائية، لأنه ما يتخلله حبًا لابد أن يحمل في فكره شيئًا من النزاهة والشرف!....

قبل أن أبدأ في كتابة ما قد يبدو لك مقاربة أو مفارقة بين الرجل والمرأة في نظرة وتفهم كل منهما للحب والجنس، دعني أشك بصحة السواد الأعظم من الدراسات التي لا تدع مجالاً للشكِ بأن الرجل الأكثر ميلًا للتخيلات الجنسية!، والرغبة الجامحة عن المرأة!، لأنه ببساطة الرجل قد لا يخجل من الاعتراف بأنه يحب الجنس او يتخيله، أما المرأة فتخجل ولن تعترف حتى وإن كانت تفعل!، للمرأة شبقٌ يقيده حياؤها مهما كان انفتاح مجتمعها أو ثقافتها!، وأنا لا أنفي تلك المزاعم عن الرجل لأثبتها على المرأة!، بل أعني أنه لا يمكن الحكم عليهما بتلك الطرق!، لكن ذلك الحكم في عموم الحديث عن الجنس وليس مقصورًا على الحب، أما في الحب فما لا أستطيع نكرانه أن الرجال هم الأكثر مراوغةً وخداعًا في الحب من أجل الجنس!، ولا أقول هم الوحيدون!، وما يبدو لي من بعيد كذلك أن المرأة تحب الجنس تحت مظلة الحب أكثر!، وهي الأكثر تخيلًا للجنس في الحب!، وإن كنت أزعم ذلك فزعمي لتخيلاتهن لا تتعدى حدود مقدمات الجنس من أغلبهن!، لأن مقدمات الجنس الحسية قد تعني المرأة أكثر!، أما الرجل المحب بصدق في مجتمعاتنا المقيدة للجنس يغار على من يحبها من خيالاته ونفسه!، بل قد يغار عليها من كلامها إن مس حيائها!، لذا أعتقد أن الرجل ذا الفكر المقيد عن الجنس لا يريده أن يشوه

صورة من يحب في نظره!، أما إن كان ذا فكر مختلف فربما لا يمانع في إقامة علاقة أو شبه علاقة تحت مظلة الحب!، وهناك نوعان من الرجال في تعاملهما مع الحب والجنس عمومًا، أحدهما ذو علاقة ملتزمة ولديه ميل جنسي مقيد!، بمعنى أنّ ميله إلى ممارسة الجنس يكون داخل إطار الرسمية أو الزوجة، و لديه سلوك جنسي ودوافع مختلف عن ذاك الذي لديه ميل جنسي غير مقيد!، وهو أقل انجذابًا لممارسة الجنس خارج علاقته الملتزمة مهما كانت الإغراءات!، وكذلك يبدو مخلصًا ووفيًا لمن يحبها!، وهو كذلك أقل ميلًا وبحثًا عن العلاقات السطحية والعميقة منها في حال ارتباطه، أما الرجل الذي لا يمانع في إقامة علاقة جنسية مع من يحب فقد تطرأ عليه بعض التغيرات بعد إقامته!، ربما لن تسعده كلمة أحبك منها بعدما كانت تطيره فرحًا!، على عكس المرأة التي قد تحبها أكثر بعد علاقتها!، وربما يفكر في الخروج من العلاقة ببطء أو إنهائها بعدما تنتهي علاقته العبارة!، لأنه يبدأ في تطبيق فكره المجتمعي على من يحبها!، فربما يتهمها بالدونية والعهر لأنها وافقته!، رغم أنها قد تكون وافقته بعد إصرار وإلحاح منه دام أيام ولم ينقطع!، وتأخذه شكوكه بأنها لن تتردد في فعل ذلك مع غيره؛ لأنه بدوره خارج نطاق الرسمية!، وقد يكون شخصًا لا يعبأ بتلك الأمور ويكمل علاقته حتى تنتهي بشكل رسمي ولا يؤثر الجنس على مكنون حبه!... إن الجنس عند المرأة في حبها ربما لا يكون غايتها، لكنها لا تمتنع عن التكفير فيه و تظل أكثر عزوفًا عنه لخوفها!، لأن المرأة مهما ارتقت وأخذت تعلو في حقوقها ستظل خاضعةً لبعض قوي طبيعية لدى

الرجل!، لذلك عندما يتعلق الأمر بالجنس فهي أكثر ارتباكًا وخوفًا، مضاف إليه أن مفهوم العار المرتبط بها وحدها في المجتمعات الضيقة!....

إن كنا قد تكلمنا عن الجنس بذاته فلابد من التطرق لما قد يجعله غير سويًا، أو ظهور شيء قد يدل عليه، لكن الحقيقة عكس ما يظهر!، دعني أوضح ما أعنيه أكثر، الحالة النفسية والمزاجية للفرد تحدد سلوكه الجنسي كثيرًا!، ونحن في بعض جماعات مجتمعاتنا لا نرى الأمراض النفسية سوى وهم يتمكن من الإنسان!، بل إنه يمكن تصديق أن شخصًا مصابًا بمس من الجن أو أنه ركوبةٌ لأحد كبار رجال أعمال العفاريت!، على أن يصدق بأنه مصاب بالوساس القهري مثلًا!، وإن خرجنا عن أولئك متجهين لمن يعتقدون أن هناك أمراض نفسية حقيقية فهم لا ينكرون وجودها ولا يأبهوا بها أيضًا!، أعني أننا لازلنا لم نخطُ كثيرًا نحو فهم أنفسنا!، لذا حين تظهر مشكلات الجنس نتعامل معها على نطاق مفاهيم المجتمع، وليس على نطاق النفس والعلم!، أنا لا أبرر الانحلال!، لكن ربما علينا أن نقف على الأسباب قبل أن نتهم ونشرع في حملات التشنيع والتشويه!، فهناك الكثير من الأمراض النفسية التي يكون لها تابع جنسي!، أو يكون في الأساس مرضًا جنسيًا بحتًا، فمثلًا ما يدعي الغُلمة، وهي فرط في الرغبة للجنس، فرغم تلك الرغبة الجامحة عند المرأة للجنس قد تقيدها بسبب أعراف ومفاهيم مجتمعها!، لكنها غالبًا لا تستطيع تقيدها عن دخولها في علاقة عاطفية أو ربما صداقة!، لذا لا يجدر بنا أن نتهم أو نتخلى قبل الوقوف على السبب!، ربما علينا في بعض الأحيان أن نعاملهم كمرضى وليسوا كعاهرات!، وكذلك فهم سلوكهن في فترات معينة خلال الشهر!، والرجل

كذلك ربما يعاني من اضطراب نفسي يجعله يبدو غير سويًا في سلوكه تجاه الجنس، وربما يكون صحيحًا، ويشعر أنه يميل إلى حبيبته جنسيًا فيشعر بالإحباط وتأنيب الضمير، وذلك لما قد يحسه من انتصاب بسيط لحظة اقترابه منها!، وهو لا يعلم أن ذلك الانتصاب لتحسن حالته المزاجية وقلبه ودورته الدموية!، فهرمون السعادة يفعل ذلك ولا ينتج عن التفكير في الجنس!، فربما تلاحظ المرأة ذلك الانتصاب فتشك فيه أو تسبب له إحراجًا وهو لا يفكر بشيء غير أنه سعيدًا لرؤيتها!، لذا ربما علينا أن نعلم عن أنفسنا أكثر وعمن نحب، حتى لا نقع ضحية الجهل، حتى وإن كان في مجتمعاتنا الجهل مقدسًا...

أفعال منحطة!...

صباح الخير..

أكتب لك اليوم في الصباح!، لأني كما تعلم في عملي الجديد، لا أخفي عليك أن استيقاظي مبكرًا يرهقني، مزعجٌ جدًا!، لكنه قلّل من طول الليل نظرًا لخلودي للنوم في معظمه!، إن العمل الذي أنا فيه الآن لم يعد يترك لي أي وقت كي أفكر في أي شيء غيره!، فأنا طوال اليوم في عراك وانشغال وصرف للدواء!، لقد عاد عليَّ ذلك بإيجابية ملحوظة!، فنظرًا لانشغالي الدائم لم تعد الوحدة تأخذ مني مثلما كانت!، أنا لازلت وحيدًا، وسأظل كذلك إلى أجل غير مسمى!، لكني لم أعد أحس قسوتها كسابقه!، لأني لم أعد أمتلك وقتًا للإحساس أصلًا!، ولكنني لا أحب تلك الحياة الجافة المليئة بالعمل فقط، فأنا أفرق بين الإنسان والآلة!، لذا قررت أن استرق ساعة أو ما شابه كل يوم أكتب لك فيه شيء يعيد إلى حياتي الأخرى (الكتابة)، لأني شخص لا تكفيه حياة واحدة، ولعلي أبدأ اليوم بشيء بسيط كما سأفعل كل يوم، لكن، نظرًا لشدة الشمس وحرقتها لن أكتب لك إلا

عما يثير اشمئزاز نفسي وغضبها، وهم، الغدر، الخيانة، القسوة والكذب!، أبشع ما في النفس البشرية!..

الغدر...

العلاقات الإنسانية معرضة دائمًا لكل حدثٍ يمكن وقوعه على حديه الحسن والسيئ، لذا فهي معرضة أن يكون بها كل الجمال والقبح!، كل الصدق والكذب، الخيانة والإخلاص، الغدر الوفاء!، والغدر فعل منحط لا يصدر إلا من نفسٍ دونية منحطة!، وإن كان يمكن لما يظهر غدرًا مبرراته وحجته!، لكن إن لم يمتلك الفعل أسبابًا تزيحه عن دائرة الغدر إلى دائرة الظروف والواقع السيء فإنه عمل دوني خسيس!، ولعل الغدر كما يبدو لي أنه انقطاع الوصل ونقض العهد فجأة!، إذ أنه لا يشترط فيه الانتقال من شخص لآخر!، وإلا يصبح خيانة وليس غدرًا، فكل الخيانة تتضمن الغدر كمرحلة أولية فيها، ولكن ليس كل غدر يتضمن الخيانة لأنه لا يشترط ظهور شخص جديد!، ولعل بشاعة الغدر في أنه يأتي دون سابق إنذار!، يظهر فجأة، و ربما يكون عكس التوقع!، فالغدر أن تأتيك الطعنة ممن تقف درعًا لحمايته!، أو أن يولى من تحيا من أجله وجهه عنك ويعطيك ظهره، وأنت بحاجة إلى الارتماء بأحضانه أو التشبث بعنقه، أو حتي الي إمساكه بيدك!، ربما بشاعة الغدر في أنه لا يؤلم لكونه غدر فحسب، وإنما كذلك

لما نحسه من ضياع للأمان!، من فُرقة مفاجئة لم تكن في الحسبان!، و الفراق و الهجر وكذلك البعاد نتاجهم حزن وألم، أما الغدر والخيانة فنتاجهما حزن وألم وأذى!، وشتان ما بين الحزن والألم منفردين وبين ما يضاف إليهم من أذى!، إن في أذى النفس أذىً لا تحسه نفسٌ غدارة!، لأن في الغدر تبرء من جزء للإنسانية!، فكيف يحسُ بكمال الحسِ من يحيا كشبيه إنسان!، إن أحقر الناس ذلك الذي نصدقه بزيف الكلام، ونذهب إليه بحطام قلب فيعطينا الأمل، ويعد بالترميم والإصلاح، وإنشاء قلبًا جديدًا لحياة جديدة ذات بهجة وأمل، ثم نبني على كلماته قصورًا تصل إلى النجمات في أعالي السماء، مسورة بأسوار من السعادة والأحلام مرسوم عليها أجمل اللوحات، منغمة بأجمل الألحان والأغنيات، ثم فجأة يذهب!، وكأنه لم يقل!، و يغيب وكأنه لم يَعِد!، ويروح وكأنه لم يكن!، جاء وذهب ولم يفعل أي شيء سوى أنه حاول ونجح بأن جعل الحطام رمادًا...

الخيانة...

إن تكلمنا عن بشاعة الغدر فربما لا ينبغي أن ننسى جُرم الخيانة!، أنا لم أقع فيها، ولم أتعرض لها!، لكني أظنها أبشع الأحساس مطلقًا!، وإن كان الغدر فيه تبرءًا جزئيًا من الإنسانية، فالخيانة أن تتبرأ من الإنسانية بأكملها!، أن يموت الإنسان ويتبقى منه مَسخه!، الخيانة أن يموت الحب فجأة!، أن يموت مَن تُحب فجأة!، أن تسوء ذكراهُ مهما كان جمال ماضيه!.... الخيانة جريمة لأنها تكون حصاد زراعة حب وثقة!، تخرج من عباءتهما!، لذا هي كمن دس السم في العسل!، وإن من أكثر الأشياء مرارةً أن المثاليين في الحب لا يشكون في خيانة من يحبونهم لهم أبدًا، لأنهم لا يفكرون بالخيانة لمجرد التفكير أصلًا!، والثقة كذلك تتساوى مع الإخلاص والوفاء، فما أبشعها أن تأتيك الخيانة ممن وثقت كل الثقة فيهم، و كل الوفاء و الإخلاص لهم!... ربما يعتقد الخائن أنه انتصر!، وأنا اعتقد أن الخيانة هي أكبر الانتصارات هزيمةً وخسارةً!، و المهزوم هو المنتصر الحقيقي!، فرغم جرم الخيانة وقسوتها وأذاها، إلا أنها قد تكون أعدل ما في الحب!، لأن الشخص المَخون يخرج من حياته شخص خائن!، لا يستحق

وجوده فيها!، وأن عاقبة الخيانة على الخائن وحده وإن تألم المَخون وتأذى!... إن الخائن شخص ليس له من الأمان شيء، ولا يصح رجوعه!، لأنه شخص خائن لنفسه!، فمحاولة الخيانة خيانة لنفسه، وإتمامه لها خيانة لنفسه ومن يسميه شريكه!، وهي جريمة مذ أن تكون فكرة!، وكذلك أعتقد أن الشخص الذي يرجع لمن خانه شخص يستحق الخيانة!، لأن ذلك الشيء لا يمكن التسامح فيه!، فكل شيء قد ينسى، إلا الخيانة تظل ذكراها خالدة!، فتحيل حياة الشخص إلى ظنون وشكوك لا تنقطع هو ليس في حاجة لها!، لذا ربما يكون هدم المعبد أولى من انهياره ثانيةً على العباد!، وكما قال أحدهم، إن خانك مرة فهذا ذنبه، وإن خانك مرتين فهذا ذنبك!، وربما لا يصح أبدًا أن نصدق أي عذر وتبرير لها!، فأقبح الأعذار أعذارها، لأنها لا يمكن أن يكون لها أعذار!...إني أرى الآن نوعًا غريبًا من البشر لديهم الخيانة مبررة!، فعند نشوب خلاف أو ما يشابه!، تصبح الخيانة لديهم مبررة كرد فعل وليس فعلًا مستقلًا!، مثلًا راح إلى غيرها لأنها هجرته!، ولا يخطر بباله أن الهجر والخصام والبعاد ينبغي ألا يخرجوه من دائرة الوفاء والإخلاص وكذلك الانتظار بشوقٍ حتى تعود الأمور إلى نصابها ومجراها!، لم يعد ذلك النوع من البشر يعي إن الخصام لا يزيح عنا الالتزام واحترام علاقاتنا الإنسانية في أولى مقاماتها!، أعتقد أن ذلك النوع لا يفهم ما الحب أصلًا وما العلاقة؟!.... لن أتحدث عنها أكثر لأنها رغم كل ما أملك من هدوء تثير غضبي!، لكن أقول فقط لا يجوز شنق الخائن احترامًا للمشنقة!، وتبًا للقانون الذي لا يعاقب عليها!، لكن مهلًا، لا ذنب

للقانون أيضًا، فإن كان وجد القانون ليُقَوم ويعاقب الإنسان!، إذن، ما دخل القانون بالخائن!...

القسوة...

القسوة لا تحتاج تعريفًا ولا توضيحًا!، فيكفيك أن تسمع كلمتها لتدركها وتشعر بها!، ولا أتكلم عن تلك القسوة التي في بعضها الكثير من الحب!، فربما تكون كل القسوة الظاهرة حبًا لا يعرف صاحبه كيف يخرجه أو يعبر عنه؟!، أو غيرة هائجة!، و قد تكون القسوة دون قصد أعنف من تلك التي بقصد!، لكنهم في حاجة إلى الحب و اللطف فقط علاجًا لقسوتهم!، لكني أقصد تلك التي تظهر على المرء بعد رقته وحنانه!، أن يصير العاصفة بعدما كان السكون!، إن تلك القلوب ربما تمتلك أعذارًا وأسبابًا لتغيرها وقسوتها!، فربما تجرنا الأفعال إلى القسوة!، وعلى عقلاء المحبين دائمًا أن يحذروا قسوة الطيبين المخلصين في الحب، لأن قسوتهم ليست حماقة، بل تعبيرًا عن قلب يحترق!، لكن إن لم تمتلك أسبابًا لتغيرها فما قد يغيرها غير جحودها وخرابها؟!، والمؤسف أنه حين يقسى القلب لا تستميله الكلمات ولا النظرات!، لا يرجعه الترجي، ولا يبقيه على محبته الرجاء!، إن صاحب القلب القاسي أصلم!، لا يستمع إلى أي نداء ولا دعوات، أبكم في أي نطقٍ لا يشجع قسوته!، ربما لا يصح أن نَفنى فيمن تعلموا القسوة

معنا وأجادوا فنونها، لأن القلب الذي تصبح عليه أقفاله لا يزيد الكلام فيه إلا الصدأ!.... إن أسوأ ما قد تمر به علاقة إنسانية أن تنقلب رقة قلب أحدهم إلى قسوة!، فيتألم الآخر ممن يتمنى ألا يراه يتألم!، ممن فتح له قلبه كي يسعد به ويهنأ!، نحن لا تقتلنا القسوة إلا لأنها تأتي من أصحاب آمالنا وأحلامنا، ابتساماتنا وسعادتنا!، ممن نريد منهم كل العطف وجل الحنان!....إن منا من يستطيع أن يقسم من يقسو عليه إلى نصفين، لكنه لا يقدر على ذلك مع من يهواه قلبه!، والمحبُ رقيق القلب لا يقسو على من يحب حتى إن قساه!، لأنه إن تخطر فكرة القسوة بباله تؤلم قلبه قبل أن تكون واقعًا لمن يحب!، ولقد رأيت رجالًا لم يضرهم الزمان إلا بقلب قاسٍ مالوا إليه، ولا زالوا لا يقدرون على إبداء القسوة تجاهه!، لأن قلوبهم تحمل رقة لمن يحبون لا يصيبها إلا مزيدٌ من الرقة!، ورأيت نساءً هم أعظم النساء حبًا، فتلك التي تقسو عليها ثم ترجع هي فتستميلك!، ولا تطلب منك إلا الكف عن القسوة حتى تراك جميلً أكثر!، هي امرأة مس الحب قلبها فأودع فيه رقةً لا تنتهي إلا إن اغتالته شدة القسوة!، من يفقد مثل هذه؟!، وبغيرها كيف يرضى؟!، كيف لا يعطيها كل ما يساوي رقة قبلها؟!... القسوة ليست لمن نحب!، ليست لمن يسكنون داخلنا!، لأنها ليست هينة على النفس، بل تدمي القلوب وتشتت الروح وتعِلُ الجسد!، أتعرف؟، لو أن الحجر عرف كم هي شديدة قسوة بعض الناس لشكر الله أن جعله لينًا!...

الكذب...

لقد انتهى أحد الباحثين إلى أن ما دون اثنين بالمائة فقط من البشر لا يكذبون!، وأنا عندما سمعت تلك الجملة أجبت فورًا أن تلك النسبة المتبقية تخص البكم الذي لا يستطيعون الكذب أصلًا!، فكل البشر يكذبون!، الجميع يلعن الكذب ويقدسه!، لكن، الكذب أنواع، فهناك مثلا ما ندعوه بالعامية (فشار)، هذا الشخص يكذب، لكن كذبه لا يضر من حوله!، بل قد يضحكهم ويجعلهم فرحين بالجلوس في وسط أكاذيبه!، وكذلك أرى أن في بعض نوع من الكذب جزءًا كبيرًا من أحلام الناطقين به!، والتي استعصت عليهم فأصبحوا ينسجونها في خيالهم ويسندونها إلى الواقع!، ما أعنيه أني أفرق بين الكذب_ كفعل دوني_ وبين ما يكون نسجًا خياليًا أو مزاحًا أو حتى مبالغةً!، لكنني الآن أود أن أكتب لك عن الكذب وما قد يفعله بعلاقة بين اثنين حصرًا.. ما يهم العلاقة نوعين من الكذب!، أحدهما كذب منحط يبدد العلاقة، والثاني جميل يبقى عليها!، فأنا لا أُسمي الكذب التجمُّلي كذبًا دونيًا!، لأن الرجل الذي يقول لحبيبته: يمكنني محارب العالم كله من أجلك يتجمل لا يكذب!، فلابد أن نقول أنه كذب

جميل إن اعتبرناه كذبًا، أعني أنه لا يصح أن يطلق عليه كذبا دونيًا مطلقًا!، لأنه يحمل بين طياته شرفٌ لا يعرفه كذب منحط!، وهو مطلوبٌ في الرجل أكثر من المرأة!، فكانت تقول إحداهن "الكذب ملح الرجال"، وأنا أرى أن الرجل الذي لا يكذب مثل تلك كذبات هو رجلٌ بلا طعم!، و الكذب المنحط أصلًا ما يكون ضد معتقد الشخص وليس ما يكون مخالفًا للحقيقة!، أنا كنت أقول لها: أنتِ أجمل نساء العالم!، هذا مخالف للحقيقة لأنها ليست الأجمل مطلقًا!، ولكنه ليس ضد اعتقادي في حبها ولا عكس صورتها في نظري!، إذن، أنا صادق ومخالفٌ للحقيقة!، ولا أقول الصدق لكني لا أكذب!.... إن العلاقة التي تقوم على الكذب المنحط هي علاقة تبدأ منتهية لأجل غير مسمى!، فيمكن للكذب أن يجوب العالم لسنين طوال!، لكن لابد له من يوم يصطدم فيه بالحقيقة فينهار على صاحبه!، وفي نظري أن الفارغون فقط يحتاجون إلى ملء فراغهم بالكذب!، لكن، من عجائب البشر أن أقدر الناس على كسب الآخرين هم الأكثر تلونًا واصطناعًا، وإن هناك أناسًا مدربون على الكذب حتى إنهم ليكذبون بصدق!، فيقع البعض في حب زيف كلامهم دونما تمحيص للكلام!، و المؤسف أن هناك أناسًا مفتونون بالكذب لأنهم يرضيهم!، حتى إذ ما تعودوا منهم شركاؤهم على الكذب، يصبح قولك للحقيقة في بعض الأحايين ذلة لسان!، وربما لابد أن تعتذر عنها!، ولنتجنب تلك الأكاذيب ربما علينا أن نسمع بأعيننا!، ونبصر بتمحيص لأنه سيظل يكذب حتى إذ ما انتهت الأكاذيب يشرع في قول الحقيقة!، وربما تكون الحقيقة صادمة!، ولقد رأيت أشخاصًا كذبوا كذبات صغيرة في بداية علاقاتهم ثم

كبرت علاقتهم وكبرت معها أكاذيبهم!، لأنهم مضطرون للسير معها وبها!، ومشكلة الكذابين أن لهم ذاكرة بسيطة تشبه ذاكرة السمك فيكشفون سريعًا!، أو ذاكرة حديدية تجعلهم منتبهين دائمًا لمعالجة كذبهم!، و المؤسف أنه لا يعالج إلا بمزيد من الكذب!، ومن الحماقة أنهم اعتقدوا الانتصار حين أقنعوا شركاءهم في الحب بزيف الكلام!، لأنه عندما يُكشف الكذب ينقلب بأثر رجعي إلى خداع!، حتى وإن كان الحب صادقًا، فربما يجدر بي قول الحقيقة لأنها أبقى وأسلم، ولأني أريد أن أكون محبوب إحداهن لنفسي وليس لما يضاف إلى أو ما يزاح عني!...

أمراض حب...

صباح الخير صديقي....

حرارة اليوم مرتفعة جدًا، مع أن الشمس لم تتوسط السماء بعد!، يبدو أنه سيكون يومًا حارقًا كسابقه، ويبدو كذلك أني لن أستطيع كتابة أي شيء مبهج إليك!، فدعني أكمل ما بدأته من أشياء تستنكرها النفوس وتقع فيها!، أعني كما حدثتك عن الغدر والخيانة، القسوة والكذب، فربما لا يصح أن نتغاضى عن الخصام والهجر، البعد والإهمال!، وهم ليسوا كما السابقين الذين تعتليهم الدونية والانحطاط!، فالهجر مشروع في عدالة الحب!، والخصام أيضًا!، دعني أوضح لك ما أعنيه أكثر حتى لا يختلط الأمر عليك ويضيع ما أريد إيصاله!...

الخصام....

سأقص عليك شيئًا مما كان يحدث معي أيام أن كنت في قلب إحداهن!، لعلي أصيب في قولي عن الخصام بشعوره ومفرداته، وأرجو ألا تخونني الذاكرة!... إنّ أكثر ما أتذكره أني لم أتخاصم معها في أيامنا الأول أبدًا، لأنها كانت أيام المدح والحب فقط!، ولكنّا حين شرعنا في أول خصام تتالى بعدها الخصام كثيرًا!، ربما على أتفه الأسباب قبل أعظمها!، وربما ذلك في نظري لشيئين أنا الآن واعٍ لهما!، أولهما، أن من يعتزلك بسبب كلمة هو شخص أنت عنده كل شيء، أو أنك عنده لا شيء!، لذا المحب عظيم الحب أكثر إحساسًا وحساسيةً لما يقعُ على أذنيهِ من كلام، أو لما يتعرض له من مواقف!، وهو كذلك سريع الرضا قصير الخصام!، حتى وإن كان في الخصام القليل أو الكثير من القسوة!، أتذكر الآن قول تميم حين قال:

يقسو الحبيبانِ قدْرَ الحبِّ بينهما.... حتى لَتَحْسَبُ بينَ العاشِقَيْنِ دما
ويرجعانِ إلى خمرٍ مُعَتقةٍ.... من المحبةِ تَنفي الشكَّ والتُهَما
جديلةٌ طرفاها العاشقانِ فما.... تراهُما افترقا إلا ليلتَحِما
في ضمةٍ تُرجعُ الدنيا لستِّتِها.... كالبحرِ من بعدِ موسى عادَ والْتأَما
قد أصبحا الأصل مما يشبهان فَقُل.... هما كذلكَ حقًا ، لا كأَنَّهُما
فكلُّ شيءٍ جميلٍ بتَّ تُبصِرُهُ.... أو كنتَ تسمعُ عنهُ قبلها، فَهُما
هذا الجمالُ الذي مهما قسا، رَحِما... هذا الجمال الذي يستأنسُ الألما

وثانيهما: أن أول خصام يعطي كل من الطرفين حقه في التعبير عما يزعجه؛ لأنه كذلك أول العتاب!، ولما يبدو له ما يزعجه من جديد فإنه له حق مكتسبٌ يستطيع به أن يعلن الرفض والخصام، حتى يزول أحد الأمرين!، أعني أن يزول ما يزعجه، أو تزول من رأسه فكرة أن ذلك الشيء مزعج أصلًا!، وبمجرد الزوال ترجع الأمور كما كانت ومعها من وصلات الحب الكثير!...

لقد كان أجمل الخصام بيننا حين أتذكره، عندما كنت أريد أن أطمئن على وصولها إلى بيتها دون أن أسألها كيف حالها؟!، لأننا متخاصمان!، وكذلك لا أدع لها فرصة للحديث عن أي شيء غير أنها قد وصلت!، أو أنها على وشك الوصول!، فكانت أقصى لحظات اهتمامي بها تلك التي أصطنع فيها التجاهل!، لأني كنت سريع القلق عليها!، وكذلك ذو رأس عنيد!، وكنت حينها يتآكل داخلي!، لأني لا أحب الابتعاد عنها أو

خصامها!، و لا أستطيع نسيانها لحظة لحظات الخصام!، بينما لا أدري ما إن كانت تفكر بي أم لا!، ونحن غالبًا في تلك الحالات نعتقد أنهم لا يأبهون للبعد أو الخصام أصلًا، وهم في الحقيقة مثلنا يتآكلون!، وهذا هو جمال الحب وطفوليته!...

الحب حين يأتي يُنبت السَكينةَ في القلب، فما أن يضطرب الحب ويكون مؤرقًا حتى تضطرب السَكينة، وتُكسر سينها فتتحول إلى سِكينة تؤلمه!، إن الخصام يا صديقي إجازةٌ مرضيةٌ للحب!، يفترض أن يرجع بعدها بصحة أفضل!، عُطلة قد تكون مفيدة لكنها غير محببة!، ولِما يكون في النفس من توترٍ وإرهاقٍ ربما لا يجدر بنا أن نغالي في الخصام أو نزيد في العتاب!، لا يصح حين العتاب أو الصلح أن تقولَ كل ما في نفسك من انتقادات!، فربما تلك الانتقادات تزيد من الفجوة بينكم وتساهم في مزيد من البعد والخصام!، وقلق النفس حين خصامها يجعلها لا تريد إلا سماع أن خصامها قد انتهي!، فقل: كل شيء على ما يرام، ثم بعد وصلة من الحب والوصل بادر بقول ما كان أو ما يزعجك!، و لابد أن تكونَ واعٍ تمامًا أنه قد يضيق الصدر أحيانًا، لكن القلب دائمًا ما يسع!، هكذا الحب بين الصدور والقلوب!، وأن الخصام في الحب هو عدم الاتفاق شكلًا، لأن المضمون_ الحب _ في كل الحالات متفق عليه!، فلا يصح أن يغلب ما يطرأ ما هو أصل!، ولتعلم أن الحبَ السعيد دائمًا حب ينقصه في الحبِ بعض المعاني!، الخصام والحزن العابر من أسمى معاني الحب وأجمل مفرداته!، لأنهما يشعرانك حلاوة الوصل وقيمة السعادة!، صدقني إن رأيت أحدهم في غاية السعادة دومًا، فاعلم أنه لم يقع في الحب!، لكن

سعادته الدائمة تلك لا تساوي لحظة من سعادة الوصل بمن تحب بعد الخصام!... أما الهجر فليس في جعبتي الكثير عنه، لكنه يبدو لي أن يطول الخصام و الإهمال حتى يمرض الحب!، فيكون فناؤه أقرب للواقع من بقائه!، وموته البطيء أسرع من علاجه الكسيح!، وأسبق إليه من بقائه حيًّا!...

البعاد...

البعاد من أكثر الأشياء إرهاقًا، لأنه دائم الانشغال عديم المَنال!، وهو أبعد من الخصام درجة!، لكنه أقسى من الخصام درجات!، لأن الخصام ثائر لا يعرف الهدوء حتى يرجع!، وكذلك ليس فيه من عقلانية التفكير وتريثه!، أما البعد فهدوءه يجعله أكثر ألمًا لما يجتاحه من أفكار وانشغال وقلق!، ومن أكثر الأشياء غرابة في البعد أنه يجعل الشخص يرى من يُحب أجمل!، بل يزداد جمالًا كلما ابتعد!، لكن، إن أمعن في البعد انقلب إلى هجر، فتنقلب الزيادة في الجمال إلى نقصان حتى يتلاشى!، وموت الحب في البعد أن نعتاد البعاد!، فيصبح الوجود مساوٍ للعدم!، والحضور يشبه الغياب!، البعد كما النار!، في بدايتها ثائرة وقوية!، لكنها إن لم تجد ما يطفئها انطفأت وحدها!، لكن شتان ما بين أن تُطفأ النار وبين أن تنطفئ!، ففي الأولى يتبقى من المشتعل شيئًا قد يعيده الترميم!، بينما الثانية يصير كل شيء رمادًا، فلا ينفعه الترميم ولا حتى الندم!.... البعد لا ينبغي أن يطول أبدًا إن لم يمتلك أسبابه!، وإلا يصبح جحودًا وتلاشيًا للحب!، وإن كان هناك ما يجبرنا عليه فربما ينبغي أن نصنع كل ما بوسعنا من أجل الرجوع!، لأن البعد لا يعرف

الاستسلام كما الفراق!، فالبعد في الحب قسمٌ بأني لن أنساك حتى تعود إليّ مرة ثانية!، أما الفراق فقسمٌ بأني سأنساك مهما طال التذكر!...

الإهمال....

الاهتمام أكثر مفردات الحب ظهورًا وتعبيرًا!، فما أن ينقلب الاهتمام إلى إهمال يجعل الحب ينزف!، فإن استمر النزف مات!، وهو_ أي الإهمال _ عنوان رسالة محتواها ابتعد!، أو علينا الفراق!، الإهمال تأشيرة الرحيل!، أو ندائي لك بأن ترحل!، نعم، عدم سؤالي عليك هو ذاته سؤالي إليك بأن تبتعد!... الإهمال ربما له مبرراته البسيطة التي قد تنتج عن نوايا البعد!، أو تحت طائلة الظروف!، لكنه غالبًا ما يكون دافعه أنه لم يعد هناك وجودًا للدافع!، فجل الإهمال نتيجة الملل!، ذلك المجرم الذي يضرب جدران القلب فيجعل الحب يتسرب منه كما تتسرب الماء من الكَف!، وكلما ازداد التسرب تلاشى الحب ومعه الاهتمام!، لأن الحب وقود الاهتمام، وكذلك الاهتمام مُنعش الحب ودليله!، فما إن ينقص أحدهما يمرض الآخر!، وكذلك بين الرغبة في العطاء وعدم الاهتمام يضيع الكثير من الحب!، وهي حالة بينية تسوء سريعًا!، والاهتمام أصلًا وراءه حب أو طلب أو شعور ما!، حتى الكُره!، فإن لم يوجد الاهتمام فلا وجود لشيء حتى أسوأ الشعور!....

مخادع من يبادل الاهتمام ولا يعطيه عن حب!، فأنا أحبك ولست أقايضك أو أثير شفقتك!، و علاقة الحب شعورية حسية بمقام رفيع، فالاهتمام الزائف الذي لا يخرج نتيجة الشعور لا يُحَس!، ولا يكون مقنعًا حتى وإن لم يفرق ظاهريًا عن ذلك الذي يتخلله الكثير من الحب، وثمت فارق كبير بين قضاء الواجب والاعتياد!، فبعد فترات طويلةٍ ربما يصبح الاهتمام عادة ذات حب أصيل!، ونحن أصلا في حاجة إلى الاهتمام بحب!، لأن القضية ليست بما يتم إنجازه لحظات الاهتمام، وإنما لما نشعره من سعادة وفرح بمن نحب، مضافًا إليه ما يتم إنجازه!، فأنت لا يعنيك سؤال أحد عليك في حالات كثيرةٍ، لكن يعينك سؤال من يحبه قلبك في كل حالاتك!، لأن الفكرة في مكانتك عنده وليست في السؤال!، و عظمة الاهتمام ليست في الأشياء وإنما في المشاركة!، فهي أكثر الأدلة على أنك تمثل لمن تحب الكثير!، وربما أنت وحدك الكل أو الجميع!، وكذلك لا يصح أن يأخذ الاهتمام منحنى الرتابة والثِقل والإجبار!، لأن النفس إن أُكرهت مَلت، وإن مَلت كرهت!، فأي ثقلٍ ورتابة تلك التي تجعلنا نكره الاهتمام!..

القلوب القاسية ملجأ الإهمال ومنبعِه!، فكم أنت قاسٍ حين تجعل من يحبك يتآكل حتى يطلب اهتمامك!، مع أنه لا يطلب!، الاهتمام حق له، فيا جُرم إهمالك حين تحول حقهِ إلى تمنى!، و حتى إن أبديته بعدما طُلِبَ لا يكون اهتمامًا سليمًا، فالاهتمام المطلوب اهتمام أعرج!... إن من يمتلك قلبًا محبًا لا يمكن أن يهمل من يحب، لأن نتيجة الإهمال صعبة وقاسية، أو أنه ذو حبٍ عليل!، يا صديقي الإهمال يفسد الآلات!، فما قد يفعله بنفس يجتاحُها الشعور؟!، ولما بات التواصل أسهل أصبح الاهتمام

مسؤولية!، وليس تعبيرًا عن الحب فقط!، فهناك نفس مِزاجُها مسؤول منك، فربما كلمة تقولها تغير به الكثير!... صديقي، إن تساوى وجودك مع غيابك، وبقاؤك مع رحيلك، ادفن حبك بنفسك، ولا تقم له عزاءً!، واحذر أن تجعل من يحبك خائفًا في حبك بسبب إهمالك!، فأصعب الخوف أن تخاف الاقتراب لأنه فقير ومؤلم!، وأن تخاف البعد لأنه قاس!، واعلم أن الاهتمام أصلًا مفتاحًا للحب، فإذما دخلنا قلوبهم وضاع المفتاح، يصبح عليّ الخروج من الباب متطلبًا كسره!، فحاذر كسر القلوب، وأدعو لك الله ألا تجربه!...

حب لطيف...

صباح الخير صديقي العزيز.... لن أقول لك أن الطقس حار بعد تلك الرسالة!، لأنه يبدو أن الطقس هنا لا يهدأ!، لذا ربما يجب علي التأقلم حتى أستطيع أن أكتب لك بغير الأمور الدنية والبشعة!، وربما ما قد يساعدني على كتابة أمور جيدة هو ما حدث اليوم فجعلني في غاية السعادة!، وكذلك أَغمض عين الشمس الحمئة من سمائي!، وهو أمر كثيرًا ما كان يحدث معي في الجامعة، لكني لم أتوقع حدوثه في العمل!، لقد جاءني أحد العمال وأخذ يقص عليَّ قصة حبه دونما أي سابق حديث بيننا!، بدا لي في أوله أنه ربما يكون غرضه بذلك الحكي الاستشارة في أمر ما!، لكني علمت بعدها أن الغرض هو الحكي فقط!، فكل الحديث كان عن كم هو يحب حبيبته التي هي الآن خطيبته، وكم يعتبرها كل العالم!، فهو مغرم بها ومفتون إلى عنقه وأعماقه!، وأنا راقني كثيرًا ذلك الحب الناتج عن تلك النفس البسيطة!، التي لا تعبأ بالحياة كثيرًا!، من نفس لا تعرف الشعر ولا بيت القصيدة!، ولا أدب الرواية ولا فن القصص!، ولا فنون الكلام ولا

مدركات الحديث!، لكنه يعلم ما الحب، لا يجيد التعبير عنه مطلقًا، لكنه يحسه بكمال حسه!، لقد راقني كثيرًا تلعثمه حين كان يريد أن يصوغ جميل العبارات عنها ولا يعرف!، يريد جملة ذات معن قوي عنها يساوي إحساسه لها ولا يقدر على الإتيان بها!، لكنَّ عينيه كانت تقول أجمل العبارات التي أعجز أنا الآن عن وصفها بكلماتي!، الغريب أن ذلك الشاب تجاوز الثلاثين من عمره وحبه يبدو صبيانيًا!، لا أعني في جوهر حبه وإنما في مظهره!، وذلك ما دفعني إلى قولي له: أنت تحب أولى مَراتك!، فأجابني نعم!، قالها باستغراب وألحقها من أين عرفت؟!، فضحكت وقلت له: هذا مجرد تخمين!، وذلك يؤكد لك يا صديقي أن الحب الأول حب صبياني المظهر ولو جاء في السبعين!، حب ثائر يريد أن يراه الجميع!، حب لا يحب التخفي!.... ليس ذلك الموقف كل ما حدث!، دخل علينا شاب آخر وقد شاركنا الحديث، فقلت له: ماذا عنك أيها الوغد؟!، فضحك وقال كلامًا كثيرًا أتذكر منه أنه يتذكر تاريخ ومكان لقائهم!، يعرف كم يوم مر على اللقاء!، بل أنه قال: قد مر ست ساعات على بداية اليوم الجديد!، ورغم أنه شاب في عنفوان شبابه و كثير الضجيج، سريع الحركة و بذيء اللسان!، إلا أنه حين أتى ليتحدث عن الحب انخفض صوته وتهذب أسلوبه!، وكأنه صار شخص آخر!، فتعجبت!، كم جميل هو الحب حين يهذب النفوس ويرقيها!، وقد انتشر الأمر في أرجاء المكان_ المطعم_ حولي وأخذ كل العمال الحاضرين يتكلمون عن الحب!، ما أثار دهشتي أن المفارقين منهم لم يقولوا غير جميل الكلام عن الحب رغم فراقهم!، لأن الحب هو الشعور الباقي الذي يتمنى كل منهم أن لو يعاوده!.... كنت

أريد أن أكمل معهم الحديث كثيرًا، لكنني لم أقدر على ذلك نظرًا لطبيعة العمل!، لكن أنا في غاية السعادة، لذا سأكتب لك عما أحبه في العلاقات الإنسانية، وتحديدًا عظيم الشأن، الحب!....

الإخلاص...

كم هي راقية النفس المحبة المخلصة!، و كم لا أهوى سوى تلك النفوس، لذلك من أميل لهم قليلون جدًا!، لأنه وحده من يخلص لك يستحق حُبك وإخلاصك!... إن الإخلاص يا صديقي أكثر السباقات صعوبةً و جمالًا، لا يفوز فيها إلا الأقوياء والجميلين!، لا يمكن لضعيف نفس أو عديم شخصية أن يفوز بها، و مؤكدٌ أنه لا يفوز به من يغلبه هواه!، فالمغلوب ليس بغالبٍ حتى وإن بدا!، وكذلك هو_ أي الإخلاص_ لا ينتج إلا عن نفس مليئة بالحب والعزة!، وغيرها مليء بالفراغ والخنوع!، النفس الأصيلة وحدها من تعرف الإخلاص!، أما النفس المُحدثة الدنيئة لا تعرف معناه أبدًا!، لأن في الإخلاص شرفٌ لا تعرفه النفس الدنيئة!، و في الوفاء والإخلاص حلاوة لاتحسها إلا القلوب الطاهرة النقية!، وليست بلوة غير المخلصين في أنهم فقط ليسوا مخلصين!، بل إنهم معدومو الضمير مرضى القلوب!، وعدم الإخلاص لا يتساوى مع الخيانة، لأنها نتيجة وليست من الأركان!، وإنما عدم الإخلاص هو اجتماع قلة أصل ممزوجة بكثير من الأنانية والحُمق!، و أولئك لا يحترمهم الحب أبدًا، حتى وإن مسهم فترة

لا يتخذهم مسكنًا، لأن الحب يرقي الشخص إلى مرتبة إنسان ثم لا يسكن إلا من بات فيه التَرقي!، ويعشق سُكنى الإخلاص لأنه يجعل الإنسان يخطو نحو الملائكة!..

الإخلاص أجمل هدية لمن تحب!، تلك هي الهدية التي لا تقدر بثمن!، الإخلاص يا صديقي ليس أن تبقى معي طويلً، بل أن تكون لي كثيرًا!، و محظوظ من يمتلك شخصًا مخلصًا له، يمتلك من كنوز الدنيا أعظمها!، حتى في الخصام يبعث في القلب الطمأنينة!، هو_ أي من أحب_ لي في كل وقت، حتى في البعد والخصام لأن الإخلاص رفيقه!، فمهما بعُد حن، ومهما قسى رحم، ومهما اختلف لا يخلف الوعود!، لأن الإخلاص مسكن حبه، فإن ضاع الإخلاص تشرد، هو نَجَحُ العلاقة!، لعلك تتذكر صاحبنا الذي قال: تركتها لأني أحسست منها ذات يوم أنه قد يكون لي بديل عندها!، وهو ما أفهمه أنها ليست مخلصة له حتى وإن كانت تحبه!، وفهمه راجح، لأن الإخلاص لا يعرف فكر الخيانة ولا الغدر ولا سوء النوايا!، والمخلصون فقط هم من يصلحون شركاء في الحياة!، فأي حياة تلك التي تُبنى على دونية وحمق!، لم يفهم الكثيرون بعد أن الإخلاص يجعل من الحب مسيرةً وليس حدثًا عابرًا، أو أن رحلة الحب بلا إخلاص رحلة مضطربة!، علاقة وهمية منتهية، بقاؤها يشبه بقاء الماء على رمال الصحاري!... إن خسارتك لشخص مخلص لك هي خسارتك لأكبر جزء من الأمان!، نحن لا نحتاج إلى القوة للدفاع عن أنفسنا حين نشعر الخطر بقدر حاجتنا أن نحس الأمان وسلامة داخلنا بين يدي أحد نحبه!، والأمان ليس هدوء المكان وإنما راحة السكن!، وكذلك أولى المرات

يروح عنك فيها إخلاصك لمن تحب، هي أولى المرات خسارة لنفسك!، لأنك تتجرد من معانيك فجأة!، إن أردت أن تُبقي على نفسك فعليك بالإخلاص!، أعرف أنه قد يسبب لك في بعض الأحيان الكثير من الألم، لكنه بعدها قادر على توفير قدر أكبر من الراحة!، فمهما نام المخلص حزينًا لابد من يوم ينام فيه مرتاحًا، ومهما كان نوم غيره هنيئًا لابد لهُ من يوم أن ينقلب!، وتذكر دائمًا أن المخلصين قليلو الوعود!، لأنهم ملتزمون بتحقيقها!، فحاذر أن تفهم خوف من يحبك من أن يعدك شيئًا على أنه بخل أو شُح أو تحكم زائد!، أو أنه امتناع غير مبرر، وهو في الحقيقة خائف ألا يفي!، عليك أن تراعي دائمًا أن هناك فارق بين ما يرضاه ويتمناه لك وبين ما يستطيع فعله و تحقيقه!، وكذلك هم المخلصون دائمًا لا يتذكرون عطاءهم، بل يرون كثير عطائهم قليلًا!، فعلينا أن نتذكر نحن جميل العطاء ونهديهم كل جميل!...

الحنان....

إن من أجمل ما طار قلبي له فرحًا ذات يوم، حين قالت لي: أنني أحببت نفسي اليوم كثيرًا، كنت أعامل الأطفال بنفس حنانك ولُطفك معي!، كان أجمل الإحساس حين أحس انعاكسًا مني عليها!، فتصير تشبهني كثيرًا حتى لإن أحببت نفسي فيها أكثر!، لا أعرف لمَ حرمني القدر ذلك الإحساس فجأة!، لا أعرف لمَ منحني كل شيء بسلب عطاء!، لكن، لا بأس، أنا الآن متعافٍ إلى حد كبير!، دعنا نتحدث عن الحنان وحده وليس عني!، لكن ما قصدته من قصتي تلك أن الرجل غالبًا ما يُحب أن يُرى فيه الحنان!، والحنان يا صديقي لمسة رحمانية على قلوب البشر!، وهي طبيعة لا يمتلكها إلا أصحاب القلوب النقية!، هناك مَن يكون طبيعته عموم الحنان، وكذلك مَن يكون حنانه خصوص حبه!، فرغم أنه يمكن لرجل أن يكون ذا طبيعة قاسية، إلا أنه لا يعرف القسوة مع مَن يحب!، ولنا في التاريخ من رجال الحرب الكثيرين أمثلة لذلك!، إن أعظم الحنان يظهر من أصحاب القوة!، لأن الحنان في نظري قوة رحيمة!، وقد يكون جل الحنان في ظاهر القسوة!...

الحنان يا صديقي موطن الأمان والدفء!، ضمة بلا ذراع، قبلة بلا شفاه!، لمسة بلا يد!، معانٍ بلا كلمات!، الحنان أن يكون لك من يمسح عنك دمعك!، ويرفع عنك حزنك!، الحنان أن تفرح كل الفرح لأن مَن تُحب سعيد!، أن تعامله كما الأطفال، وتسامره كصديق، وتخاف عليه كأب!، أن تكون لمن تحب سندًا!، الحنان في اهتمام لطيف، في نظرة رقيقة، فحنان العيون أرقى الحنان!، أن تذوب أمام أول دمعةٍ منها!، أن تلين مع أول العتاب!، أن تخاف من أن تكون قاسيًا، ألّا تصبر على الخصام لأنك تشعر وجعه في صدر من تحب!، أن تكون كما الحنان نفسه، جيد السمع والبصر والفعل!، الحنان أن تنزل دموعها من عينيك!، وتشتعل نيران قلبها في صدرك!، وتضج أفكار عقلها في رأسك!، الحنان يا صديقي ليس أن تحب لها ما تحب لنفسك، بل أكثر!...

اللطف...

اللطف أكثر اللغات حسًا وتعبيرًا، فهو اجتماع الأدب والرقة!، و دليل الرقي ومظهر التحضر!، ومنسوبه صورة لدواخلنا!، بل قد يكون مؤشرًا للتربية والبيئة المحيطة!، واللطف قد يكون شيئًا عامًا لدى صاحبه، لكنه يظهر بصورة جلية أكثر حين يكون لمن يحب!، واللطف أصلًا ممن لا نحب قد يكون مثيرًا للغضب!، لكنه ممن نحب لمسة رقة وحنان!، ولحظات الحنان لا تنسى!، وكذلك اللطف عظيم المدى لا يزول!، وهو جميل حتى وإن بدا أحمقً، لأن المحب ربما يريد أن يظهر لطيفًا في بعض حين فيرتكب من الحماقة شيئًا، لكن حماقته عفوية جميلة!، وله _ أي اللطف _ سحر وقبول يجعله أقوى من تطرف العنف أو قسوة الاستبداد!، فيمكن للطف أن يأخذ ما يشاء بحنوه وجماله، ويمكن أن يخسر العنف كل شيء رغم ظاهر قواه!، وكذلك يمكن للقسوة أن تنقلب على صاحبها فتَدمي حياته!، إن اللطيفين في الحب أناسٌ لا يعوضون، فمن يمتلك شخصًا يحبه ولطيفٌ معه، يمتلك من الحياة أرقها وأجملها!...

حب أعرج...

صباح الخير صديقي، أتمنى أن تكون بخير... دعني أكتب لك اليوم شيئًا أراه مهمًا قبل أن أنساه لأنّا معرضون دائمًا له وللوقوع فيه!، وهو علل الحب الزائفة!، وإن كنت أقول أن تلك علل فأنا بالضرورة لا أعني المسببات!، لأن هناك فرق بين العلة والسبب!، وربما يكون هناك ما يصلح أن يكون علة وسببًا على حديهما، لكنه لا يصلح اجتماعهما سويًا!، لذا، هناك علل يمكن أن تصلح أسبابًا للبعض، لكن هي زائفة على الأغلب و ليست بالضرورة كذلك! وهم على الترتيب من الأكثر زيفًا، المال، المظهر والسلطة!...

حب المال....

المال، تلك الكلمة التي لا يمل أحدٌ سماعها!، ذلك الشيء الذي يبحث عنه الجميع دون توقف!، ذلك المتهم الفاضل!، المُفسد المحبوب، والمُصلح الممتنع!... ولن نتكلم عن المال بعمومه مع الناس وإنما كعادتنا على ما يترتب على العلاقات الإنسانية من خلاله، وهنا نطرح سؤالًا، هل يمكن شراء الحب بغير الحب؟!، هل يمكن للمال أن يستميل القلوب؟!، بكل بساطة ووضوح، نعم!، ولا أقول أنه يجعل القلوب تحب!، لأن الحب لا يعرف أرستقراطية ولا طبقية ولا ثراء من عدمه!، فكل ما يحدث لعبيد المال أن قلوبهم تستمال إلى صاحب المال إلى حد انقطاع!، أو برؤية أخرى أن المال لا يشتري الحب، لكنما يستأجِره!، أعني أن بالمال تستطيع الحصول على الحب(ظاهرًا) إلى أجل ما!، وما يستدعي التأمل أن هناك مَن يمارسون الحب من أجل المال ببراعة تجعلهم يصدقون أنهم يحبون حقًا!، لكني لا أوافق قول الذين يدعون أن تلك الدونية والحقارة تحدث من النساء فقط!، وإن كن حقيقةً الأغلب!، فهناك آلاف الزيجات كل يومٍ من أجل المال!، بل أنه مما تربى عليه الكثير في مجتمعاتنا

أن مما تنكح المرأة من أجله مالها!، فأي نتيجة ننتظر؟!، لابد أن تكون النتيجة كارثية بين رجل ذا مطمع وامرأة ذات أطماع!، وأنا لا استغرب ازدياد عدد حالات الطلاق السنوية في بلادنا، و التي تحرص على عدم الطلاق أصلًا لرؤيتها له كأمر بشع تحت مسمى الفضيحة!، وهنا نسأل، هل أبقى على الزواج مهرًا غالبًا؟!، هل أبقى الود عُرسا فخمًا؟!، هل منعت القائمة ذات المليون جنيهًا الطلاق؟!، بكل ثقة كلا، لم يحدث ولن يحدث!، لأن الحب وحده يمكنه أن يكون متسامحًا، أن يغفر للجميع خطاياهم، أن يُبقي عليهم بعد إذ لم يتبقَ شيء!، وإن كانت متطلبات الحياة تقوم فقط على المادة، فماذا يقوم عليه الحس والود؟!، الرحمة والمحبة؟!...

للمال بريقٌ لا ينطفئ!، ولمعان لا يزول!، فالرجل الذي يعلوه الكثير من الصدأ يجعله المال أكثر لمعانًا!، وأن ليست كل المفاتيح حديدية!، هناك المال مفتاح من ورق، لكنه المفتاح الأكثر قوةً وصلابةً!، و عندما يظهر تختفي أشياء كثيرة، لكننّا لا نعير اختفاءها اهتمامًا لطالما المال لم يزل موجودًا!، لكن المؤسف أن بعد انتهاء فترة العماء بالمال يتضح لنا أنه ليس كل شيء!، يتضح لنا أنه مهمٌ كثيرًا، لكنه بمفرده لا يقدر على إدارة حياة بأكلمها!، أقول بكل ثقة أن الشخص الذي لا يمتلك سوى المال شخص لا يمتلك أي شيء!، لأن الإنسان المكون من أبعاد عدة ومكونات كثيرة لا يمكن إنشاؤه بمكون واحد!، فمهما بلغت قيمة العنصر الواحد_ المال_ وقدره لا يمكنه إلا إنشاء شبيه إنسان!... إنه لمن المؤسف أن يكون المرء منا لا يصلح للحب ليس لأن قلبه خاليًا ولكنما لأن جيوبه خاوية!، الفقر

حقيقةً لا يقتل الفقراء جوعًا فحسب!، بل يحرمهم الحياة وحسها كذلك!، فكثيرًا ما يسعي الفقراء إلى المال سعيًا إلى الحب!، وكذلك يمكن للرجل ألا يفكر في وضعه من حيث المادة طوال حياته إلى أن يقع في الحب!، ولربما في الأصل لا يحتاج الفقير إلى المال بقدر حاجته إلى الحب باعتباره الشيء الوحيد الذي يستطيع أن يمارسه بالمجان!، لكنه يكتشف فجأة أنه باهظ الثمن!، فليت أن الحب للفقراء كما المال ينادى به (للسائل والمحروم)...

إن المرأة أكثر عرضة لخداعها وشرائها بالمال لعشقها الحياة المرفهة دون بذل جهد مضاعف أو دون بذل جهد أصلًا، لكن دعني أؤكد لك أولًا أن المرأة التي يمكن شراؤها بالمال لا تختلف كثيرًا عن الحذاء الذي يمكن شراؤه بالمال أيضًا!، أو أن المرأة التي تأكل وتشرب وتلهو وتكتسي باسم الحب هي كالعاهرة!، لكن العاهرة أشرف منها درجةٌ لأنها لا تستخدم الحب مظلة زائفة لها!، فعليها أن تكون واضحةً تمامًا بأن تكتب على غُرّتها قلبٌ للإيجار!، أو أنثى للبيع!، وكذلك على الرجل الميسور أن يكون دقيقًا في اختياره وألا يكون بذلك القدر من الحماقة التي تجعله يبدو كمصدر للمال فحسب!، فأنا أتذكر كلمات أستاذي الدكتور مصطفى محمود عندما قال: أنا عندما أكون غنيًا وجميلًا ومشهورًا، فأنا لا أمتلك أي دليل على أن حبيبتي تحبني حقًا!، فكل فتاة تحب أن تكون مع شخص جميل وغني ومشهور!، لكن عندما يروح عني جمالي وشهرتي وغناي وتَبقى معي هنا فقط أعرف تمامًا أنها كانت تحبني ولم تزل!، وأنا قد مررت على علاقات بين أشخاص لا تعرف إلا لغة المنفعة أو تبدلها!، لكنها زالت

تمامًا بانقطاع النفع!، فأي أشخاص أولئك الذين أقحموا النفعية في الحب وهو لا يريد سوى ذاته!... وهناك نوعًا من النساء لا أجد لهن مسمى يليق بهن، لكن سمِّهم أنت كما شئت!، يمتلكون جملة شديدة الغرابة والدونية والحماقة (أحب هذا، وأريد ذاك)، أو بإيضاح أكثر هي تريد الحب لذاته وتريد المال لذاتها!، لكن كل منهن لم تعِ الحب أصلًا، لأنه ليس هناك ثمنًا للحب إلا الحب!، فإن كان الحب مقابل المال فهو دونية وخسة!....

حب المظهر....

إن شاهدت شيئًا جميلًا ولم يُحرك فأنت ميت!، لكن مقدار التحرك تجاه الجمال والمظهر لابد أن يختلف من شخص إلى آخر، لأن الجمال كما كل شيء نسبي!، وإن منا من يؤثره الجمال ويفتنه إلى عنقه، فلا يقدر على الإفلات منه إلا بصعوبة قد ترهقه!، والحقيقة أن حب الهيئة(المظهر) ليس سحطية في الفكر، لكن حب التفاصيل أعمق بكثير!، لأن التفاصيل هي من تبقى على جمال المظهر وإن كان في بادئ الأمر يخفى المظهر كل التفاصيل!، لكن أعلم تمامًا أن أبخس الحب، حب ترمي فيه المرأة بجمالها، ويرمي فيه الرجل بماله، فهي تشبع طمعها وجشعها وهو يشبع غرائزه وفراغ نفسه!....دعني أؤكد لك أن ليست كل الجوابات تظهر من عناوينها!، وليست كل الكتب داخلها كما الغلاف!، فربما بستان مليء بالحيّات وربما بيت مهجور مليء بالذهب!، وكذلك ليس من الحتمية أن يكون المظهر خادعًا!، لذا إطلاق الأحكام المطلقة على الأشخاص من خلال مظاهرهم أمر في غاية السُخف والسذاجة، فأنا وبكل شدة أنكر حتمية اجتماع الجمال والحماقة أو الجمال والغدر في نفس الأنثى كما يدعي

البعض!، لكني كذلك لا أنكر اجتماعهما بكثرة!، ولعل الجميع يلاحظ أن المرأة الأكثر جمالًا أكثر حظًا في عدد المحبين، لكني بكل وضوح أراها الأقل حظًا في الحب ذاته!، لأنها تمتلك ما قد يجعل حبهم لها معللًا زائفًا!، أما المرأة متوسطة الجمال أقل في عدد المحبين وأكثر حظًا في الحب ذاته!، فأنا أرى أن الحب على الرغم من أجمل وأشد عمقًا من الحب لأجل!، لكن يظل الجمال سلاح المرأة ومُحاميها!، فالجمال يغفر للمرأة الكثير!، فما أن يكون هناك رجلًا يزهد امرأة رغم جمالها فاعلم أنها بغيصة لعينة على الأغلب!... المعضلة الآن ليست في الجمال وإنما في سباق المظاهر البغيض!، فتسارع الكثيرون حتى يصبحوا مظهرهم كفلان أو كفلانة لأن الفتيات تعشقن هذا أو أن الشباب يعشقون تلك أمر يعد الأكثر سطحية وسذاجة على الإطلاق!، و يعبر عن نفوس خاوية لا تمتلك من الثقافة أو الثقة بالنفس أي شيء!، فماذا يضطرك كشخص إلى تقليد شخص ما لتصبح جميلًا وجذابًا إلا أنك معدوم الثقة وضعيف الشخصية!، لماذا أصبح المظهر هوسًا يحول الناس إلى دُمى؟!، أعتقد أنه يمكن الآن لأي فتاة أن تحب أي شاب دون الوقوف على أحدهم بشخصه!، لطالما أن الموضوع متوقف على المظهر!، فالجميع يصنع نفس قصة الشعر وفتحات البنطال!، أو أن أي شاب يحب أي فتاة لطالما كلهن بنفس الزينة والرداء وحجم الشفاة ولون العين وصبغة الشعر!، بماذا يختلف هذا عن ذاك أو هذه عن تلك لطالما الجميع دُمى!، أعتقد أن الأمر تجاوز حدود الثقة بالنفس وثقافة الفرد ودخل في جُعبة المرض!، مرض الشهرة التي لا

يفرق فيه الكثيرون بين جمال الأنثى وإغراءها!، بين مظهر الرجل وشخصيته!، بين الإنسان والأراجوز!....

استكمالًا لوصلة السخافات التي لا تنقطع في شوارعنا ومجتمعاتنا، علينا أن نكمل حديثنا سويًا عن المظاهر!، لأني أرى الحب لا يعنيه تلك كل السخافات ومازالت تُمارس تحت شعاره وظِله!، و قد أشرت لك قبل ذلك إلى أن اختيار مكان اللقاء يحدد الكثير من شخصية المرأة تحديدًا، فالحب لا يعنيه المكان!، ولا يعرف أرستقراطية المظهر، فتلك التي لا تحب حبيبها إلا في الأماكن الفخمة، أو ذات المنظر الطبيعي الخلاب، لا تكون فتاة ذات فرط في إحساسها!، أو أنها عظيمة رقيقة المشاعر!، وإنما هي فتاة لم تنضج في الحب، أو أنها لم تدرك بساطته، فلو كان الحب مرتبطًا بالطبيعة، فهل هذا يُعني أن عنترة لم يحب علبة؟!، إنها بيئة صحراوية قاحلة يكثر فيها الدم والقتل!، كلا، إن أول ما تربينا عليه في صغرنا وسمعناه من قصص الحب الخالدة حب هؤلاء_ عنترة وعبلة_ أصحاب الصحراء وساكنيها!، الحقيقة أن الحب لا يعترف بالأماكن وجودتها وفخامتها، لأنه ببساطة خير مُعمر، يحول أي مكان كان في أي زمان أراد إلى بستان في عيون العاشقين!، القيمة ليست في المكان وإنما فيمن فيه!، العبرة ليست بما نملك وإنما فيمن معنا!، وأنا على ثقة بأن الذي كان يلتقي بحبيبته في الماضي في قن الدجاج خفية خيفة أن يراه الناس والأهل، لم يكن يحس بأنها ضيقة!، أو أنها لا ترتقي ليكون هو ومحبوبته فيها!، وذلك لأن اللقاء هو الغاية، وما كان بيت الطيور إلا وسيلة!... كذلك قيمة الهدية ليست في الهدية وإنما فيمن يهديها!، وهي شيء رمزي ذو قيمة دلالية وليس قيمة

مادية!، فإن تحولت الدلالة إلى مادة تُصور على المواقع للتفاخر تفقد القيمة قيمتها وتتحول القيم إلى مسرح للتفاخر!، ولازال التقليد الأعمى متصدرًا للمشهد حتى في العلاقات التي تحتكم إلى الظروف والقدرات بالضرورة!، فنرى الكثيرين لا يعيشون حياةً مناسبة لهم، بل يكلفون أنفسهم أكثر من طاقتها حتى يظهرون بالشكل الذي تجعل الأنظار عليهم!، أو بالشكل الذي يُرضي من يحبونهم!، وتلك المشكلة غالبًا لا تظهر إلا في الشعوب المتخلفة الظاهرية!، ونحن لسنا بصدد الحديث عن الشعوب الاستهلاكية والمظاهر لكن ربما علينا أن نعترف أننا نعاني من بلوتارية الدخول وأرستقراطية المظهر!، وأن تلك المعاناة لا تنتج إلا من فراغ الشعوب وسقوط الوعي وضحالة الثقافة!....

حب السلطة!...

لا يستطيع أحد نكران أن للسلطة مكانتها وهيبتها، لكن الحب لا يعترف بها لأن سلطانه أقوى من كل السلاطين والسلطات!، الحب لا يعترف إلا بالشخص، بذاته!، بجوهره!، بمكنونه وأصله!، فإن قلنا أن الحب يعترف بقيمة معينة، فقيمة الإنسان الحقيقية هي ما يتبقى منه بعد تجرده من المال والسلطة!، والذين يركضون وراء السلطة لا يأخذون في عين اعتبارهم أن السلطة تحمي الشخص ممن حوله!، لكنها لا تحمي من صاحب السلطة ذاته!، أعني أن أقول لك أنه لو أن هناك امرأةً تزوجت من شخص ذي سلطة عُليا، فإنه يحميها من كل من حولها!، لكن هل هذه السلطة تحميها منه ذاته إن لم يكن في مقامه الأول إنسان؟!، كلا، بل يمكن أن يستخدمها عليها هي ذاتها!، لم تزل ثقافتنا لم تدرك أن الإنسان الذي يستخدم ماله وسلطته للدفاع عن نفسه أو اجتياز أموره الشخصية هو شخص ضعيف يختبئ وراء مظاهر القوة!، وأنا لا أقول أنه لابد أن يكون كل صاحب سلطة شخص لا يصلح للحب!، لكنما أقول دومًا أن الإنسان أهم من كل المناصب والمظاهر والأموال!...

المرأة...

مساء الخير صديقي العزيز... على الرغم من أننا في منتصف الصيف إلا أن الجو كان متقلبًا في ذلك النهار كثيرًا!، بين حرارة حارقة وجو لطيف!، وكذلك رياح محملة بالأتربة وسكونٍ جميل!، كان جوًا متقلبًا المزاج، ألا تذكرك بشيء تلك الأجواء؟!، إنها تمامًا، المرأة!، لما رأيت تلك الأجواء تذكرتها وقررت أن أكتب لك برسالة عنها!، وأنا بكل صراحة أتردد دائمًا في الحديث عن المرأة ليس لما يقال أنه لا أحد يستطيع فَهمها!، فتلك مغالطة لا أقتنع بها!، والصحيح في نظري أنه يصعب فهم النساء!، لكن المرأة يمكن فهمها بسهولة ويسر!، أعني أن أقول لك أن المرأة التي تتعامل معها بمفردها يمكنك فهمها، أما أن تَفهم كل النساء على العموم فذلك يكاد يكون مستحيلًا!، لأن أمزجة النساء مختلفة عن بعضها تمامًا، أكاد أجزم أن لكل امرأة مزاجًا خاصًا لا يشبه الأخرى!، لذا، سأكتب لك عما أراه بما اعتدناه بخصوص الحب!....

تنطوي على نفسها أكثر!، وربما لعجزها عن التفكير أحيانًا يجعلها تفكر في الهروب من المسؤولية!، وهنا يأتي دور الرجل ألا يفهم هروبها من المسؤولية المُسَبَب على أنه هروبًا منه!، أو أنها أصبحت مهملة وغير جادة!، لذا أعتقد أن علينا نحن الرجال أن نقف على طبيعة المرأة حتى لا نظلمها!، وأن نتعامل معهن على أنه ليس غريبا أن تجد اليأس بعد شعلة نشاط!، وتشاؤم بعد كثير من الأمل!، والانعزال بعد كل الود!، هن لا يحتجن في تلك الحالات أكثر من بعض فَهم وبعض لطفٍ حتى تنتهي!، مضافًا إليه كثير من العون والسند، فمن يكون لها سندًا إذ لم تكن أنت؟!....

فضول قاتل....

المرأة عدوة السر وصديقة الفضول!، والمشكلة أن جل فضولها من أجل الأسرار أصلًا!، وتسارع عقلها إلى المعرفة متساوٍ مع تسارع نَفسِها للبوح بما عرفته!، أي السر!، فحمل المرأة للسر أثقل عليها من حمل جبل!، وحرمانها من معرفة ما يرضى فضولها أشد على نَفسِها من حرمان الملذات!، لكن دعنا من الأسرار وعداوة المرأة لها، لأنه لا جدوى من محاولة جعلهما يتفقان!... دعني أؤكد لك ما رأيته بعيني، وهو أن فضول المرأة لاكتشاف غموض شخص ما هو ذاته طريقها إلى الحب دون دراية!، ومشكلة ذلك النوع من الرجال أنه قليل الكلام، والرجل قليل الكلام مستفز لفضولها أكثر، فيجعلها تظهر أحيانًا كمحقق وليس مجرد

فضول معرفة!، وربما لا تتردد في المقامرة بالأسرار والخبايا!، وهو تحايلٌ مضمونه سأخبرك سرًا على أن تخبرني أنت كذلك!، لكن أغلب أولئك الرجال لا يخبرون أحدًا بشيء ولا يتكلمون أصلًا، فربما ذلك يجعلها تغامر بمزيد من اللعب والمقامرة، وفي تلك الأثناء ربما تُجذب له ويبدأ الأمر معها في التصاعد حتى تقع في حبه!، وهنا نقول أن ليس كل الفضول يحصل على ما يريده فحسب!، فربما ما وراء الفضول لم يخطر على البال أو لم يكن بالحسبان أصلًا، وأنه يمكن للفضول أن يجرنا إلى المصيدة، فيصبح الصياد فريسة!...

المرأة وصاحبها...

قد تفقد المرأة القدرة على إجراء محادثة سليمة و مُتزنة، لكنها أبدًا لن تفقد القدرة على الكلام!، لذا على الرجل أن يستمع كثيرًا ويدقق قليلًا!، والتدقيق يكون في حالةٍ معينة يغلب عليها الإشارة وليس القول المباشر!، والتنويه لا التصريح!، فقلما تقول المرأة كلامًا مباشرًا ذا معنى!، و لها بعض الكلام كبعض المنامِ يفسر على عكس ما يروى!، وأنت مطالبٌ بالفهم تمامًا على المقصدِ وليس التصريح!، لا أعلم كيف؟!ٱ لكنك مطالب!، وبعض خَبرية الكلمات استفهامٌ مستتر!، فربما حين تقول لك في بداية حديثكما أنها لا تسمح لأحدٍ بالاقتراب منها هي تسألك ضمنًا لمَ أسمح لك أنت بالاقتراب؟!، فربما عليك أن تجيب ببعض الأحايين عن تلك الأسئلة التي هي ليست أسئلة!... يجدر بك السماع جيدًا والتدقيق

بشدة لحظة ضعفها أو لحظة رومانسية عارمة، لأنها في تلك اللحظات ستخبرك بما أخفته عنك كثيرًا!، لأنها في لحظة الحب القوية تصبح أكثر صدقًا وإخلاصًا، فلا تريد أن تشوه الحب الذي يسكنها ويشعرها تلك الحالة، و تعتقد أنك ستغفر لها أي شيء حين ضعفها و حنانك!، وكذلك لا ينبغي أن تدقق حين غيرتها واحتراقها!، وأن تُظهر كل الاحترام لكثرة كلامها وإلا ستظهر عدوًا للمرأة!...

المرأة والبكاء...

البكاء ليس حكرًا على النساء، لأن رقة القلب منبع الدموع، فما الغرابة بأن يكون رجلا ذو قلب رقيق يجعله في بعض حينٍ يبكي؟!، ولو أن هناك شيئًا يحمل كل الصدق وكل الشعور فدمع الرجل!، والبكاء ليس مقتصرًا على الضعف والوهن، أو حتى لقلة حيلة!، إذ أنه رد فعل يصدر من تعاظم أي شعور!، لذا هناك دمع حزن ودمع فرح!، دمع رومانسية ودمع خفاء!، وكأن الدمع سحابٌ متراكمٌ من الشعورِ ينزل من سماء العين لحظة تمامه!، فلا يشترط بالدمع أن يكون ابنًا لأحد الشعور وإنما هو رفيق تعاظم كل المشاعر!... الدمعة محامي المرأة!، محامٍ بارع ولا يتكلم!، لا يخسر قضاياه إلا أمام قاضٍ أو خصمٍ بالحب قد كفر!، فلا يرى من الدمع إلا الماء!، أو أنه أدرك حقيقة تلكً الدمعات!، فمهما كانت صلابة الرجل السوي فإن الدمعة تجعله لينًا وأكثر رقة!، والحقيقة أن دموع المرأة تؤلم قلب الرجل وتجعله أكثر لومًا لنفسه ومعاقبةً لذاته!، فإن تجد رجلاً لا يأبه

لدمع امرأة فهو إما بلغ من القسوة حدًا يخرجه من دائرة الإنسانية كلها، أو أنه يدرك تمامًا أن دموعها كدموع التماسيح!، وأنا رأيت نساءً يبكين متى يُردن ليمررن ما يُردنه!، لذا ليس كل دمعة من أي امرأة يمكن الوثوق بها ولا التفاعل معها!، وثمت نوعًا من النساء يمارس البكاء كهواية!، يُشابه ما قيل على لسان شهرزاد الخليج" البعض يتعمد أن يكسر الكأس و يسكب اللبن، كي يمارس هواية البكاء على اللبن المسكوب!"، لكن المرأة تمتلك مشاعرًا متعاظمة دومًا، لذا دموعها مستعدة لأن تذرف في أي لحظة!، ولأنها تأخذ كذلك الأمور على نحو العاطفة لا العقل في معظم الحين فينتج عنه رد فعل شعوريٍ يترجم إلى دمعات!، وربما البكاء هو الشيء الوحيد الذي تستطيع فعله في لحظة ما نظرًا لضعفها!، ورغم ذلك أرى أن ببعض حين قمة عقل المرأة في عظيم شعورها!، لأن مشاعر المرأة وحدها القادرة على أن تغلب الرجل!، وإن وضُع العقل أمام العقل لن ترجح كفتها!، إذن ليس كل دمعة من المرأة بها تمام الصدق ولا كل الشعور!، وكذلك لا يمكن التعامل معها على أنها أمرٌ ساذج وغير مهم!، فحاذر أن تقع أسير دمعة كاذبة، وحاذر أن تظلم دمعة صادقة!...

المرأة والذاكرة...

ليس من العجيب أن يكون ما في المرأة مختلفٌ عنا كرجال!، وإنما العجب في تعقيد ما تختلف به عنا!، ومن تلك الأشياء الذاكرة، وذاكرة المرأة جيدة

مقارنة بالرجال لكنها لا تحتفظ بالأشياء الجيدة!، أعني أنها لا تحتفظ بالمفيد غالبًا!، فهي تركز على الأحداث وتتذكرها تفاصيلها وحيثياتها ومقتضياتها تمامًا، وذلك ما يجعلها تتهم الرجل بعدم وضعه بعض الأمور في عين الاعتبار رغم أن كل ما في الأمر أنه لا يأبه بالتفاصيل الصغيرة ولا يتذكرها!، وتتذكر الأسماء جيدًا وتلتقطها برشاقة!، ثم تتهمك بأنك تنسى من يهمها أمرهم رغم أنك مظلومٌ في عدم التذكر!، وما يجعل الأمر أكثر تعقيدًا أن الرجل يتذكر ما يراه أكثر مما يسمعه!، وذلك يجعل من الصعب عليه تذكر كل ما تقوله المرأة من كلام ومواقف!، بغض النظر عن كثرة الكلام أصلًا!، والمرأة تتذكر ما تسمعه أكثر!، فلا يتلاقيا في الذاكرة إلا فيما لا يُنسى!، لكن الأهم في حديثنا ذاكرة المشاعر، وذاكرة المشاعر للمرأة قوية جدًا، لذا النسيان لديها يكون أصعب!، لكنه لا يعد مستحيلًا، ولا ترجع المرأة إلى أوج ذاكرتها وحنينها إلا حين تعصف بها الحياة في إحدى مواقفها!، لأنها تفتقر إلى الملجأ أو إلى ما تستند إليه، وعلى كلٍ ذاكرة المشاعر قوية وربما تكون خالدة!، إذ أن كلُ السِير لا تخلو من قصص العاطفة بكل تفاصيلها وحتى شعورها!، و حتى بعد مرور وقت طويل على انتهاء علاقة يمكن للذاكرة أن تصفها بكل شعورها وإحساسها!، مثلًا، عندما كانت تحكي لي إحداهن عن حبيبها الذي كان، كنت أحس أنها ببعض حين تشكوه إليّ!، لا مجرد سَردٍ يُحكي أو كلام يقال!، فأي ذاكرة تلك التي تجعل المرء يصبح في حديثه أسيرًا للشعور؟!، فربما يجب أن نحترم ذاكرة المشاعر لأنها قد تكون مؤلمة، فلا تذكر من تُحب بشيء قد

حكاه لك لأنه قد يؤلمه!، ولا تنسَ أن تحفظ بعض التفاصيل فقد تنفعك عند الاستجواب!...

المرأة والوجوه....

المرأة ملاحظة جيدة لما يقوله الوجه والعينان قبل اللسان!، لكن الرجل مراوغٌ بارع!، لذا هي تستطيع اكتشاف كَذبه وهو يستطيع الإفلات منها!، أما حين ينظر الرجل في عين امرأة يحبها فلا يلاحظ أي شيء غير أنها ذات عيون جميلة!، يروح بغير رجعة!، ويهيم بغير واد!، و رغم أن الرجل بطبيعته ثاقب النظرة أكثر إلا أنه في الحب يروح عنه نظره!، والمرأة تستخدم تعابير الوجه أكثر من الكلام للتعبير عما بداخلها في الأمور المتعلقة بالمشاعر، بينما الرجل يفضل التعبير الصريح!، لذا ينبغي أن يفهم الرجل الكلام دون التصريح به، و تتأقلم المرأة مع الصراحة المطلقة اتي قد تصل الي الوقاحة!...

المرأة والضعف....

دعك من كل ما يقال عن استقلالية المرأة وقوتها، فكل ذلك عبث!، فحين يجد الجد تجد أن المرأة ضعيفة حقًا ولا تقدر على الحياة وحدها!، ونحن قد تحدثنا وسنتحدث عن ضعفها في أماكن متفرقة، لكن، أريد أن ألفت انتباهك إلى امرأة خبيثة جدًا، وهي تلك التي تخطئ ثم ما إن تشرع في قول أي شيء لها تُظهر ضعفًا خبيثًا ثم تقلب عليك الطاولة وتتهمك بالقسوة في

تعاملك معها رغم أنك لم تفعل أي شيء!، فتنتقل بك من خطأها إلى جُرم تعاملك وقسوتك!، لكنها في الحقيقة خُطة فاشلة بامتياز، لأن الرجل سيدرك ذلك تمامًا مع تكراره!، وهو الأبرع بلا منازع في قلب الطاولة تمامًا!، فحاذر أن تُقلب عليك الطاولة بضعفٍ مصطنع، أو تقسو على ضعفٍ يحتاج كل الحنان!....

حب وصداقة...

مساء الخير صديقي العزيز، أكتب لك اليوم في المساء بعيدًا عن حرارة الشمس الحارقة، لذا سأكتب لك عن الصداقة لما فيها من دفء وحنو وجمال، وفي الحقيقة أنت خير صديق، لكن معذرةً لن أكتب عنك!، لكنما ما بدأناه مذ أول رسالة إليك!، العلاقة بين الجنسين، ومنها الصداقة، أعني الصداقة بين الرجل والمرأة والشاب والفتاة!، لأنه أمر يعد شائكًا كما كل الأمور التي تدخل منحنى العلاقات الإنسانية وتحديدًا التي تربط تعامل جنسين مختلفين!، فدعني أخبرك ما في جعبتي عن الصداقة وعلاقته بالحب والجنسين!...

الصداقة....

الصداقة مصطلحٌ يعرفه الجميع، لكنها كمفهومٍ لا يقدر على تطبيقه إلا القليلون جدًا!، نظرًا لكونها علاقة حقيقة بها الكثير من الالتزامات والود والثقة والتضحية!، فالصداقة في أول اعتباراتها بها الكثير من نوعٍ من الحب

الغير معلن والغير مكتمل!، لأنه وجوده _ أي نوعًا من الحب_ مهم لنشوئها أصلًا!، وقد تكون الصداقة أكثر استقرارًا من الحب!، لأنها رغم عظمتها أقل تطلبًا وأكثر وضوحًا!، وأكثر خجلًا وأقل حساسيةً!، ناهيك عن الأمر والنهي والغضب والانفعال الذين يظهرون كنصحٍ وإرشاد في حالة الصداقة، بينما في الحب يمكن أن يظهروا على نحوهم تمامًا، فرسمية الحب قد تزيل من الفوارق التي تساعد في الحفاظ على هيكل العلاقة أصلًا، لذا فإن الحب يحتاج مجهودًا أكثر للحفاظ عليه!، ونحن كذلك في الصداقة نراعي أهواء الطرف الآخر في الأمور التي تجمعنا مباشرةً، أما في الحب فملتزمون بما يهواه الطرف الآخر كليًا نظرًا لأحقيته في المشاركة بكثير من الأمور!، فالصداقة يمكن أن تكون (أحب أن تكون معي)، أما الحب فيكون (أحب أن تكون معي ولي)!، إذن الفارق بينهما بسيط إلى الحد الذي يجعله يُلتغى فجأة أو يتلاشى مع مرور الوقت أو التعرض للمواقف!...

الصداقة ممكنة!...

إن الصداقة بين الجنسين أمر ممكن!، بل كثير الوقوع، بل أكاد أجزم أنه من النادر الآن ألا تجد صداقة بين جنسين مختلفين في جيلنا!، ولايمكن شيوع الأمر إلا إن كان ذلك الأمر ذا قيمة معينة يتهافت عليها الناس، إذن لابد لوجوب وجود الصداقة بين الجنسين من قيمة تُعْليه!، وفي نظري تكمن قيمة وجود صديق من الجنس الآخر في أن صداقة نفس الجنس لا تتحمل

كل الموضوعات ولا يُنظر لها بنفس العين والحس!، فهناك مثلًا بعض الأمور ينظر لها الشاب للشاب بعين السذاجة!، فلا يكون الشاب صاحب الشأن قادرا على بثه إياه وإخراجه من نفسه مهما كانت درجة القرب بينهما!، بينما يمكن للفتاة أن تنظر لنفس الموضوع بعين الجدية والاهتمام وحس الكلمات!، وكذلك يمكن أيضا أن تنظر الفتاة للفتاة بعين التفاهة في بعض الأمور، لكن الشاب سينظر لها بعين الجدية والعمل على مساعدتها!، إذن قيمة الصداقة تتجلى فيما يمكن إضفاؤه من راحة وثقة وتجاوز المشكلات بمساعدة من الصديق!، لكن على الرغم من تلك القيمة فإن الصداقة بين الجنسين تحوم حولها بعض الاتهامات والأوهام وكذلك الحقائق!، ولأننا لازلنا لم نخرج من أفكار مجتمعنا لابد أن نركز على بعض الأمور وأهمها الجنس!، إن من أبشع ما في مجتمعاتنا أنهم يقصرون العلاقة بين الرجل والمرأة على النصف السفلى من الجسد!، وذلك لما أخبرتك به آنفًا أن شعوبنا لا ترى المرأة إلا كائنًا جنسيًا خلق للنكاح والتناسل!، فما أن تذكر المرأة حتى تُفرش الأسِرة في المخيلات!، وهناك الكثير من العقول التي تُتبع لا تَرى في العلاقات إلا الجنس نظرًا لما تربت عليه من أفكار!، فأصبح فكرها أن أي تعامل بين ذكر وأنثى مبتغاه الجنس أو مآله إليه!، وتلك المفاهيم خاطئة تمامًا، لأنه لا يمكن إطلاق الأحكام المطلقة بتلك العشوائية والهمجية على شيء إنساني في أولى مقاماته!، الجنس لا يحتاج إلى صداقة أو حب!، وإن كان هناك من يفعلون ذلك تحت مظلة الحب والصداقة فهم ليسوا دليلًا علي حتمية وجود الجنس في تلك العلاقات!، فلا يمكن تشنيع الشيء نظرًا لسوء استخدامه،

بل اللوم على الخاطئ دونما غيره، ربما على مجتمعاتنا أن تنظر للأمور بعين إنسانيتها لا بعين غريزتها، وبعين الثقة لا بعين الخوف والتخوين!....

الصداقة والحب..

رغم أني استخدمت الصداقة في الوصول إلى حب من كانت حبيبتي، إلا أني لا أستطيع كما أي أحد أن أجعل الحب حتميًا لنهاية الصداقة!، أو أن الصداقة لابد أن تزول لحتمية ظهور الحب!، إن الضرورة لا تُخضِع المتغيرات ولا اختلاف درجات الفكر والعقول!، وفي وقوع الحب تحديدًا لا يمكن إسناد نموذجًا معينًا بعينه لوجوب وقوعه من عدمه!، إن إدعاء حتمية تحول حالات الصداقة إلى حب أمر سخيف ومترهل كثيرًا!، وليس كل محاولات نشوء صداقة مبتغاها الحب كما فعلت أنا مثلًا!، فهناك صداقة تحدث صدفةٌ دون ترتيب وتستمر على ذلك النحو دون الزيادة أو النقصان!، وهي على عكس الحب الذي لا يعرف الثبات!، لكن ربما يحدث الحب بعد الصداقة وهو كثير الوقوع!، وفي الحقيقة قد لا تمر على علاقة صداقة فترة أجمل من التي تكون قبل الاعتراف بالحب!، أو بمعن ادقٱ عندما يمارس الحب تحت مسمى الصداقة!، فيكون هناك حبٌ لا يندفع ولا يرجع!، و غيرة قاتلة وثورة هادئة!، اشتياق شديد وقيد منيع!، كلام يخرج ولا يخرج!، نظرة تبوح ولا تُفصح!...

قد ينشأ الحب نتيجةً لبعض أمرٍ ومنها الثقة!، إن الثقة بين الطرفين تولد الحَكي!، ومن الراحة الناتجة عن الحكي والطمأنينة الناجمة عن الردود تضفي راحة على العلاقة ذاتها!، ثم تتحول الراحة من راحة في العلاقة إلى راحة للشخص!، فما تلبث تلك الراحة أن تتحول ميلًا للشخص باعتباره منبعًا للراحة ومصدرًا للطمأنينة والأمان!، لأن هناك نوعًا من الأمان لا يتوفر إلا عندما أقص حالي على أحد فيبعث في قلبي الطمأنينه ببعض كلمات!، إن لكلمات البعض سحرٌ على نفوسنا يفوق الفعل تأثيرًا!، ومنه، لما يكون الرجل قادرًا على احتواء المرأة التي يتعامل معها ككل عمومًا، وفكرها خصوصًا، فإنها معرضة للوقوع في حبه بيسر!، لأنها باتت تعتبره ملجأ لها ولشرودها وتوترها!، وإن توتر نفس المرأة يجعلها دائمًا في بحث عن حل لمشكلاتها وتوترها وشرودها خارج نطاق عقلها!، خارج نطاق نفسها المعقدة الضيقة!، فما أن تجد شخصا تقاسمه ذلك التشتت ويكون هو كذلك محبُ لمقاسمتها تصبح معرضة للوقوع في حبه بأبسط الطرق!، وعلى النقيض، فإن الرجل الذي يستوعب امرأة معينة يكون معرضًا أكثر للوقوع بحبها!، لأنه بات يعتبر نفسه ملجأها ومرشدها، وذلك نظرًا لطبيعة الرجل كونه يحب العطاء والتقديم أكثر!، ومن تلكما الطبيعتين المختلفتين تمامًا تنشأ علاقة الحب من الصداقة!، ولأن الإنسان مفطورٌ على الألفة فيكون حدًّا حبه وصداقته متقاربان!، وعند المرأة قد يكون ملتصقاً وليس متقارباً فحسب!، ثم بعد ذلك تأخذ العلاقة منحنيًا آخر تبدأ فيه بزوغ بعض الأمور التي تعبر عن الحب ضمنًا ثم صراحةً!....

إن اهتمام الحب أعلى قدرًا ومقدارًا من اهتمام الصداقة، لذا أي اهتمام قد يبدو زائدًا فإنه قد يرجع إلى حب يلوح في الأفق!، وكذلك الغيرة، دعني أخبرك أن الغيرة فتيلة حب الأصدقاء!، وحتى إن لم يوجد الحب قد تغار المرأة على صديقها أو الرجل على صديقته باعتبار أن كل منهما يرى أنه ليس للآخر حق في امتلاكه صديق غيره!، فتتحول علاقتهم بالغيرة من أنت معي وحدي إلى أنت معي ولي وحدي!، ولربما الغيرة وقد تكلمنا عنها كثيرًا في إحدى الرسالات، هي أشد الأشياء نماءًا للحب وتعبيرًا عنه بغير قصد!، ناهيك عن الاشتياق الذي يملأ الوجدان فجأة، والفكر الذي يحتل الرأس، لكن دعني أخبرك هنا شيئًا، إن من أكثر ما يلتبس علينا في الصداقات وتحولها إلى حب هو عدم التفرقة بين الاعتياد والاشتياق!، ربما يعتقد البعض أنه مشتاق إلى طرف صداقته الآخر و يخَيلُ له أنه وقع في الحب وهو في الحقيقة مفتقدٌ لأمر جرة عادته عليه!، وهو ما يجعل الحب بعد الصداقة أمر يسهل فيه خداع المشاعر، لذا هو أمر يحتاج الكثير من التأكد!....

لن نتحدث عن اعتراف حب الأصدقاء لأننا قد تطرقنا إليه قبل ذلك!، لكن دعني أخبرك حالات رأيتها في ذلك الحب تستدعي التفكير والتأمل، ومنها صدمة أحدهم عندما يعترف بحبه ويجد الآخر لا يكنه أي شعور سوى الصداقة القائمة بينهم رغم ظهور بعض علامات الحب أو حتى كُلها!، وقد يكون رد الفعل ذلك حقيقًا أو إدعاءًا، أعني أنه قد يكون الطرف الآخر لا يحمل له أي نوع من الشعور غير الصداقة حقيقةً، وقد يكون لا يريد الاعتراف به لخوفه من أمر ما!، وتلك الحالة تحدث كثيرًا لمن تعرضوا

لآلام الخيانة والغدر، فيكون ما أصعبه الإقناع بأمر الحب حين يعاني أحدهم وجع الخيانة!، بينما أنت تحاول إثبات أنك مختلف!، ولربما كذلك من يرى أنكم جيدين كأصدقاء فقط، نظرًا لما ذكرته آنفًا لقلة متطلبات الصداقة مقارنةَ بالحب!، وهناك من يرى صديقه جيد كصديق، لكنه لا يصلح للحب!، وأنا لا أستغرب ذلك لأن الموضوع كله راجع للميل ووجهة النظر!، وربما من اعتادك كصديق أصلًا لا يستطيع رؤيتك غير ذلك!، ومما رأيته أن يشعر البعض بضياع شيء منه يعتقد أنه يمتلكه حين يبزغ شخصًا آخر في سمائه!، فيسارع إلى الاعتراف بحبه الذي ربما لم ينضج أو يكون على محمل الجد أصلًا لحماية ما يعتقد أنه ملكه!، ورأيت كذلك من اعترف بحبه لطرف صداقته الآخر بعد فشله في علاقة كان فيها، فيلجأ البعض لاختيار أقرب الناس لهم ليعوضهم ما تم فقدانه وليرمم ما تم إتلافه!، وهو ما قد يفسد الصداقة ويشوه الحب ويجعل نشوءه باطل وبقاءه محال!، فربما علينا أن نعرف مع من نتعامل؟، وما الأمور التي نمر بها ويمرون بها حتى لا نقع في حب زائف أو نظلمهم بقصر فهمنا؟،!، لأن الصداقة شيء ثمين لا يعوض فلا يصح إتلافه إلا أن يرتقي لحب خالد!....

تحول الحب إلى صداقة!...

يقولون أن المستحيلات سبع، لكن الحقيقة ثمانية، فصداقة بعد حب ثامن المستحيلات!، ولقد رأيت أناسًا أحبوا بعضهم البعض ثم افترقوا ثم رجعوا ونجحوا في ذلك، لكن غيرهم لم ينجح في الرجوع إلى صداقتهم التي كانت!، وحتى إن ظهرت الصداقة بعد الحب من أحد فهي دليل على أن أحد الطرفان لم يقتنع أو أن كلاهما لم يقتنعا بَعد بفكرة الفراق أو البعاد!، فكل ما يظهر تحت مسمى الصداقة هو سلم للصعود إلى الحب مرة أخرى!، وربما الغيرة هي ما تجعل الصداقة بعد الحب مستحيلةٌ، لأن لها القدرة على إحياء الحب من موته وليس إرجاعه فحسب!، وكذلك مهما كان للصداقة من حدود بعد الحب لابد لها من مرةٍ يكون فيها وصلة عتاب تجعل القلب يدق من جديد!، وقد من تعودت عليه كحبيب لا تعرف أن تتعامل معه غير ذلك!، لذا ربما علينا إن اتخذنا قرارًا بالفراق فلا يصح أن يكون للصداقة مكان بين قرارنا، لأنها مهما كانت ستكون زائفة!....

في الصلاقة....

صديقي العزيز صباح الخير، أريد أن أخبرك أني اليوم في المنزل!، يا له من إحساس رائع حين أصحو لأجد نفسي في غرفتي الغير مرتبة على الإطلاق!، والتي بها الكثير من الفوضى التي لا أعرف كيف تنشأ؟، أو كيف تزول؟!، لكنني فرحٌ جدًا بعودتي إليها!، لذا سأستغل أوقات فراغي اليوم بكتابة رسالة ربما تكون طويلة، لأنه ربما كذلك لا أجد لها وقتًا فيما بعد!، وفي الحقيقة أني أريد إخبارك بعض شيءٍ حسنٍ ربما يُستحسن وجوده بين أي اثنين في علاقتهم، وكذلك أشياء لا يفترض أن يكون لها أي أثرٍ بينهم!، وما سأكتبه لك الآن ليس من الخيال إطلاقًا، فأنا وقعت بأخطاء كثيرة وقد فعلت الصواب أيضًا، وربما سأكتب لك أيضًا أخطاء قد وقعت بها الفتاة التي كنت أحبها دون الإشارة إليها!، وفي الحقيقة أني كنت أريد كتابة تلك الرسالة إليك من فترة بعيدة، لكني لم أستحسن فعل ذلك إلا بعد أن أحسست تعافيًا ملحوظًا في نفسي!، وحديثي إليك ببعض التفاصيل لا يدل على أني لم أتخطَ الأمر بعد!، فقد أتذكر بعض الأشياء لأن الحب يمتلك

ذاكرة قوية ليس أكثر!، فدعني أتذكر بعض شيءٍ فلربما أصيب الحديث!....

الحب وحده لا يكفي...

أول ما أريد أن تعلمه دون تردٍ أن في نظري أسوأ أنواع العلاقات وأقلها عمرًا، تلك التي تقوم على الحب وحده!، لأن الحب يقوم على الشعور أما الحياة تقوم على المنطق والواقعية!، فالحب وحده عاجز، لا يمكنه فعل شيء، لكنه يستطيع الإدارة بخفةٍ وقَبول، فلا تكن حبيبًا فحسب، ينبغي عليك قول معسول الكلام أحيانًا،وأن تهرج كصديق أحيانًا، وتسب كأخ، وتنصح كأب، وحنونًا كجميعهم فكل الحنان ينبغي أن يكون أنت!، عليك فعل كل هذا مضافًا إلى الأهم وهو رؤيتك للمستقبل!، إن لم تخطوا خطوات جدية نحو مستقبلكما معًا كل يوم فإن الحياة ستقف والحب سيفشل!، وفي الحقيقة إن أجمل ما قد يقدمه المرء لمن يحب هو مساعدته في الوصول إلى هدفه، ولتعلم أن للإنسان في الحب طاقة وحماسة لا تظهر إلا في حبه!، فأنا لم أرَ جدية في محاولة وصول إلى شيء بقدر ما أراه في عيون العاشقين!، ورغم أن وصوله يقتضي منه تهيئة كل الأجواء إلا أنه لا يمل المحاولة!، إذن ما يعوق تلك الحماسة في الوصول إلى مبتغاها ومرادها إلا سوء إدارتها؟!، ولعلك تعرف كذلك إننا كرجال أصحاب قوة وذكاء، لكنّا نفتقر لطول النفس!، نحن نحتاج دائمًا إلى من يدفعنا!، فلعله

يجب عليك في علاقتك أن ترسما خُطة مستقبلكما معًا ثم تُعَلمها كيف تدفعك هي إلى الأمام!...

الاستماع فن وضرورة...

إن للكلام سحرٌ وللاستماع سحرٌ أعظم!، ومما لا نقدر على نكرانه نحن كرجال أن معظمنا يحترف الكلام ولا يجيد فن السمع!، ففي الكلام شاعرٌ وفي السماع أصلم_ أي مقطوع الأذن _!، وفي الحقيقة إن إجادة الكلام ليست سيئة بل هي أمرٌ عظيم!، لكن، وحده لا يكفي، لأن إدمان الكلام دون الاستماع يجعل الرجل في موضع الرد دون النقاش!، أي أنه يظهر كمستمع من أجل الرد وليس الفهم!، وهو ما سيجعل فهمه قاصرًا وردوده باطلة!، ناهيك عن أن عدم وجود فلسفة الاستماع لدى الشخص غالبًا ما يرافقها نقصان فلسفة الاعتذار أيضا!، لأنه لم يدع الفرصة للسمع ثم الفهم ثم الاعتذار!، وبغض النظر عن أي شيء أصلًا، ينبغي عليك أن تجعل شريكتك تحكي لك كل أمورها!، لأن الحكي بالنسبة للمرأة حاجة وليس أمر نتيجة الفراغ!، وكذلك عليك أن تجعلها تحكي لأن معظم مشكلاتهم تنتهي بالحكي فحسب!، بل عليك في بعض الأحيان أن تَسَل إذ ما كان هناك شيئًا أحسسته بأنها تخفيه!، ما المعضلة بأن تبادر بالحكي لتكن أفضل مزاجًا مع من تحب؟!، ثم تعطيها الدفعة لتحكي لك ما يزعجها أو ما تخفيه!، إن لم تستمع إليها أنت فمن ذا الذي يفعل؟!، بل السؤال الأهم هنا، أليست تلك التي أصبحت تمل حديثها هي نفسها التي كنت تشتاق

لكلمة منها؟!، عليك أن تعي تمامًا مع من تتعامل ومدى حاجتهم للكلام وللاستماع!...

العتاب...

العتاب مُطهر العلاقات!، محاولة لإزالة ما يشوبها من أرق وقلق!، وإنهاء حزنٍ وضيق!، العتاب رسالة تقول لازلت أحبك رغم كذا!، لذا لا ينبغي عليك أن تدع فرصة العتاب تذهب دون أن ترجع الأمور إلى نصابها!، فسل من فارقوا كم تمنوا رجوع لحظة عتاب!، وكذلك عليك ألا تُثْقِل بعتابك إلى الحد الذي يجعلك تظهر كشخص لم يعد يُرد البقاء!، وكذلك لا تفهم العتاب الثقيل على أنه محاولة للبعد والهروب!، فربما ينبغي على الطرفين أن يكونا في سباق إلى الفهم والتسامح، وأقول الفهم لأنه من الصواب أن تقف على أصل الأشياء حتى لا تَظلم ولا تُخدع، وكذلك تدع فرصة لفَهمِكَ وإفهامك!، ولابد أن تعلم أن السماح بالعتاب هو إعلان نية التسامح!، وكذلك أن الحب المؤرق الذي يحتاج الكثير من العتاب لا يخلو من الحب، وإنما يخلو من الفهم!، من الاحتواء!، وربما تجد فيه عتاب كثير على أمور ساذجة!، وذلك حُمقٌ في استخدامهِ؛ لأنه يفقد بريقه وقوته لحظات جدية احتياجه!، فعليك أن تعاتب أن أحتاج الأمر فحسب!، وكذلك الرجل الذي لا يُفرق بين اللين والخنوع رجل لم يدرك حقيقة المعاني، فلربما علينا أن نظهر أكثر لينًا مع لين الكلام، فالمرء الذي لا يلين مع لين الكلام مرء خشن الطبع بليد الحس!، كما أن ليس كل الوقتِ

مناسبٌ للعتاب!، مثلًا، في البكاء لا تغلق المرأة عينيها فحسب، وإنما تغلق أذنيها كذلك!، لكنها تسمع ما تريد سماعه!، و غالبًا تريد سماع ما يرسي في قبلها الطمأنينة دون غيرها، ونظرًا لأن تلك طبيعتها فلا تجعل الحديث حين بكاءها عتابًا ولا زجرًا، بل لطف حتى يحين وقتًا يكون فيه الكلام مفهومًا والعتاب مقبولًا!، ربما علينا تعلم العتاب المقرون بالرحمة والحب المليء بالانسانية!...

الأعذار والتسامح...

أتذكر دائمًا أستاذي الراحل أنيس منصور حين قال : ما أبشع من الإهمال إلا تفاهة الأعذار!، فهناك حقًا عذرٌ أقبح من اقتراف الخطأ وأبشع من ارتكاب الجريمة!، لذا إن أخطأت فقل أخطأت ولا تزخرف خطأك بالكذب والاختلاق!، وكذلك إن لم تخطئ لكن العذر ضعيفًا لا تنطق به، حتى لا تفقد احترام أعذارك حين الاحتياج لها!، لكن أتعرف؟!، من الغريب جدًا يا صديقي أن النوايا الحسنة بها الكثير من حماقة الأفعال!، لذا عذرها موجود بداخل نواياها و سذاجة أفعالها!، فينبغي أن نحرص على الوقوف على أصل النوايا حتى لا نُخدع بظاهر الأفعال!، لأنه من أشد رد الفعل قسوة على النفس ذلك العمل الذي نبغى به الخير والود ولا نوفق فيه فترد لنا أعمالنا على النتيجة وليست النوايا!، فحاذر أن تظلم نفسًا محبةً حسنة النية وإن أساءت الفعل!، ولعل عندما تقتنع بأنك تحب بشرًا حينها ستكون قادرًا على مسامحته!، ربما علينا جميعًا أن نحب الصواب، لكن

ذلك لا يمنع التماس العذر للخطأ!، ولتعلم تمامًا أن الأعذار ليست بعددها وإنما جودتها!، وربما ليست بجودتها وإنما وجودها فحسب!، فأنا عندما كنت أغضب منها وأهجرها كنت أشتاق لها ولعذرٍ منها كي أسامحها على الفور!، لم أهتم أبدًا بجودة الأعذار لأنها كانت فقط خيط رفيع بيني وبينها أعلن به عن غضبي لما فعلت!، لكن دعني أخبرك أنه في نهاية علاقتنا كان أقبح الأعذار ذلك العذر الذي لا أصدقه، لكنني مضطر على تصديقه إرضاءً لقلبي!، ومنه عليك أن تعلم أن هناك بشرًا مبدعين في خلق الأعذار مستغلين مكانتهم عند شركائهم!، وهم على الأرجح لا يجيدون فعل أي شيء غير الاختلاق!، ونحن عندما نقدم الأعذار فنحن نطلب السماح ضمنًا!، لكن ليست جميع الأخطاء تحتمل المغفرة، وليست كل الأعذار تلقى القَبول!، فلازلت عند رأيي أنه لا عذر في خيانة أو لأناسٍ اعتادوا الكذب!...

الأمر والنهي...

للرجل سلطة الأمر والنهي ودعك من أشباه النساء اللواتي لا يقبلن ذلك!، لكن مقابل تلك السلطة يفترض بالرجل أن يكون حكيمًا، عادلًا ومنصفًا!، فإن خَرُصت حكمته وضاع عدله و حاد إنصافه لا سلطة له، لأنها تُصبحُ سلطة غير سوية لا تعرف غير التسلط والأنانية المطلقة!، والسلطة كذلك لا تعني مطلق الإنابة_ الطاعة المطلقة_ لأن لكل إنسان مساحة لفكره ورغبته وكذلك أخطائه!، فعندما تمنعني حقي في الخطأ فأنت تمنعني حقي

في التَعلُم!، فالخطأ حقٌ وغفرانه ليس منحة يتَفَضَلُ بها أحدٌ على أحدٍ!، يمكن للسلطة أن تتدخل في إصلاح الخطأ أو تقويمه، لكن يفترض بها أن تكون واعية وحكيمة حتى لا تظهر همجية في تدخلها!، مثلًا حين تُطالب من تُحب بتغير شيء ما، فقل ذلك برفق، وتحديدًا في أي شيء قد قلت له أحبك وهو به!، ما المشكلة أن تمتدح طريقة تفكيرها ثم توضح لها الخطأ؟!، لمَ الأمر مرتبط بالأمر والنهي والزجر!، صحيح أن هناك بعض الأمر يمكن أن يأخذ طريق الانفعال!، لكن الانفعال دوما همجية وطيش!، ويمكن أن تمل شريكتك انفعالك وسوء إدارتك وهمجية سلطتك، فتجعلها تبتعد عنك في بعض أمرٍ مما يزيد المسافة بينكم على عكس الصحيح والمراد!، فبديلًا عن كونك مرشدًا لها تصبح تخافك!، لأنها لا تأمن رد فعلك، وهنا عليك أن تعلم أن الحرية مهمة لمن تحب، وأن الأكثر حرية أقل عرضةً للخطأ!، لأنه يعطي مساحة لفكره دون خوف، ولتعلم كذلك أن الحب ليس سجنًا!، وان عالمه محدودٌ لكنه ليس عالمًا ضيقًا!، إن طرف علاقتك الآخر ليس عبدًا وأنت سيده، ولا هو بضاعة أنت مالكها، ولا سلعة تحتكرها!، فتعلم كيف تكون سيدًا للقلب ومالكًا للروح بأدب نصحك ورشد سلطتك!، وليس لأنك صاحب السلطة يُعني أنك لا تخطئ، فقولك أنك لا تخطئ تعني أنك مجنون!، فكلنا نخطئ وأعقلنا من يتقبل النصح من الآخرين والعتاب ممن يحب، فإن أردت أن تكون سلطانًا فعليك أن تكون رشيدًا!...

الأنانية...

ربما لا تحتاج الأنانية إلى شرحٍ وتفصيل، لكنها تبقى مما يمكن التباس مفهومه مع مفهوم آخر وهو حبِ الذات!، فدعني أفرق بينهما كما يتضح لي ليس أكثر!... الأنانية دليل النقص ومظهر الحرمان!، وصاحبها يظهر متساهلًا في الأخذ و شديداً في العطاء، وهي برهان ذاتها إذ أنها لا تحتاج دلالة عليها!، وبعضها ليس أن يحصل الأنانيُ على ما يريد، بل أن يحرم الآخرين مما لا يريده!، وهو بحرٌ لا يمكن ملؤه ونارٌ لايمكن إشباعها!، أما حب الذات فهو حب وهمي ناجح، بعد حب حقيقي فاشل!، فمعظم من يقعون في حب أنفسهم هم أناس تعرضوا لخيباتٍ جعلتهم يلجأون لحب ذاتهم!، ليصبحوا قادرين على حماية أنفسهم وتجنب المخاوف الناتجة عن أوجاع التضحية والخذلان!، وهم أشخاص يظهرون مترددين في الأخذ والعطاء بالتساوي!، فلعله مسكين أحب نفسه لأنه لم يجد من يحبه!، أو لأنه وجده لكنه خذله!.... الأنانية في الحب تؤلم القلب بشدة، فكم أنا لا أهُمك ولا أمثل لك شيئًا عندما تقول لي أفعل وأنت لا تفعل!، رغم أن الشيء نفسه اتفق عليها المراد والعقل والمنطق!، دعني أعطيك مثالًا أراه، تُخطئ هي وتنتظر الاعتذار!، تلك فلسفة الحمقى ومنطق البلهاء!، فتتعامل مع من تحب على أنه شيئاً تحتكره!، وللأسف إن تلك الأنانية البغيضة أصبحت موضعًا للتقليد والتفاخر!، فكم هي قوية وجميلة تستحق التضحية حين تخطئ ويُقَدم لها الاعتذار!، ومن ذلك التقليد الأعمى تنشأ المشكلات بين الطرفين، لأنه ليست كل الفتيات تمتلك ذلك المخنث الذي يرتضي فعل ذلك!، العقل والصواب يقولان أن من يخطئ

عليه الاعتذار!، لكن حين ينشب خلافًا لا يكون فيه أحدهما مخطئًا، بل مجرد سوء تفاهمٍ ربما يصح أن يسارع كل منهم إلى الاعتذار، فأنا أبدأ بالاعتذار والعتابً ليس لأني الأضعف، لكنما لأني الأكثر حبًا!.....

حب محتار...

قد يؤلم الحب أناسًا كثيرين، لكن هناك أناسًا يرهقون الحب أكثر!، واثنان يقتلانه قتلًا!، رجل سليط وامرأة عنيد!، الحب يتوه بينهما، يَعْتَلُ حتى يموت صريعًا في أرض السذاجة والعناد!... الرجل السليط شخص مزعج غير مريح للنفس، وكثير الضجيج قليل المنفعة!، وهو غالبًا ما يظهر في تفاهات الأمور وينزوي في أعظمها!، لأن الرجل العظيم حقًا لا يتدخل إلا في أعاظم الأمور، وفي حقيقة الأمر كذلك أن الشخص الذي يتدخل في كل الأمور حتى أتفهها يفقد ذاته واحترام الطرف الآخر له!، وإن كان الرجل هو صاحب السلطة فإنه لا يجدر به أن يتدخل إلا إن ساء الأمر بما لا يُحتمل!، أو إرشادًا بلطف، وأنا أرى الرجل الأقل استخدامًا لسلطته هو أكثر الرجال قوة ومنعة!، ربما بكل أمانة أقول لأي امرأة سوية ابتعدي عن الرجل السليط لأنه مرهق ومزعج!، ونهاية علاقته مؤجلة ليس أكثر، فربما ينبغي عليها أن تستعجل النهاية حتى تخرج من علاقتها سليمة النفس صحيحة البدن!.... دعني أكتب لك شيئًا عن المرأة العنيدة شبيهة الأنثى!، إذ أنها في نظري امرأة غير مكتملة الأنوثة!، وهي كالرجل السليط تمامًا،

فشل علاقتها قريب منها كظِلِها!، و المُشكلةُ أن تلك العنيدة ليس لسلوكها غُفران، فلا يقابل عندها إلا بعند، وهي في آخر الأمر مهزومة لا محالة!، فما إن تنهزم مرة تلو الأخرى حتى تفكر في الهروب، أو يفكر شريكها في الخلاص نتيجة السأم!، ومن المزعج في الأمر أن كثيرات لا تفرقن بين العند واستقلال الشخصية وقوتها!، فكلمة (لا و أنا هكذا) لا تعني بالضرورة أني قوي أو مستقل!، وتحول تلك الكلمات إلى موضةٍ وتفاخرٍ لا يمثل إلا كارثةً على المرأة وعلاقتها!، فلا أحد يستطيع نكران أن المرأة العنيدة هي الأكثر فشلًا وخسارةً لنفسها ومن حولها!، وربما ذلك يرجع إلى سوء التربية من فرط في الرفاهية وعدم الحكم السوي!، أو أنه لقلة الرجال بالبيت!، ولا أعني قلة العدد وإنما المضمون!، فالفتاةُ التي تربت على أن والدتها ذات صوت عالٍ ورأي صارم ربما تعتقد أن كل الرجال كوالدها، وأن والدتها ليست خارجة عن الصواب والمألوف!، فربما ينبغي أن تُربي الأنثى على أن تكون أنثى وليست شبيهة للإناث!، وربما للأمانة كذلك ينبغي أن أقول لك: إن رايت امرأة عنيدة فاهرب!، لأنها ستجعلك تزهد كل النساء!، وأنا رغم كل ما أمتلك من هدوء لا أتحمل عناد امرأة!، إنه لأمر في غاية السخف أن تقف أمامك ندًا مَن يُفترض أن يكون بها كل اللين والرقة!...

التشابه والاختلاف....

إن أمر التشابه والاختلاف بين طرفي العلاقة أمرٌ محيرٌ كثيرًا، فمن الناس من يرى أن الاختلاف أسبق إلى الجمال من التشابه!، ومنهم من يرى أن التشابه ضرورة وليس زيادة في الجمال فحسب!، والأمر في الحقيقة يرجع إلى وجهة النظر ومدى حب التشابه وقَبول الاختلاف!، لكن ما أود الإشارة إليه هو ما يهمنا دائمًا وهو التباس المفاهيم!، فالتشابه لا يعني التطابق!، والاختلاف لا يعني التضاد!، فمن يعتقد أن التشابه هو أن يكون شريكه نسخةً منه فهو لم يدرك المعنى الحقيقي للتشابه!، وكذلك الاختلاف، ربما أستطيع أن أقول: أن الاختلاف هو تشابه منقوص!، أي أنه ثمت فوارق وليس تضاد وتعارض!، وليست كل الأمور يمكن إسنادها للتشابه أو الاختلاف!، فبعض الأمور المرتبطة بالذوق الشخصي والأمزجة ربما لا تندرج تحت تلك المفاهيم، فعدم الاشتراك في حب البطاطا ليس دليلًا على الاختلاف الذي قد يؤرق العلاقة ويجعلها صعبة!، وهنا لا أعني البطاطا لذاتها وإنما أعني أن الأمور البسيطة لا تتطلب التدقيق في كونك متشابه مع من تحب لو أنك مختلفٌ عنه!، وكون العلاقة تقوم على جنسين

مختلفين فلابد من وجود اختلافات جوهرية بينهما!، وما ذلك إلا لاختلاف الأمزجة والسلوك النوعي والفردي، أنا أعتقد أنه لشيء رائعٌ أن يكون من تحب يشبهك في كثيرٍ من الأمور!، لكن في نظري مفهوم التوافق ضروري عن مفهوم التشابه!، فليست كل المتشابهات تتجذاب وليست كل الأنداد تتنافر!، فربما أكون كالليل وحبيبتي كالنهار، أو هي كالليل وكالنهار أنا، لكن لا يمكننا الفراق لأن بدون أحدنا_ أي الليل والنهار _ اليوم لا يكتمل و لا تدوم الحياة!، لكن الليل متوافق مع النهار تمامًا في نظامهما وتعاقبهما!، إذن، التوافق ضرورة تبقى على التشابه وتُحسن مظهر الاختلاف، ولأن التوافق يقوم على الفكر فلربما يكون التشابه فيه ضرورة!، لأن الاختلاف الفكري قد يتحول إلى خلاف!، وهنا أنا أفرق بين تشابه المظهر والأمزجة والأذواق وبين تشابه الرؤى والأفكار!....

مقاصد ضمنية...

دعنا نتفق أن مضمون الكلام أهم من الكلمات!، وما وراء الكلام أهم من الكلام ذاته، فحين أصغي إليك فأنا لا أريد فَهم معاني الكلمات وإنما معنى الكلام وكذلك ما وراءه!، و للفَهمِ الضمني مكانته في كُليةِ الفَهم!، أعني أنه ليس من الضرورة أن أفهم الكلام على ما تم التصريح به فحسب، وإنما قد يكون الفَهم الحقيقي فيما استتر!، ولعل أخطر الكلام في العلاقات هو ما يحمل معنًا ضمنيًا مهينًا أو جارحًا دون قصد!، دعني أعطيك مثالًا!، لعلك الآن في علاقة مع إحداهن وقد ضاق صدرك بسبب أُناس ما، وتشاحنت معها بسبب ضيقك وليس لأمر بينكم!، فرُحت أنت وكتبت" خسارتك لبعض الأشخاص مكسب لصحتك"، في ذلك الحين أنت تقصد أصحاب ضيقك وليست حبيبتك!، لكنها ستفهم الكلام على رؤيتها وموقفها وليست الحقيقة، لأنك تشاحنت معها كذلك!، أعني أنك أهنتها دون قصد في وقت لا يستبعد فيه سوء الفَهم، وفي الحقيقة أن الحب في تلك المواقف صاحب عقلٌ ضيقٌ وفَهمٌ قاصر!، فربما ينبغي ألا نقع في إهانة من نحب ضمنًا، لان تلك الإهانة التي تكون بدون قصد ربما هي أشد من تلك التي

بقصد!، و كذلك أنا لا أفضل الكلام عن الجميع دون الاستثناء!، بمعنى تلك التي تكتب " لا أمان للبشر" وهي في علاقة مع أحدهم فإنها تهينه ضمنيًا وإن لم تقصد!، لأنه من البشر التي لم تستثني منهم أحد في وصفها وحديثها!... أعتقد أن من نحبه لابد أن يكون في كل اعتباراتنا من كلام وأفعال، وذلك لأن كلما أحب الشخص أكثر كلما كان أكثر حساسيةً!، لأنه لا يحب رؤية أي شيء يهدد حبه ومكانته لدى من يحب!، فلربما ينبغي أن نجعلهم دائمًا واثقين من مكانتهم لدينا وحبهم في قلوبنا!.....

المظهر والناس...

صديقي، في بعض الأحايين يكون بقاء العلاقة مرهون بأن تكون مشكلاتها بداخلها!، أعني أنها مهما بلغت وتفاقمت ينبغي ألا تتسرب من أحدهما إلى غيرهما!، لأن المشكلة إن لم تخرج من نطاقهما سيمكنهما حلها وتخطيها!، بينما خروجها يعوق الفَهم المباشر والقصد الصحيح لوجود الوسيط، ناهيك عن نوايا الوسيط وطريقة فَهمه وعَرضه للمشكلات وكذلك حَله!، وإن الأمور التي تخرج عن نطاقها المحدد تصبح أكثر اتساعًا وكذلك أقل إمكانيةً للتحجيم والإصلاح!، ودعني أؤكد لك أن الظهور بشكل جميل أمام الناس يقضي على جزء من المشكلات ويساعد في حل الجزء الآخر!، لأن حسن السلوك والمظهر يزيد من قدر الاحترام وقيمته بين الطرفين!، وكذلك الأمور لا تَسلم دائمًا من وقوع حدث مفاجئ أو خطأ عابر أمام الناس!، فلربما يجب حينها أن يكون الحفاظ على المظهر هو الأهم والأسبق إلى تفكير كليهما!، والرجل خصوصًا لابد أن يتحكم في رد فعله أكثر كونه صاحب السلطة!، وربما يجب عليه حين وقوع خطأ منها أمام الناس أن يدافع عنها بلطف ثم يعاتبها بعد ذلك!، أو

حتى يعاقبها إن كان الأمر يستدعي العقاب!، لكن الأهم ألا يفقد كل منهما مظهره واحترامه لشريكه أمام الناس!، من المؤسف ألا تجد إلا القليلين الآن ممن يضعون في حسبانهم المظهر والتحضير!، وألا تجد الرقي صاحب الكلمة!، ولا الذوق مرفوع الشأن!، إن الافتقار إلى تلك الأشياء تُشوه مظهر الحب والود وتستعجل أجله، فلمَ لا يكون الحب ذا مظهر جميل والفعل راقٍ ومتحضر؟!...

خطة فاشلة...

كسب الأشياء في كثير من الأحايين مرتبط بجودة خطة الحصول عليها، لكن ليست كل الخطط المحكمة تسير نحو النجاح دومًا، وليست كل الخطط الفاشلة تفشل على الدوام!، ولقد رأيت أناسًا خطة حصولهم على ما يريدون تتلخص في كلمة واحدة، الضعف أو المَسكَنة!، يمررون كل المواقف بإظهار الضعف وقلة الحيلة!، وهو أمر ربما يتم التغاضي عنه في المرأة لأن بعض الضعف جزء منها، لكن لا يمكن فعل نفس الشيء مع الرجل!، فالرجل الذي يستخدم الضعف أو المَسكنة في تمرير مواقفه والحصول على رغباته يكون شخص إما يمتلك من الضعف ما يجعله لينًا ولا يصلح قائدًا ولا ذا سلطة، أو أنه يمتلك من الخبث قدرًا يجعله يظهر بغير ما فيه!، والمشكلة أن أصحاب ذلك الفعل بعد فترة لا ينظر لهم على أنهم مساكين وفي حاجة إلى الدعم أو التضحية!، وإنما على أنهم عاجزون و ضعفاء، لأن الشخص السوي يضعف في بعض المواقف وليس في كلها!، فلربما على المرء أن يكون متزنًا ومترفعًا في طلب الأشياء بديلًا عم تحايله بأسلوب محتقرٍ وزائف!، ولعل على الرجل أصلًا أن يظهر قويًا حتى يُرى

في عين من تحبه سندًا وعونًا!، وأنا لا أنكر الضعف أحيانًا وإنما أنكره على الدوام!، ولا أنكره صدقًا وإنما أبغضه تحايلًا!، فحاذر أن تُظهر ضعفًا في غير موضعه، وحاذر أن تَتَحايل بضعفك فتخسر ذاتك!....

موافقة مؤقتة..

من أجمل ما في البشر عدم كمالهم!، لأن كمال الشيء لا يُشعر النفس كل أنواع الشعور!، وفي ذلك حرمان لها مهما كان جمال الشعور الواحد!، فالسعادة الدائمة حرمان من الحزن!، وهو حرمان بمعنى الكلمة تمامًا!، فوجود الحزن يُعلي قيمة السعادة، إلا أن للحزن ذاته قيمةٌ لا يدركها إلا من يعي معنى الشعور!، وكذلك البشر، وجود صفات غير جيدة بهم تجعل صفاتهم الجيدة ذات قيمة وبريق!، لكن، علينا أن ندرك أن الحب ربما يكون أحمقًا في نظره إلى الأشياء والصفات في كثيرٍ من الأحيان!، وحمقه ليس في كونه كثير التسامح فحسب، وإنما في كونه متغافلًا رغم أنه عديم النسيان!، فالصفات التي يبررها الحب رغم قُبحها لا تعد تسامحًا، بل هي تغافل إلى حين يفيق الحب من غفلته!، والحياة تتجه من الرومانسية إلى الواقعية بالضرورة، فيظهر ما تم التغاضي والتغافل عنه من أجل الحب مرفوض في الواقعية!، وهنا لا نجد أن المشكلة كانت في البادية وجمالها، بل في التغاضي والتجاهل الأحمق!، ودعني أؤكد لك أن تلك النقطة تمامًا هي ما يُبنى عليها المستقبل أو ما يهدم من أجلها!، الصفات التي يغفرها

الحب بتغافله هي ضمان فشل الزواج لواقعيته كمؤسسة!، فما يفترض فعله منا هو أن نصرح بالصفات التي لا تروقنا بلطف، حتى إذا ما انتهت تصبح الأمور لطيفة ومقبولة!، أما إن استمرت فلا يجب علينا الاستمرار!، لأن هدم العلاقة كعلاقة لا يتساوى مع هدم الزواج كمؤسسة!، فلربما علينا أن نكونوا صرحاء مع أنفسنا قبل الآخرين، لأن كلٌ منا يعرف ما لا يروقه وكذلك مقدار طاقته فلا يظلم نفسه!، وربما شيء لا يعد أمرًا سيئًا لكنك تراه كذلك، ولا تستطيع التنازل عنه رغم التغاضي الذي سبق فتظلم!، إن الشخص الذي يرتضي شيئًا ممن يحب، ثم يرجع فيلومه فيه هو شخص ظالم!، فحاذر أن تنساق وراء الحب وحده فتظلم نفسك ثم تظلم من معك!...

المناسبات والمواعيد...

صديقي العزيز، مؤسف تعرضك لحادث وفقدانك للذاكرة، لكن هذا لا يغفر لك نسيان تاريخ لقائكما أو عيد مولدها!... المرأة والمناسبات وكذلك التواريخ يشكلان ثنائيًا لا يمكن فصله!، إذ أن رومانسية المرأة تجعلها تتذكر دائمًا اليوم الذي ظهر فيه الشخص، واهتاجت فيه مشاعرها!، وكذلك تَذَكرك كرجل لتاريخ لقائك بها يشعرها مكانتها، ويثبت لها أن ذلك اليوم ما حدث فيه هو أمر جلل_ أي لقاؤها_ بالنسبة لك!، فتَذَكُرَكَ له يعني أنه لا يمكنك نسيان جمال طلتها ولا بهائها!، ودليلٌ على أنها دائمًا في ذاكرتك بكل ما يخصها!، ولتعلم أنه كلما مرت السنون وهي بجوارك يزيد التذكر من الود، إذ أن مشاغل الحياة ربما تقتطع جزءًا من الرومانسية أو معظمها!، فلربما تكون المناسبة والتاريخ فرصة جيدة لإرجاعها لتجديد النفس وإعلان الحب الذي يستتر بين أعباء الحياة!، وأعتقد أننا نحن الرجال كذلك نحب أن تتذكر من معنا ما يخصنا، لكن في الأمور المشتركة كموعد أول لقاء وموعد الزواج أعتقد أنه على الرجل تذكرها لأن تلك الأمور تسعد المرأة أكثر!، أعلم أنك في بعض الأحيان

ستتذكره لتعلنه!، لكن عليك أن تسعدها!، لا تظن أني أبالغ في حديثي عن المرأة والمناسبات!، أصغِ إليّ جيدًا واتبع ما أقول وإلا ستعرض نفسك لمساءلة عاطفية أمام هيئة قضاء الحب!...

الحدود وقاية....

علاقة بلا حدود علاقة هشة غير متضحة المعالم!، والحدودُ لا تُعني الصدَ أو إعلانًا لوجود الفوارق، وإنما هي قواعد ومبادئ تحفظ لكل إنسان شخصه ومقامه!، وفي الحقيقة أن الأشخاص الأكثر حفاظًا على الحدود بينهم هم الأنجح في علاقاتهم!، إضافة إلى أنهم هم الأكثر خبرة في إدارة أمورهم ومواقفهم لعلمهم معنى الحدود وقيمتها!، وإن كان حدوث تجاوز عن الحد بأمرٍ ما بصورة عفوية هو أمرٌ حتمي الحدوث!، فمعالجته تكون أفضل عند الملتزمين أكثر من أولئك التي تبنى علاقتهم على العشوائية المطلقة!، وكذلك الحدود رغم وضوحها وأهميتها لابد أن تتسم بشيء من المرونة!، لأنه لا يمكن الالتزام بها بصورةٍ مطلقةٍ وعامةٍ وإنما يمكن الرجوع إليها سريعًا ممن يدركون قيمتها!، وربما كذلك إظهارك للعنف لحظات تخطي الحدود ممن تُحب هو تجاوز للحد أصلًا!، فربما يكون التفاهم أكثر دقة ونيلًا للمراد!، وينبغي أن ندرك أن الحدود لا تعني الاستقلالية بالتمام!، فما قيمة المشاركة في الحب إن كانت الاستقلالية التامة أحد حدوده؟!، إننا نعلي من قيمة الحدود التي تحفظ

العلاقة من الزوال!، وتحفظ لكل شخص شخصه!، ولعل أهم ما في تلك الحدود حدود الأخلاق!، فالتجاوزات التي تَمس الأخلاق توتر النفس والعلاقة وتشير إلى قرب نهايتها، أعطيك مثالًا، رأيت فتاة تسبّ حبيبها في خلافهما!، وعلى الأرجح كان ذلك ردًا على سبابه أيضًا!، وهنا الاثنان قد تجاوزا الحدود بما لا يبقى على علاقتهما!، دعني أبرر للرجل في بعض الأحيان انفعاله وقسوة كلامه بحكم تكوينه وعنفوانه!، لكني لا أستطيع تبرير بذاءة لسانه وهمجية كلامه وعشوائية فعله!، فهناك فارق بين الانفعال والهمجية!، أما المرأة التي تظهر بذلك الشكل فهي امرأة مبتذلة عديمة الأخلاق، فإن فقدت المرأة حياءها وأدَبها ماذا يتبقى منها إلا مسخ امرأة؟!... إن علاقتك لابد أن يكون بها حدًا يحفظ لك هيبتك كرجل واحترامها كأنثى!، وإن كان في تخطي الحدود شيء من الإهانة فاعلم أن حين الحب الإخلاص والاحترام واجب، وحين الإهانة الفراق مُسَلمة!، فإن أردت دوام حبك وعلاقتك فعَلِمها قيمة الحدود واحترمها أنت أكثر!...

اللوم والعذل...

صديقي، تَعَود أن تكون ناصحًا و مواسيًا لا عاذلًا و لوامًا ، لأن في عذل المُحب ولومه بعض قسوة لا يُحسها غيره!، فأنت حين تلوم شخصًا في حبه تكون كمن يداوي الجرح بالنار!، صحيحٌ يمكن للنار أن تنفعه، لكن لا تنسَ أنها تكويه!، وبعض الحبُ يرهقهم، فحاذر أن تقسو بكلمات على نفسٍ مُتعَبه!، ولعلك الآن تتذكر زريق البغدادي حين كان يشكو من عذله، وإن لم يكن موضوعه الحب وحده لكنه قال:

لا تَعذَلِيه فَإِنَّ العَذلَ يُولِعُهُ... قَد قَلتِ حَقًا وَلَكِن لَيسَ يَسمَعُهُ

جاوَزتِ فِي لَومهُ حَدًا أَضَرَّبِهِ... مِن حَيثَ قَدرتِ أَنَّ اللَومَ يَنفَعُهُ

فَاستَعمِلِي الرِفق فِي تَأنِيبِهِ بَدَلًا.. مِن عَذلِهِ فَهُوَ مُضنى القَلبِ مُوجعُهُ

إن الشخص الذي يشتَم رائحة الحريق ليس كمن يَحترَق!، لذا لا تلم شخصًا أنت لا تستطيع إدراك كل شعوره وإحساسه!، وقد قال في ذلك النوع شوقي:

يا لائمي في هواه والهوى قدَرٌ ..... لو شفَّك الوجدُ لم تَعذِل ولم تلُمِ

من أبغض ما قد أراه هو أن يعذل شخصًا صاحبه في مَظهَر من يحب أو مقدار جماله!، ولا يدرك أن كلٍ منا يرى بعين حُبه!، ولا يدري كذلك أن الجمال شيء نسبي كما باقي الأشياء!، فإذا اختلفت الأفكار في الرؤوس اختلفت النظرة إلى الأجمل!، فصاحب الأفكار يمكن أن يرى الجمال في الفكرة، وصاحب الجمال يمكن أن يرى الجمال في وجه من شابهه!، وصاحب الروح يرى الجمال في الأرواح، فلا يصح أن تسقط الجمال على شيء أو تزيحه عنه من خلال أعينك وأفكارك فحسب!، لأن لكل إنسان عين يرى بها وعقل يقيم مايراه من خلال أفكاره، إنما الصحيح أن تقول أن هذا الشيء جميل في نظري، إلا في مظهر من يحبه غيرك!، ليس لك رأي في ذلك ولو طُلب منك الرأي!، لأنك لن تجبر الناس على التفكير بعقلك ولا الرؤية بعينك!، فأي وقاحة تلك حين يشوه أحدهم الجنة في عيون المؤمنين!....

الضمير....

آخر كلماتي في رسالتي إليك، وهي كلمات مختصرة لكني أعتبرها الأهم على الإطلاق في علاقاتنا الإنسانية على كُلٍ وليس الحب فحسب، استمع إلى ضميرك دائمًا يا صديقي، فهو مرشدك الحقيقي في حبك وغير حبك!، ولتعلم أن جُل الضمير في أن تَضع نفسك موضوع غيرك، وتضع غيرك موضوع نفسك!، فشخص بلا ضمير هو مَسخُ إنسان!...

في الحب...

صباح الخير صديقي... رغم ما مررت به من أسى لم أنسَ أبدًا حلاوة الأيام التي كنت بها هنيئًا بجوار من أحب!، الحب عجيب، يستطيع أن يعطيك كل شيء ويحرمك إياه!، أن يطيرك فرحًا ويسقطك حزنًا!، ومقدار فرحه وسعادته متساوٍ مع حزنه!، أعني أنه بالغ السعادة وبالغ الحزن!، أي أن شعوره متعاظم لا يعرف أن يكون مجرد شعور بسيط... دعني أكتب لك عن تقلبه ونعيمه وعذابه، فأنا ممن تنعموا به وعُذِبوا!....

نعيم الحب.....

قبل أي شيء، محظوظ مَنْ عنده مَنْ يناديه فيقول له: يا حياتي!، وما المقصود الحياة ذاتها بقدر ما يُراد من النداء أن يصل يا نعيم الحياة!، فربما يُختزل النعيم فيك وحدك!، أتشعر تلك الكلمة؟!، بأن تكون لأحدهم الحياة والفكر، القلب والروح!، أن تكون في نظره أجمل ما يملك حتى ليختزل فيك الحياة بأسرها!، أي شيء من حظوظ الدنيا قد يساوي ذلك

الجمال؟!، وأي حظٍ حين يروح!، فحاذر يا نعيم الحياة _أي يا محب_ أن تكون سبب عذابها إن امتلكت من تناديك!، لأن العذاب من حياتها إلى حياتها أشد ألمًا!، وأدعو الله إلا يروح عنك ذلك النعيم!....

الوصول والوصل...

لا يعرف قيمة الوصول إلا من تجرع الحرمان، و لا يعرف حلاوة الوصل إلا من ذاق القطيعة!، ولذة الوصول ليست فيما تنفيه من حرمان فحسب، وإنما ما تقدمه من امتلاك مضاف!، فالحرمان والامتلاك مفردات تحمل شعورًا مزدوجًا بكل منهما، إلا أن أحدهما يغلب الآخر لوجوده أكثر!، أي أنك سعيدًا لأنك تمتلك ولست محرومًا، وحزين لأنك محروم ولا تمتلك!، وحلاوة الوَصل مشابهة للذة الوصول، إذ أنها لا تنفي القطيعة فقط، بل توفر من الأنس ما يطير النفس فرحًا، و يغمر الروح دفئًا، ويرسم البسمة على الشفاة رسمًا!، فسارع إلى الوصل لأن القطيعة مرهقة لأجل من تحب، و لأجلك لئلا تسعد به أكثر!، واعلم أن حلاوة الوصل لا يحُسها أحد بقدر ما يحسها إنسان مكتفٍ، فانعزل بنفسك حتى إذ ما جاء من تحب اكتفيت به وأحسست حلاوة وصله!...

العين...

لا شيء أجمل من عين امرأة ذات عيون جميلة!، لا الشمس لا القمر، لا الكواكب لا النجمات!، لا ضوء يفوق لمعتها، لا سماء كصفوها، لا بستان يفوق نضرتها، لا ماء أعذب من ريها، لا جذب أشد من شدها، لا موج أقوى من سكونها، و لا خمر مُسكر مثلها مهما كانت قوتك وصلابتك!، من الغريب حقًا ألا يقدر في بعض حينٍ أعظم الملوك على النَيلِ منك، بينما تستطيع عيون امرأة أن تَصْلِبك على رِمشها!، فمنا حقًا من يموت مصلوبًا على الرموش لا على الصليب!، في مثل تلك العيون قال جرير:

إِنَّ العُيونَ الَّتي في طَرفِها حَوَرٌ *** قَتَلنَنا ثُمَّ لَم يُحيينَ قَتلانا

يَصرَعنَ ذا اللُبِّ حَتّى لا حِراكَ بِهِ *** وَهُنَّ أَضعَفُ خَلقِ اللَهِ أركانا

إن من أجمل ما في الحب أن تنظر لتلك العيون وأنت تعلم أنها تُحبك!، أنها تراك جميلًا مثلما فيها جمال!، أن تنظر لها ليس لأنك تريد شيء، وإنما لأنك فقط تريد النظر!، تريد التأمل في أضيق الكون اتساعًا!، وأكثر الأسحار سحرًا!، ولعل ما يزيد على الجمال جمال لغةَ للعيون نتحاور بها!، لغة بها من الجمال ما يفقد العربية بلاغتها والفرنسية رقتها والصينية حكمتها والألمانية صرامتها، لغة تقف كل اللغات أمامها عاجزة وقاصرة!، لغة تعبر عن المراد بلا طلب، وعن ما بداخلنا بلا بوح!، حقًا تلك العيون مراسيل القلوب ومصاف الروح!... أنا!، قد كنت أفقد الكلام حين أنظر إليها، لذا كنت أقول لها: عليك النظر في عيني حين يتوه مني الكلام!، لأنها ستخبرك بما عجزت عنه و تُطلعك على ما بداخلي دونما وسيط!، وحين

وجود الكثير من الناس حتى لم تتوقف عيوني عن مراسلتها وحتى الشكوى إليها!، فكنت كما الشاعر الذي قال:

ونَشْكو بالعيونِ إذا التَقينا.... فافْهَمَهُ ويَعْلَمُ ما أردتُ

أقولُ بمُقلَتي أني متُ شوقًا.... فيوحي طَرفهُ أني قَد عملتُ

أو كشبيه الذي قال:

وإذا التَقينا والعيون روامق... صمت اللسان وطرفُها يتكلمُ

تشكو فافهم ما تقول بطرفها.... ويرد طَرفي مثل ذاك فتفهمُ..

لكم كان ذاك الحديث جميلًا، ولكم كانت لهفته وسذاجته وصبيانيته أكثر جمالًا، وهي، كانت تعلم أني أحب النظر إلى عينيها كثيرًا، فداعبتني ذات مرة وأخفت عني عيونها بطرحتها، فلمعت عيناها بضوء الشمس من تحت طرحتها الشفافة فتذكرت إدريس جماع حين قال في مثل تلك العيون:

السيف في غمده لا تخشى بواتره *** وسيف عينيك في الحالين بتار

إني أظنك مقدرًا لذلك الجمال!، وأظنك واعيًا لما قد تحسه في حضرة تلك العيون، لكن ما بال أن تقول لك صاحبة تلك العيون يا عيوني!...

اللقاء...

خطوات متلهفة وواثقة!، قلب يدق طبولًا ويرقص فرحًا!، ابتسامة عريضة و هدوء جميل!، هذا أنت عند ذهابك للقاء بمن تحب!، أليس حقًا؟، لا تخجل وأنا أيضًا كنت أبدو كذلك!... كان للقاء بها حماسة تشبه حماستي واستعدادي لرحلة مدرسية أيام أن كنت في صفي الرابع!، أذهب إليها تاركًا كل شيء خلفي!، لأني أرى في عيونها وحضرتها ما يغني عن الدنيا بأكملها!، أذهب وأنا عليم بأن لهيب شوقي ليس له مبرد إلا النظر!، وقلبي لا مطمئن له إلا الوجود!، ولا حياة إلا برجوع روحي!، يا لها من سعادة حين ترى أن كل ما يفصل بينك وبين من تحب من مسافات قد تلاشت!، فتجد من بتَّ تفكر فيه أمام عينك!، أن تشعر بأن الذي أمامك مثلك مشتاق!، أن تسمع دقات قلبه لأجلك!، وزد على اللقاء وحلاوته أني لم أكن لأطمئن عليها إلا وهي أمام عيني!، فما أجمل أن تضاف السعادة إلى الطمأنينة في القلوب، ولعلك تعرف أن فرحك بأنك تحب حين اللقاء من أعظم ما قد تحسه أصلًا!، فأي عظمة في التلاقي وأي قبحٍ في الفراق!... ما أحلى الساعات في اللقاء وما أشدها بعده!، فقد كنت أشتاق لها في اللحظة

التي تقول فيها إلى اللقاء!، فأرجع على جمرٍ منتظرًا لموعد ولقاء آخر!، لكن، كل ذلك كان، كان جميلًا حقًا، ليت الحياة أبقت على لقاء آخر حتى وان طال انتظاره!، ليت أنها لم تقسو لتسلب كل ما منحت!....

البسمة...

هناك ألف ابتسامة، لكن هناك ابتسامة صافيةٌ صادقةٌ لا يساويها أي ابتسام!، تلك التي تخرج من القلب مباشرةً فتحس منها حلاوة لا تحسها بغيرها!، وترسم وجهًا لا يزاحمه وجهٌ في الجمال!... يا صديقي، لقد كانت الابتسامة على الشفاة مجرد رائحة لبستان بالداخل يفوح عطره في كل مكان، ولمَ لا؟!، والوجه يبتسم وحده لأنه في حضرة الحب لا يمكنه العبوس!، وإن كانت النظرة تصيب القلب بسهامها فإن البسمة وراء النظرة تذيبه!، فما يمكنه قلبي الصغير فعله لحظة النظر والابتسام؟!، لقد كانت ابتسامة منها إليّ كافية لتعويضي كل ما خسرت وما كتمت!، أتعرف، كنت أسمعهم دائمًا يقولون ليت الحياة تبتسم، لكني لم أعرف كيف يمكنها؟!، لكن لمّا رأيتها وتبسمتْ عرفت من هي الحياة وكيف تبتسم؟!، عندما رأيتها عرفت كيف يمكن للحياة أن تبتسم لنا وتصالحنا وتعوضنا و تطيب خواطرنا!، نعم، في بسمة شفاهها كانت تبتسم الحياة!، وكانت أجمل البسمات تلك التي كانت علينا!، على حالنا وانشغالنا وهيئتنا!، لقد عشت نوعًا غير مألوف لدى الخوالي من الضحك والابتسام تمنيت كثيرًا ألا

ينتهي!، لكنه انتهى، انتهى وراح معه كل شيء، ليتركني محزونًا ومكتئبًا!، ولمَ لا وأنا كمن حاور صاحبه :

قال : السماء كئيبة وتجهّما!

قلت : ابتسم ! يكفي التجهم في السما !

قال : التي كانت سمائي في الهوى

صارت لنفسي في الغرام جـهنّما

لكني يا صديقي رغم كل ذلك لازلت أحس حلاوة تلك البسمات كلما تذكرتها، وأني رغم كل آلام الشعور إن طلبت من الحياة شيء لطلبت ابتسامة أخرى!، لأن فيها حياة تضاف إلى الحياة!.....

الحضن...

صديقي لا تستغرب قولي!، لكنني حقيقةً لكم تمنيت ضمة تُرجع الدنيا لسُنتها!، أظن أن تلك الضمة قادرة على فعل الكثير، على إصلاح ما أفسده القدر، وترميم ما أتلفته الأيام!، وإرجاع كل ما ضاع!، وحتى لا يساء الظن فيما أقول فأنا أتحدث عنها_ أي الضمة أو(الحضن)_ كحدث وليس عن إمكانية حدوثه!، فهي عامة كحدث أما إمكانية حدوثها ترجع إلى الشخص ومكانه وبيئته وثقافه، لذا لا تأخذ كلامي على التجربة وإنما نظريتي فيه ونظرتي إليه!... أتعرف ما الضمة (الحضن)؟!، أتحس ذلك الجمال؟!، أن تغلق الدائرة بين ذراعيك حول شيء لا تريد من العالم غيره!، أو يصبح هو كل عالمك المختزل بين أحضانك!، أن تذوب فيه ويذوب فيك فيصبح ذلك الحضن هو كل عالمكما!، أتحس هدوء نفسك حين تغلق ذراعيك على ما تحب فتنفَصِل دائرة الزمن وتتصل دائرة الروح؟!، أن تجوب كل الكون دون أن تتحرك!، أن تدخل جنة الخلد دون أن تقف لتُحاسب!، أن يروح عن جسدك ما يؤلمه!، أن تتبخر كل الهموم!، أن يُختصر كل الكلام!، أن تحقق كل الأحلام!، أن تجد نفسك قد وصلت

دون المرور بأي طريق!... أني لأظن أن تلك الضمة هكذا!، وأني لأظنها لغير الحب لا تقَعُ!....

الأمل...

الأمل من الأمل _ أي من تُحب_ أروع دافعًا وأشد تأثيرًا!، فإن ينقلب اليأس إلى أمل والخوف إلى اطمئنان بكلمات رقيقة منه فتلك أبهى صور السعادة!، وأنا قد أهرول إليك لأني أعرف أنك من يدفعني، أو أني أعي احتياجي وقود كلماتك!، حقيقةً لكلمات من نحبهم سحرًا لا يجاريه أي كلامٍ غيره قوةً وإقناعًا!، وجمال ذلك السحر أنه قد يُريك جمال الأشياء التي تعمى أنت عنها!، وقد يجعل نظرك أكثر قوةً في بعض الأمور وتمعنًا، فربما ترى أنت صعوبة الطريق وهو يريك قيمة الوصول!، وربما ترى أنت قيمة الوصول، فينبهك خطر الطريق!، فما أحلاه إحياء أمل أو إزاحة حظرٍ تكسوه عظمة المشاركة!، وتلك نقطة فارقة وصعبة على بعض الغير ناضجين في الحب!، لأن الحب مسؤولية كاملة، ومنها بث الأمل وإنارة الطريق، ولِما في الحب من نشاط وحماسة بالغة تُضفي على كل الأمور، فإن لهفة الوصول العاجل تزيد من الخطأ وكذلك الإحباط السريع!، لذا نحن نحتاج إلى من يهون علينا أخطاءنا ويجدد لنا الآمال بأبسط الكلمات!، لكن غير الناضجين في الحب لا يعرفون كيف إدارة الأمل و لا

كيفية بثه؟!، لا تعلم الكثيرات أن الرجل حين يحكي خوفه وإحباطه فإنه يريد أن تحتويه المرأة بحلو الكلام والتشجيع لا أكثر، و ليس تقديم الحل؛ لأنه غالبًا ليس عاجزًا عن الحل ولكنه غير مهيأ له!، فالرجل في بعض الأحايين لا يفكر ليس أنه عاجزًا عن التفكير ولكن لاعتقاده أنه لا جدوى من التفكير أصلًا!، فلا ينبغي أن ترهق المرأة نفسها بإيجاد الحلول بقدر ما تحاول تصفية ذهنه ليجده!، وكذلك لا يعلم الكثيرون أنه عندما تحكي المرأة خوفها وإحباطها ينبغي عليه أن يستوعبها أولًا، ومن ثم يحتويها ويقدم الحل المقترح أو الحل الأكيد!، لأنها حين تروح في نوبات إحباطها وخوفها تعجز عن التفكير أصلًا!، ولن يروح عنها مسبب الخوف والإحباط إلا إن وجد الحل!، فلربما يجب أن نفهم ونأمل ونبث الآمال لأنه لا أجمل من أمل في عيون العاشقين، وما أقبح موته في قلوبهم!...

عذاب الحب...

دعني لا أكتب لك عمّا في الحب من عذاب كله لأن في رسالاتي القديمة الكثير منه، لكني أريد أن أشير إلى بعض أشياء ثانية، و أولها صوت العقل في العلاقة!، دعني أؤكد لك أن المنطقية المطلقة مغص العلاقات!، لأن المنطقية المطلقة لا منطقية في عوام الأمور!، إذ أن في الحب بعض جنون لا يقبله العقل!، لكن في بعض حينٍ أيضًا يكون تدخل العقل أقبح من الجنون!، فإن لم أمارس بعض جنوني مع من أحب فمع من إذن؟!، نحن لسنا في ساحة فلسفة أو داخل معمل أحد العلوم!، ربما لا تصلح المنطقية والعقلانية المطلقة لأن الأمور لن تسير ببالغ الدقة ولا تمام الكمال على الدوام!، ولأن المطلق لا يصلح لوجهات النظر أصلًا، إذن لا مكان له في العموم!، ولا أقول لك تلك أشياء إلا لأنها توتر النفس وتخرب العلاقة، لأنها لا تعرف التسامح ولا التغافل، و لأنه من الصعب أن يُوفق بين العقول الصلبة والقلوب المحبة!، فاحرص على أن تكون عقلانيًا وبسيطًا وبك لمحة من الخفة والجنون!..

التمرد واللئيم..

ببعض الأحايين تعجبني بعض الأمثال كثيرًا، ومنها ما قالته العرب " لو ألقمته عسلًا لعض إصبعي!"، بعض الأشخاص حقيقةً لا أدري حقيقتهم!، أهذا نوعًا من الخنازير أم البشر!، كيف يمكن لإنسان إلا يرد الود ودًا مضاعفا؟!، و ألا يرد العطاء عطاءات؟!، كيف يمكن للبعض أن ينكر الحب و لا يقدس الإخلاص؟!، لكن الدونية والحقارة من الشخص اللئيم ليست أمرًا غريبًا!، فلم يكن يهذي أبو الطيب حين قال:

إذا أنتَ أكْرَمتَ الكَريمَ مَلَكْتَهُ *** وَإنْ أنْتَ أكْرَمتَ اللّئيمَ تَمَرّدَا

إن في التمرد رغم العطاء وجعًا من النكران لا يحسه ذو قلب جاحد!، حقيقةً يا صديقي قد يكون الإنسان الأكثر عطاءً في الحب أكثر الأشخاص تعرضًا للتمرد!، لكنه الأكثر ثبوتًا في الذاكرة بعد فراقه!، لأن الشخص المتمرد حين يخسر يكون كثير التذكر والملام، لأنه يفقد ما كان يسد جوع نفسه واحتياجها وبشاعتها!، أعلم أنه من أشد الألم أن تعطي كل شيء لمن لا يستحق!، واعلم كم هو صعبٌ أن تأخذ ألف قرار بالقسوة ورد الجفاء، ثم لا تقدر على تنفيذ أي منها لأن قلبك لا يطاوعك!، لكن هذا لا يعيب

كرم نفسك ورقة قلبك!، ما يعيبك أن تبقى بين يدي متمرد لعين لا علاج له إلا الفراق والحرمان!، فاحرص أن تعطي كثيرًا بحبٍ وطيب، لكن لا تسمح بالتمرد أبدًا حتى لا تُرهق نفسك، لأنك لن تجد الأمان في حضرة اللئيم!...

الحب الأول...

صباح الخير....

نَقِّلْ فُؤادَكَ حَيثُ شِئتَ مِن الهَوى -- ماالحُبُّ إلاّ للحَبيبِ الأوَّلِ

كَمْ مَنزِلٍ في الأرضِ يألفُهُ الفَتى -- وحَنينُهُ أبدًا لأوَّلِ مَنزِلِ...

من لم يمر ببيت من الشعر أبدًا فإنه لذاك البيت يسكنه!، ومن خبا النور عن عينه يره، ومن أصيب بصمم يسمعه، ومن يعجز لسانه عن الكلام فإن عيناه تنطق به!، إنه الحب الأول، ربما سمعت الكثير في حوادث الحب عنه وعن غيره، لكنه يبقى في قصص الحب منوال القصص، ولا أتعجب من كونه المنوال لأنه المشترك بين كل القلوب والحوادث، هو وحده المتفرد بزيارة واحتلال كل القلوب عما سواه!..

دعنا نتناقش حوله سويًا، لأنه مذ تفتحت أعيننا ونحن في الصغر ونحن على جدل لا ينتهي، وخلاف قائم لا يزول، وهو موت الحب الأول ونسيانه، والأمر الذي استوقفني حين بدأت إدراك شيئًا من الحب بعد تجربتي، هو

إلحاق النسيان بالموت!، أو إلزام الموت بالنسيان!، وكل ذلك لم يبدو مرضيًا أو مقنعًا بالنسبة لي، لأن موت أول حب لا يستلزم ضرورة نسيانه، فالموتي ربما لا تغيب ذكراهم إذ ما عقدنا مقارنة اللفظ لاستنباط المعنى!، ولا أشبه الحب بالموت!، لكن هكذا الحب الأول يموت حقًا وذكراه خالدة!..

كيف يكون نسيانه وهو أعظم الحوادث في حياة المرء منا!، وكيف ينسى وهو أول نبض للقلب؟!، نعم هو أول نبضاته، إذ أن النبض مرتبط بالقلب، والقلب لا يكون قلبًا إلا أن أحب، غير ذلك هو مجرد مضخة للدماء!، ألم يكن أول اضطراب لقلبك؟، فلم تعرف أكان يرقص فرحًا حينها أم يرتجف خوفًا!، أتتذكر أول خروج لفيض المشاعر التي لا نعرف كيف إخفاؤها؟!، ولا كيفية كبح جماحها!، لم تنسَ أبدًا أبرأ تلعثم للسانك!، إذ أنّه لم يفرق بينك وبين نطق الطفل حينها!، لكني أرجح أن الطفل كان أفصح منك قليلًا!، ولعلك لم تنسَ أول بسمة من القلب ترسم على شفاهك دونما ضحك!، أتتذكر بريق الحب الذي ظهر في عينيك من ضياء قلبك، ألم يكن ذلك أول بريق؟!، هل كان قبل حبك سهر؟!، انا لا أعني الأرق أو عدم نومك!، فعدم النوم والأرق يفعلهما الكثير، لكنما سهر يقوده القلب وحده!، أول أرق في الجفن نتيجة ذلك السهر!، ربما ستضحك الآن حين أذكرك بأول مرة أردت فيها أن تكون رومانسيًا ولم تعرف كيف السبيل لفعلها؟!، أمزح معك كنت جميلًا حينها!..

أتذكر الآن ذلك السحر الذي أصابنا حين أحببنا، ذلك الذي يجعلنا نريد إخبار كل المقربين منا أنّنا أصبحنا نحب!، نريد إخبارهم أن لنا قلبا ينبض،

الذي به نكون فرحين بالحب ذاته بقدر فرحنا بملاقاة الشخص الذي أحببنا، الذي يجعل الحب مشتعلًا صارخًا ثائرًا لا يعرف الهدوء أو الاستكانة!، تفضحه نظراته وأشواقه، سحر يجعل الحب قد يبدو صبيانيا وان كان لرجل في السبعين!، كيف لذاك السحر أن ينسى؟!.

الحب الأول يا صديقي أول خطف، انشغال، تعلق وشرود، هو الظمأ الاول لنطق كلمة أحبك كما العطش لسماعه!، أول احتياج لضمة تبعث الطمأنينة في القلب وتلملم من شتات الروح، أول احتياج للمسة يد حانية تشعرنا الوجود!، أول رغبة في التضحية!، أول صدق لا يشبه خداع، أول خيالات لم يسبقها الخيال!، أول خضوع بكامل الحرية!، أول خشوع بكامل الإرادة!، هو أول أيام الحياة، هو يوم الميلاد الحقيقي!، فكيف ليوم الميلاد أن ينسى؟!.

حين يأتي الحب لأول مرة يعصف بجدران القلب، ويقوده حيث يشاء، لأنه قلبًا خاليًا من التجربة، قلبًا لم يُعاني قبله منه حتى يقاومه أو يراوغه!، أو يكون أكثر رصانة تجاهه!، ولأنه حب مشاعره بكر حديثة علينا لم يسبقها لوعات ولا آلام، فإنها تغزو دون مضاد لها بالقلب، بل إن ميل المرء منا إلى التجربة وظمأه للحب يجعله يزج بنفسه في غياهب الحب دون علم إلى أين المسير؟!، لذا يغير بنا مالم تغيره آلاف المواقف ومئات الدروس!، وما يكون ذلك إلا لأن الدرس من داخلك إليك أقرب وأشد عمقًا وأثرًا، فكل المواقف تمر بنا إلا الحب يمر فينا!..

درس ينتابه الكثير من التفكر والتدبر والتأمل، يوقد العقل ويثيره بعد انطفائه وخموله!، يجعلنا نفكر ما معنى الحياة؟!، وكيف ينبغي أن تكون؟!، كيف ينبغي أن نكون نحن؟!، بل يجعلنا نتساءل كيف ينبغي أن يكون الحب ذاته؟!، وهو السؤال الأكثر أهمية!، درس إن يفهمه المحب يقود حياته إلى محاسنها، فأنا_ ولا أدعي الفَهم_ بعد أن وقعت في الحب لأول مرة وفشلت فيه انكشفت لي في الحياة رؤى وزوايا لم أكن لأشهدها قبله، بل لا أبالغ إن قلت أني قبل ذلك الحب لم أكن أرى شيئًا من الأساس!، وما ذلك إلا لأنه لم يكن درسًا بالمجان، لطالما كان ثمنه نزيف وألم!...

النفس تخربنا في كل شيء يا صديقي إن أول الأشياء أصعبها، في كل شيء نفعله نجده قانونًا، إن نقف أمام الجمهور ألف مرة فلن ننسى أول مرة، لأنها دونما جدلٍ أصعب المرات، حتى الخطايا!، أول خطيئة هي العسرى، وما بعدها أيسرَ بعدد ما يُبتعد بالعدِ عنها، لكن تظل الخطيئة الأولى هي الأصعب والأبقى في الذاكرة، كذلك هو الحب ولا أشبهه بالخطيئة!، أوله بعد فقدانه الأصعب على قلوبنا ونفوسنا!، ومعاناتنا في حبنا الأول هي الأكثر، وما عظم معاناتنا فيه إلا لأنه حب زائد الأمل!، لا يمتلك من الفطنة ما يجعله يوازن بين كثير الأمل وغدر الواقع!، فبقدر ما نرتفع فيه إلى السحاب بالأمل تسقطنا إلى الأرض خيبته!، وكذلك تعظم المعاناة لأن قلوبنا لم تنزف قبله، هو أول الجراح التي لم نعهدها ولم نتوقعها!، فكيف للجرح الأول أن ينسى؟!.

ما أخبرتك به آنفًا لم أتحدث فيه عن نسيان الشخص الذي أحببناه قط!، وإنما لم أذكر سوى الحب ذاته!، لكنا يمكن ألا ننسى الشخص ذاته

لأسباب كثيرة، وأنا لن أذكر توًا غير أخطرها، لعلك الآن تتذكر قول ابن خلدون حين قال: الناسُ مولعون بمن غلبهم!، ولأننا في الحب قد نُترك فيصور لنا من تركنا أنه المنتصر!، لذا نظل مولعون به ولا ننساه!..

محزن أن الحب الأول ربما لايدوم، ومؤسف أن العاشق فيه غالبًا لا يقوى على حمايته!، لأنه ليس خبير بما يفترض به أن يفعل، احتواء العاشقين بعضهما يندر أن يكون بسبب عدم نضج العقل في الحب ولا استواء العاطفة، والعقل الناضج في الحياة بكل أمورها قد لا يكون ناضجًا في الحب، لأن العقل في حساب الحب مختلفًا!، ولا أقول الحب في حساب العقل!، لذا الحفاظ عليه صعب أحيانًا، وربما يستحيل على البعض أحايين أُخري، والناجحون فيه ربما لا يقدرون على إكماله، لأنهم غير قادرين على خلق حياتهم الخاصة المستقلة التي تبقيه للأبد، بين قلة حيلة، زيجة مصلحة وزيجة ملفقة!.

كثيرًا ما يدلى الوهم القاطن عقول البعض تجاه الحب بصوته في فشله، مما قد زُرِعَ في المخيلات من وهم السينما وسذاجتها!، فربما يجعلهم يزهدون الحب بمقارنته مع خيال القصص!، لأنهم لا يعرفون حقيقته وواقعه، لذا الاعتقاد الخاطئ في الحب وتصويره عاجزًا يغلب في مخيلات المحبين في حبهم الأول، فيظلم الحب الأول كثيرًا، والمحب مجني عليه وظالم!.

أرجح أنه قد التبس عليك الأمر حين قلت: أنا لم أذكر الشخص لكنما الحب ذاته!، فدعني أخبرك جُل الأمر فيما بقى... الحب الأول يموت ولا يُنسى، وأن الحنين إليه ليس حنينًا إلى الشخص، فإنّا لا نَحِنُ إلى الحبيب

الأول بقدر ما نحن إلى الفترة التي أحببناه فيها، فقد تكون فترة الصبي وما أبهاها فترة، قد تكون فترة الصحة والشباب، وليت لعودتها سبيل، قد نَحِنُ إلى الجمال الذي كنا نبدو به حينها!، قد نتذكره لمعاتبة النفس ولومها!، وقد نتذكر مواقف جميلة لا تُنسى، لذا، يلتبس علينا الحنين إلى الحبيب(الشخص) والحنين إلى الزمان والمواقف!، والحنين إلى الحبيب (الشخص) والحنين إلى الذات!..

الحب الثاني...

مرحبًا!...

عجبًا لنا!، نحن المطفئون بالحب لا يقدر على إنارتنا غيره!، وكأنه حين طغى وبغى، ثم ذهب كان يعرف أنه لا سبيل غيره!، فيرجع يومًا ونلقاه بالابتسام!، ونقول له: مرحبًا يا خير زائر!، بل إننّا نلقاه بشوق لا يشبه التصنع ويكأنّ لم نتجرع منه الأسى!، فعجبًا له ذلك الطاغية المحبوب والقاتل المقدس!.

حين تشرق شمس الحب في قلب امرئ منا لأول مرة يحيا بنور في قلبه ودفء في روحه، وحين تأفل تظلم حياته، فتنقلب تلك الشمس بالتذكار من شيء ينير إلى شيء يحرق!، فلا تترك القلب إلا أن يكون حطامًا ورمادًا، ورغم ذلك فالحب قادر على المجيء مرة أخرى، بل مرات أُخر!، وكأنه القلب قبل حبه الأول كان كما الأرض البور، يجعله الحب الأول يورد وينتج خضرةً وثمارًا وجمالًا، ثم تعاني تلك الأرض من حرثها بعدما

زرعت!، لكنها تصبح أكثر خصوبة لئلا تزرع من جديد!، ولعل الحرب قائمة بين من يقولون أن الحب هو الحب الأول فقط، ومن يقولون أن نبع الحب غير ناضب!، فنرى أبو تمام ومؤيديه يقصرون الحب على أوله!:-

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ** ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ** وحنـــينه أبدًا لأول منزل

ونرى العلوي الأصبهاني يقول عكس ما قاله أبوتمام تمامًا :-

دع حب أول من كلفت بحبه ** ما الحب إلا للحـــبيب الآخر

ما قد تولى لا ارتجاع لطيبه ** هل غائب اللذات مثل الحاضر

فهو يرى أن الحب لمن وجد، وأنه لا داعي من التذكر لشيء قد ولى ولا لرجعته سبيل!، ونرى ديك الجن يشجع على حب جديد دائمًا!، وأنه لا داعي للحزن على ما فات فيقول:-

اشرب على وجه الحبيب المقبل ** وعلى الفم المتبسم المتقبل

نقل فؤادك حيث شئت فلن ترى ** كهوى جـــديد أو كوصل مقبل

ونرى الآخر محتار بين عدم نسيانه حبه الأول واشتياقه لحبه الثاني فيقول:-

قلبي رهين بالهوى المقتـــبل ** فالويل لي في الحب إن لم أعدل

أنا مبتلى ببليتين من الهـــوى ** شوق إلى الثاني وذكـــــر الأول

كل تلك وجهات نظر لها من الصواب قدرًا، لكنما نستطيع قول أن الحب الثاني قد يكون الأقوى، لكن يبقى الحب الأول صاحب أكبر أثر!، لأن أول حب تكون مشاعره بكر حديثة علينا، لم تسبقها لوعات ولا آلام، لذا تغزو دون مضاد لها بالقلب، أما الحب الثاني رغم تكوين القلب أجسام مضادة ومناعية تجاهه نتيجة معاناته لا يقدر على رده، فلمَ لا يكون الثاني أعمق وأشد من سابقه؟!، وإن فراق حبنا الأول ربما يكون الأكثر معاناة وتأثيرًا لكونه الأول فحسب، فإن الضربة الأولى هي الأقوى على جسد لم يتدرب، لم يعتد الضربات!، حتى وإن كانت في الواقع هي الأضعف، لذا يخيل لنا من ألم فراقه أنه كان الأقوى في مشاعره والأصدق في وقوعه!، والحق أن الحب الثاني لا يقل عن الأول إن صدق، بل في أحايين كثيرة يفوقه ويتخطاه!، فبأي حق نبخس الحب الثاني حقه!.

كذب القائلون بأن الحب مرة واحدة، وفي أوقات محددة، وأيام معدودة، ولهم نقول: الحب يجيء ما دام القلب ينبض، وفي أوقات محددة هم اثنا عشرة شهرًا في السنة، وفي إيام معدودة هي أول مائة عام من حياة الإنسان!، فيا مساكين الفكر الحب الثاني عند الرجل ليس نزوة ليعوض بها ما قضاه الحب كما تدعون!، أو ليشفي غليله مما مضى!، إني لأصدق امرأ يقول: لقد أحببت عشرًا، لطالما أني أرى الصدق في عينه، وما يكون تصدقي له إلا لمعرفتي بأن الحب ثابت في ذاته ومتغير في الطريقة التي نتناوله بها، وإن لكل حب لمسته الخاصة على قلوبنا وإن كان في ترتيبه المليون!.

كذب القائلون بأن الحب الثاني يموت يومًا أما الأول فلا!، فكل الحب يموت، الأول والثاني والأخير الذي لم يليه حب، الأول متفرد فقط بعدم نسيانه إن صدق، ولا يدوم أحدهم إلا أن يكون أقواهم، فالأمر أشبه كثيرًا بقوى الطبيعة، إن تتصارع قوتان فإن الغلبة للأقوى، فما أن يأتي حب أقوى يزيح الحب الأضعف ويقتله، وهناك من رايناهم أحبوا للمرة الثالثة ورجعوا لحبهم الثاني مرة أخرى، فهل لا يموت الحب الثاني؟!، الحقيقة أنه يموت، لكن الحب الثالث عند هؤلاء لم يكن قويًا لئلا يقتل الثاني ويتربع على عرش القلب، الأمر في حقيقته يرجع إلى قوة الحب ذاته بعيدًا كل البعد عن ترتيبه، لأن البقاء للأقوى حتى في الحب!.

أنا يا صديقي لا أنطق عن عبث بالفكر ولا مراوغة بالأحرف، فوقوع الأمور أمام العين أصدقها، ومؤسف تكذيب وقوع الأمر بعد رؤيته!، إنه من عماء القلوب إن يكن!، لذاً اقول ان الحب الثاني مظلوم بين أسطر الكتب والروايات، لكن الأمر الحق أنه منتصر في الواقع!، وهو ما نعرض عنه رغم ظهوره جليًا، لأننا راقتنا الروايات كثيرًا، وما انتصاره إلا لأنه حب راجح ناضج حذر، فيه من العاطفة الكثير، وفيه من حكمتها الأكثر!، حب خبير، يعرف متى يقسو ويهجر؟، متى يعاتب ومتى يُغضي؟، متى يجب أن يبدي الحنان؟، يعرف كيف يكون سندًا؟، حب يحتوي فيه الحبيبان بعضهما بخبرة اكتسباها من قلب الألم!، حب متمسك لأنه جرب لوعات الفراق!، حب يغلب فيه الاختيار بتمهل، لأننّا لانريد الوقوع في الآلام مجددًا، حب حكيم الأمل، لا يتعاظم فينهار، ولا يزول فيمرض الحب، وإنه لأملٌ متعقل يقوده العقل والقلب سويًا، إذ أن الاستناد إلى العقل في إدارة المستقبل أعلى

بكثير من ذاك الذي قادته العواطف والأحلام!، هو حب يدرك فيه المرء السوي ما أخطأ فيه في حبه الأول فلا بنفس الأخطاء يقع، لأنه لا يريد أن يلقى نفس النهاية!، حب ليس به وهم سابقه بما خُيل لنا من وجوب كمال المحبوب حتى نكون معه!، لذا هو حب حكيم قليل الشكوى!، حب لا نرتضي فيه أقل من قدرنا، نعطي في الطرف الآخر كل الحب لأننّا نحب، ولا نمنحه حرية التحكم والتجبر!، لذا هو حب يقوم على النقاش والتقدير والاحترام المتبادل أكثر، حب يكون فيه فهمنا للجنس الآخر بات أكثر نضجًا وعمقًا، فلا نحكم على الأمور بعيوننا بقدر ما نحاول فهم كيف يراها المحبوب؟، ومنه حكمٌ أكثر اتزانًا وحكمة، هو حب مستكين مستمتع بنفسه أكثر، ثوراته داخلية يغلب عليها ألا تظهر، هو حب يقود نجاحًا من فشل ومعاناة الذي سبقه!.

يا صديقي، الحب الثاني هو نشوء الإنسان من بقاياه!، عودة ثقة قلبه للحياة بعد أن خلت به الأماني وصدمته الأقدار، هو بناء عالم جديد من حطام الأفكار، هو انتشال القلوب من ظلمات الهجر إلى نور الوصال!، هو صاحب الأملين الحكيمين لا أملًا وحيدًا كبيرًا زائفًا، أمل سير القدر على ما تهوى القلوب، وأمل أن يعوضنا الحب عما قضاه، هو حب يجدد لنا الحياة وينتشلنا من آلام الوحدة، وتشتت النفس، وإرهاق الفكر!، حب قد تقع فيه بعد ألم شديد من سابقه، حينها ستحسب الحب حين انسحب من قلبك المرة الأولى تاركًا إياه محطمًا، قد ذهب ليبرم عهدًا مع القدر لئلا يكون لك قلبًا جديدًا أكثر جمالًا ليليق بها ويعوضك جراحك!..

لمَ الحب....

طاب مساؤك صديقي العزيز... سألتُ نفسي ليلة أمس بعد أن انتهيت من كتابة رسالتي إليك سؤالًا، وهو، لمَ كل ذلك؟!، لمَ نحب؟!، ولمَ نظل كثيرًا دونه؟!، ولمَ قد نعاوده مرةً أخرى؟!، لمَ الحب أصلًا؟!، إنه لأمر محيرٌ حين تروح في نوبات تفكيرك وتسل لمَ!، أيعقل كل ذلك الاستحواذ على الفكر؟، أيعقل انشغال البال وشرود الذهن واضطراب القلب وتشتت الروح؟!، أيعقل كل ما قد حدث؟!، لمَ كل هذا؟!... أنا لا أعلم تمامًا لمَ!، لكني لن أتركك إلى نوبات تفكيرك كثيرًا وسأحاول الإجابة معك!.....

لمَ نحب...

الإنسان متطلع بطبعه، وعنده من الحاجة الدائمة ما يحيله إلى التجربة!، ونحن أحيانًا لانحتاج إلى أن نسمع عن الحب، بل أن نراه، نحسه ونعيشه!، هو حاجة وليس أمرًا نتاج فرط رفاهية أو سد خانة أو حتى مجرد مزيد!، وهنا لابد أن نسل، لمَ الحب كظاهرة إنسانية وليس كفعل إنساني!، لأن الظاهرة خارجة عن الإرادة بينما الفعل يكون بين الوجود والصَنعه!، ونحن الآن لا نسل سؤالًا جديدًا، وإنما هو قديم بقدم الإنسان، ومرتبط به ارتباطًا

وثقيًا مذ بثت فيه الروح وتكونت عاطفته، لذا نجد كلامًا كثيرًا من الأمم السابقة يجيب عن السؤال، لكن كل إجابة مقنعة على حسب عصرها وخلفيه معرفة الإنسان بذاته وعلومه من حوله!، مثلًا اليونانيون في معتقداتهم يقولون: كان في بدء الخليقة ثلاثة أنواع من البشر، رجال ونساء وكائنات موحدة بينهما!، لها رأسان متقابلان مرتفعان فوق عنق واحد، أربع أذرع وأربع أرجل وقلبان ومعدتان وهكذا كل الأعضاء مضاعفة!، وفي يوم تآمرت تلك الكائنات على الآلهة فرأى الإله زيوس أن ينتقم منها!، فقرر أن يضعفها لئلا تعود إلى التأخر، فشطرها إلى شطرين، ومذ ذلك الحين وتلك الكائنات لاتكف عن البحث عن نصفها الآخر الذي شُق عنها!، وهذا هو مصدر الحب والميل إلى الجنس الآخر!، فكانت تلك الاجابة حينها عن سؤالي في عصر ما، لكنها إجابة أسطورية لا صحة لها!، لكنّا كذلك نستطيع من خلال معرفتنا أن نجيب عليه إجابة قد تميل إلى الصواب بما قد يصلح لعقولنا الحالية، بينما لا نستطيع أن نثبت أنه الجواب الصحيح المطلق!..

دعني ألفت انتباهك إلى شيء أولًا، إلى كلمات شائعة خاطئة، وهي أن الحب ليس له أسباب!، وأن الحب المُسبب يزول بزوال السبب!، وذلك لا يتفق مع المنطق وأراه عبثًا!، لأن الشيء الذي لا يمتلك سببه يكون شيئًا وهميًا و عبثيًا!، وحقيقة الأمر أن هنالك أسبابًا حقيقية غير زائفة تجعلنا نقع في الحب، وأن الحب المُعلل هو ما يزول بزوال علته وليس السبب!، فهناك فارق بين العلة والسبب!، وليس من الممكن ألا يكون هناك سبب للحب،

بينما يمكن ألا نعرف السبب!، فدعني أشير لك على شيء من أسبابه وعلله..

الوحدة...

شعور الوحدة قاس بما يكفي لأن يجعل المرء منا محزونًا ومكتئبًا، وشريدًا ومرهقًا، وعندما نقول الوحده فنحن لا نعني الانعزال عن الناس!، فثمة فارق كبير بين الاثنين، الانعزال اختيار، أما الوحدة فإجبار، فأنت لست مجبرًا على الانخراط بين الناس أو الانعزال عنهم إذ لم تجد نفسك بينهم!، لكنك مجبرًا على الوحدة إذ لم تَجد مَن تجد روحك فيه!، ربما فهمت الآن أني عندما أقول أني منعزلًا لا أعني أني وحيدًا!، وليس لأني منخرطًا أكون لست وحيدًا!، وربما قسوة ذلك الشعور في أنك لا تستطيع التأقلم معه، فنحن كبشر غالبًا لا نستطيع التأقلم إلا مع الثابت، وشعور الوحدة متزايد إذ لم يُقضي عليه، ويكأنّ الأيام تتآمر علينا معه وتنميه فيقتل!، وما يكون منا إلا انتظار مَن يخلصنا من تلك المؤامرة التي تستنزف الروح والجسد!، أو إسراعنا نحن نحو مَن يخلصنا!، والغيرة ممن هم ليسوا وحيدين شعور يجعل النفس تتآكل عندما تحس أنك فقط ذلك الوحيد الشريد!، مؤكدٌ أنك لست الوحيد وحيدًا!، لكن ربما يخيل لك ذلك نظرًا لانشغالك المطلق بوحدتك!...

الوصول للكمال...

بين النقص والكمال شعور متناقض و متضارب!، والنفس البشرية تميل دائمًا إلى الوصول للكمال لكنها تعجز، إلا أن الحب قد يجعلها تصل إليه اعتقادًا!، وكأننا نتذكر قول أنه لا أحد كاملًا فيخيل لنا أن الذي ينقصنا حتى نكون على أتم الكمال هو شخص يضاف لنا!، فتمتزج روحه بروحنا وصفاته بصفاتنا فيشكل شخصًا قد وصل إلى الكمال نُسخ إلى اثنين!، و الإحساس بالكمال يشعرنا بالسعادة ويزيد الحب أكثر!، فربما سعينا إلى الكمال هو ذاته طريقنا إلى الحب!...

انتظار شريك الحياة..

إدراكنا أننا لن نكمل الحياة وحيدين يجعلنا ننتظر شريك الحياة بفارغ الصبر!، بل يجعل البعض يفتشون عنه!، إذ أن رغبة المعرفة تكون أسبق إلى العقل من الحب إلى القلب!، وعندما نرى أحدهم ويعلق بأذهاننا يخيل لنا أنه هو من سنكمل الحياة معه، ثم يخفق القلب له ويضطرب حتى الوقوع في الحب!، فعلمك بأنك لن تكمل الحياة وحدك قد يحيلك إلى التجربة والوقوع في الحب!...

الفراغ...

قد يستنكر البعض تلك العلة!، إلا أنني أراها حقيقية و واقعية تمامًا!، الشعور بالفراغ قد يجعلنا نفكر في الحب أكثر!، ويكون الحب توهمًا لا حقيقة!، وافتعالًا لا ظاهرةً ولا حتى فعلًا!، أي أن الحب وسيلة لا غاية، ليقضي به على أوقات فراغه وملل عيشه!، وذلك النوع لا يمارسه إلا المرضى!، لا يمارسه إلا شخصًا فراغ نفسهِ مساوٍ لفراغ وقته وعيشه!...

لعلك الآن تسل بعد محاولة إجابتي عن لمَ نحب و الحب أصلًا وتقول: إن كان هذا صحيحًا فلمَ نحب أحدا بعينه دون الآخرين؟!، لمَ شخص من بين ملايين البشر؟!، كيف له أن يمتلك القلب وحده؟!، ويشغل البال ويعلق في الذهن وحده؟!، ما يميزه؟!، ما يجعله متفردًا؟!، أليس ذلك ما قد يؤرق فكرك؟!، الأمر محيرٌ حقًا و به من الغرابة ما يكفي لأن يكون أغرب الأشياء إطلاقًا، لكن يبدو أننا ألفنا الغرابة ولم نعد نسل!... صديقي، إن نميل إلى أحدهم دون غيره فذلك لا يعني أنه الأفضل مطلقًا!، ولو أننا بإرادتنا نختار و وضعنا كل شيء تحت عين الفكر وميزان العقل ما أحب منا إنسان أبدًا!، لكن الحب هو أن تحب ما تراه جميلًا كله وتعمى عمًا لا

تحب أن تراه!، ولا أعني التغاضي لأنه يأتي متأخرًا بعض شيء!، لكن هناك ما يدفعنا إلى حب أحدهم بعينه، فربما ترى تشابهًا وتوافقًا يقوم بأثرك وجذبك نحوه!، وحقيقةٌ أن ترى جزءًا منك في غيرك ليس أمرًا يسيرًا وجوده، وإن وجد فإن الإعراض أو التغاضي عنه أمرًا ليس سهلًا!، فلربما ترى أحدًا تجد نفسك بين ثنايا أضلعه وروحك بين أنفاسه!، فكيف يمكنك ألا تَعْلَق وكيف يمكنك ألا تَعْشَق؟!....

الصفات...

بعيدًا عن الحب ذاته، لكل منا صفات بعينها يحبها دون غيرها، فإذا امتلكها شخص ما، وألفناه فإن الوقوع في حبه يكون يسيرًا، بل يكاد يكون حتمًا!، قد نحب هيئته، شخصيته وحكمته، ابتسامته، هدوءه، قوته، وقد نعشق جنونه!، وربما نميل لأحدهم بعد طول مخالطة، تعامل قائم، استلطاف، إعجاب، يقوي بحسن المعاملة، يشتد بالاهتمام، يشتعل بالغيرة، يتواصل بالفكر والتذكار!، يتجدد باللقاء، بالقرب والبعد، بالخصام والملاطفة!، قد يحب منه معاملته ويحسب له قربه الدائم، ويعلق في الذهن له وجوده لحظات الاحتياج، وتكتمل له المشاعر عندما يحقق الاحتواء، فينبض له القلب، ثم يروح في جميل حبه بعد أن بات يحمل أنبل المشاعر وأرق الشعور!...

لأن أحدًا منا أحب، فلمَ أحدٌ قد لا يحب؟!، لعلك تساءلت يومًا ما يعوق أو يَعقل البعض عن الوقوع في الحب؟!، لمَ أنت نفسك عشت كثيرًا دونه؟!... أعتقد أن الحب حالة و شعور لا يتكرر كثيرًا، بل من الممكن ألا يتكرر!، لأنه أعمق تجربة وأصدق إحساسًا يمكن أن يصل إليه الإنسان،

لذا يستحيل أن يكون الوقوع فيه يسيرًا، والحب ليس سلعة نأتي بها متى نشاء!، فلن أحب عندما أريد!، الحب يأتي مباغت كالموت، وهو لا يكون بين الوجود والعدم لأنه من أركان الإنسان أصلًا، ولكنه يكون بين الظهور والتخفي!، لذا حين يظهر الشخص يكون موجودًا ظاهرًا، وحين لا يكون الشخص ظاهرًا يكون الحب موجودًا مخفيًا!، أعني أن العدم لا ينطبق على الحب ولا حتى الشخص لأنهم من الموجودات أصلًا!، وظهور الشخص ليس أن يكون أمامي فحسب، وإنما أن يَسطع في سمائي!، لأن القلب لا يخفق لمن يمر أمامه، بل لمن يراه!، ورؤية القلب لا تماثل رؤية العين إطلاقًا، فقد تكون أمامي لكني لا أراها!، لأن للقلب عين خاصة به لا تنفتح إلا بشعور يجبرها على التفتح، يأتيها من عين الرأس مرورًا بميزان الأفكار، فإن سُرت العين ووزنت الفكرة تفتحت عين القلب، وما لإغلاقها من سبيل!، لذا إن لم نجد من تسر به أعيننا، وتَزنُه أفكارنا لن تُفتح له عين القلب ولن يراه!، ومنها لن نقع في حب أحد حتى يظهر من يستطيع بسحره أن يقلب الموازين!، وهنا يكون السبب ليس عقدة تعوق وقوع الحب وإنما عدم رؤية وظهور!، فليس لأني لم أحب طويلًا أكون معقدًا، وليس لأني أحب كثيرًا أكون ذا فرطٍ في الإحساس!..

المسئولية...

الحب ليس إحساسًا فقط، ولا شعورًا فحسب، وإنما هو كذلك مسؤولية على عاتق العشاق!، فأنا مقيد بحب لا أريد فقدانه!، وتلك أكبر مسؤوليات الحب، كيف أجعل من أحب معي دومًا، كل لحظة و خطوة بخطوة!، أتذكر صديق لي كان يتجول بين قلوب الفتيات حبًا وعشقًا له، لا يأبه لأي شيء سوى ما يريده منهن!، وعند سؤالي الدائم له ما غايتك من فعلك؟!، كان يجيبني "عش اليوم ولا تفكر!"، لكن ذاته مرة عندما كان يخبرني عن إحداهن قطع كلامه ليسألني، ماذا أفعل لتبقى معي؟!، حينها تعجبت من كلماته، وحاولت التأكد من درجة حرارته لعله مصاب بحمى جعلته يهذي!، فسألته هل أنت على ما يرام؟!، قال بصوت هادئ: أنا عل أفضل ما يرام!، فعرفت حينها أنه وقع في الحب!، ومنه عرفت أن الحب أكبر مسؤولية في مرحلة شبابنا التي قد تخلو من المسؤولية تمامًا!، ولأن المسؤولية ليست أمرًا بسيطًا، فمنا أولئك الذين يهربون من الوقوع في الحب لتجنب مسؤولياته!، لكن لا يدوم هروبهم كثيرًا، فسيقعون فيه ذات

يوم رغم أنوفهم ويتحولون من هاربين من الواقع لمتحدين له!، سيعلنها صراحةً، لن أخسر من أحب مهما كلفني الأمر!، فمن ذلك الذي يعشق ولا يمتلك من الشجاعة ما تجعله يقاوم كل العوالم من أجل من يحب؟!، العاشق الحق يمتلك ما يكفي من الشجاعةً لكن تبقى المقدرة هي من تظهر!، وما يؤسف له أن معظم العشاق شجعان عاجزين!!....

في النهاية أستطيع أن أقول لك: نحن نحب لأننا لا نستطيع ألا نحب، وقد لا نحب لأننا لا نروق للحب!..

الحب....

طاب مساؤك صديقي العزيز....

ليلة أمس قرأت عناوين الرسالات التي كتبتها إليك فلاحظت شيئًا غريبًا!، على الرغم من تحدثنا عن كثير من الأمور في الحب إلا أننا لم نسل أبدًا عن ما هو الحب أصلًا؟!، ما ذلك الشيء الذي يجول بين الناس ويصطفي منهم من يشاء!، ما هو ذلك الشيء صاحب السلطان العظيم على البشر؟!، ومن غيره صاحب السلطان وهو يستطيع أن يأتي ولا يأتي!، في أي زمان أحب، وفي أي مكان شاء، بلا قيد ولا شرط!، ما هو ذلك الشيء الذي يسعدنا كثيرًا ويحزننا؟!، الذي يضحكنا ويبكينا؟!، الذي يساوي الكون اتساعًا ويصنع معجزةً فيسكن قلبًا يساوي قبضة اليد حجمًا!، ما ذلك الشيء العجيب الذي يكون في كل مكان وبحال غير حال!؟!، الذي يستطيع أن يجتاح قلوب كل البشر ولا يستطيع أحدهم مقاومته!، ومن منا أصلًا يستطيع مقاومته؟!، وهو ضارب كالإعصار مباغت كالموت!، ثائر كالبراكين!، إننا أمامه عاجزين تمامًا لا نقدر على شيء!، نستطيع فقط أن

نقول مرحبًا يا خير زائر رغم أنوفنا!، ثم نتابع معه الأيام فإنه يكون حيث وكيف شاء؟!...

رغم كل ما سطرته إليك عنه إلا أني حقيقةً لا أعلم ما الحب؟!، أنا فقط وصفت إحساسًا أحسسته!، لكني أبدًا لم أعرف ماهيته ذلك الحب أو ماهية ما نتج عنه من إحساس وشعور!، وكذلك لم اقتنع بأي من فلسفات الحب في كل العصور!، لأن في كل فلسفة تقيدًا وتعريفًا لا يمكن أن يخضع الحب له!، فكيف يمكن تقييد من يجوب كل الأرض؟!، يملأ الكون الفسيح!، من يسكن كل العوالم!، وكيف يمكننا أن نُعَرف ما نعجز- في كل الأحايين- عن وصفه؟!، ربما سأرتكب الآن قدرًا من الحماقة وأعطيه تعريفًا يزيح عنه التعريف!، فأقول: الحب هو ما نعجز عن وصفه!، ما نحسه ولا نعرفه!... من المنطقي أن يسمح للجميع بالتكلم في الغير مُعرف!، لذا كل من يسكن جوفه قلبًا يحق له الكلام عن الحب بلا مراعاة لأي تعريف أو تقييد!، وكذلك لا يحق لأحد التعقيب على غيره في وصفه وكلامه عنه!، لأن كل منا يصف الحب بما أحس، أو ما يحس، فمن يقول أنهار وجنان صادق، ومن يقول وجد ونيران لايكذب!، و النعيم حقيقةً والعذاب واقع!، لأن اختلاف التجارب والنهايات تضفي اختلافًا على الوصف والكلمات!، لذلك لا يمكن أن يؤخذ من قول أحدهم ولا تجربته على المطلق، لأن لكل منا صفات الحب الخاصة به كما بصمات الأصابع، وذلك لأن كل ما فيه حيثيات الحب تختلف باختلاف الشخصيات والظروف والمواقف!، لذا ما يمكنك أخذه من القول هو ما يشبه ما أنت

عليه من وضع، وليس ما يشبه غيرك من أوضاع؛ لأن ليس في الحب تماهيًا بغير حقيقة الشخص نفسه!....

ربما فهم سَمنون ما لم أفهمه أنا حين أردت أن أتكلم عن الحب إليك في رسالات واصفا معبرا عنه!، لم أعِ قصور المجاز ولا انفلات المعنى ولا تلاشي الشعور!، هو أدرك ذلك و فهم كيف يتكلم عن الحب حين قال لك: لا يُعبر عن الشيء إلا بما هو أرق منه، ولا شيء أرق من المحبة فما يعبر عنها؟!، أعلم صواب كلماته، فالحب أرق من الكلمات، وأرق من أن يشبه بكل الموجودات، فهل يصح أن يعبر الأدنى عما أعلاه؟!، أعذرني صديقي إن كنت أيدت رأي سمنون ولا ألومك في ذلك لأني أيضًا أؤيده!، لكن في قانون ما لابد أن يصح التعبير بالأدنى عما أعلاه!، لطالما سنظل عاجزين عن التعبير عنه!، لذا نحن في الحب نعطي تشبيهًا، نطلق الكلمات ولا نريدها أن تصل بما تحويه من معنى؛ لأنها مهما كانت بلاغتها قاصرة، وإنما نريد أن تصل بما في قلوبنا من معان!، وعبقرية الحب أنه يستقبل الكلمات القاصرات ويضخمها في قلوب السامعين فتصبح بنفس قوة ما كان في قلب العاشق المتحدث من معانٍ، إذن نحن أمام شيء يحاول أن يُوصلنا إلى كمال شعوره بنفسه!، وقد لا أكون كاذبًا حين أقول أن الشخص المحب أكثر الأشخاص إحساسًا للكلمات وتبحرًا في أعماق مقاصدها، ورغم ذلك يقلق الكثيرون ألا يصل ما يريدون إصاله، وهنا قال شاعرٌ قلق من ألا يصل إحساسه من خلال كلماته:

لا تَحسَبي أنّي أُحبُّكِ مثلما .... تتصوَّرينَ مَشاعري فوقَ الورقْ
أنا شاعرٌ في كلِّ شيءٍ إنّما.... عندَ الكتابةِ عن هوانا أحتَرِقْ
لا تَحسَبي أن الكتابةَ عن هوانا عَبَّرَتْ .....هي ليسَ إلا بعضَ دُخَّانٍ قَلقْ
إن المشاعرَ لا تُقاسُ بنظرةٍ أو لمسةٍ ..... أو ما بهِ يومًا لسانٌ قد نَطَقْ
فرقٌ كبيرٌ بينَ ما نُخفي ونُعلِنُ ..... في العواطفِ، والعواصفِ، والأرَقْ
حتى السّكوتُ حبيبتي لغَةٌ تُعبِّرُ في الهوى ..... فإذا سَكتْنا فاعلمي أنَّي على وَشْكِ الغرقْ
أنا كلُّ ما سطَّرتُهُ مِن فِتنَةٍ هو ليسَ إلا ذَرَّةً..... مِن وَحيِ كَونٍ في جَوانحِنا خُلِقْ

فعليك ألا تقلق من قصور مجاز كلماتك ولا دقة كلامك ولا فصاحة لسانك ولا بلاغة قولك!، بل قل ما شئت بصدق وسيصل!، لأن الحب كما يغفر لك الكثير يساعدك في تخطي الكثير والحصول على الأكثر!...

ربما لن أرتكب حماقةً أخرى في نفس الرسالة!، ولن أحاول أن أقيد الحب وأعطيه تعريفًا، لذا سأقول لك ما الحب من الإحساس لا من المهية، وشتان بين كل منهما!... صديقي، نحن نظل نبحث عن هدف وجودنا في الحياة حتى نحب!، صدقني لو أدرك البشر الحقيقة لعاشوا بين الحب والموت!، لا بين الحياة والموت!، الحب ذلك الوقوع الوحيد الذي يسعدنا!، الذي يمكنه الوقوف في وجه العالم ومغايرة الزمن وقلب التاريخ!، أتعرف؟!، ربما لا ينبغي أن نبكي على الثروات الضائعة بقدر

بكائنا على حب قد ضاع!، ولو أني أعرف من أين يأتي الحب لأسرعت إليه دونما خوف وبلا مطالب!، لكنه مراوغ عظيم، قد تفكر فيه كثيرًا، و يأتيك في اللحظة التي تغفل عنه فيها!، فسلام عليك أيها الحب؛ رغم أنك لم تطل السلام!.... الحب يا صديقي أعمق ما يحس، وأعقد أن يوصف، وبين عمقه وعقدته يصعب علينا إدراكه وتعريفه، رغم سكونه داخلنا واحتلاله أعماقنا!.... دع أذنيك لمن شئت من المتكلمين في الهوى، فلن تعرف الحب حتى تكون من أهله!، لكن ربما عليَّ أن أقول لك في آخر كلماتي إليك في رسالاتي أن (الحب قصرٌ لا يسكنه إلا الملوك!، قصرٌ أرضه الإخلاص، وجدرانه الاحتواء، وأغراضه العطاء، وسقفه الغيرة، فإن لم تكن أرضه صلبة سينهار حتمًا!، وإن كانت جدرانه هشة فعمره قصير!، وإن كانت أغراضه غير كافية سيهجره سكانه!، وإن كان ليس له سقفًا يحميه ستسرقه اللصوص ويتنازع ساكنيه!، فعليك ان تكون ملكاً يعرف كيف يسكن القصور ويحميها!) ....

إلى اللقاء صديقي في رسالة بغير الحب لكن بها الكثير منه...

دمت بخير...

الفهرس

***

1. نظرة واحدة!..	١
2. حب أكيد....	٨
3. الاعتراف بالحب...	١٩
4. الغيرة....	٤٩
5. حلو الكلام (الغزل)..	٦٤
6. الحب والمجتمع...	٧٧
7. الفراق...	٨٥
8. الوحدة..	٩٩
9. الحب والجنس...	١٠٧
10. أفعال منحطة!...	١١٨
11. الغدر...	١٢٠
12. الخيانة...	١٢٢
13. القسوة...	١٢٥

14. الكذب... ١٢٧
15. أمراض حب... ١٣٠
16. الخصام.... ١٣١
17. البعاد... ١٣٥
18. الإهمال.... ١٣٧
19. حب لطيف... ١٤٠
20. الإخلاص... ١٤٣
21. الحنان.... ١٤٦
22. اللطف... ١٤٨
23. حب أعرج... ١٤٩
24. حب المال.... ١٥٠
25. حب المظهر.... ١٥٤
26. حب السلطة!... ١٥٨
27. المرأة... ١٥٩
28. حب وصداقة... ١٦٧
29. تحول الحب إلى صداقة!... ١٧٤
30. في العلاقة.... ١٧٥
31. حب محتار... ١٨٤

32. التشابه والاختلاف.... ١٨٦
33. مقاصد ضمنية... ١٨٨
34. المظهر والناس... ١٩٠
35. خطة فاشلة... ١٩٢
36. موافقة مؤقتة.. ١٩٤
37. المناسبات والمواعيد... ١٩٦
38. الحدود وقاية.... ١٩٨
39. اللوم والعذل... ٢٠٠
40. الضمير.... ٢٠٢
41. في الحب... ٢٠٣
42. الوصول والوصل... ٢٠٥
43. اللقاء... ٢٠٨
44. البسمة... ٢١٠
45. الحضن... ٢١٢
46. الأمل... ٢١٤
47. عذاب الحب... ٢١٦
48. التمرد واللئيم.. ٢١٧
49. الحب الأول... ٢١٩

50. الحب الثاني... ٢٢٥
51. لمَ الحب.... ٢٣٠
52. الوحدة... ٢٣٣
53. الوصول للكمال... ٢٣٤
54. انتظار شريك الحياة.. ٢٣٥
55. الفراغ... ٢٣٦
56. الصفات ... ٢٣٨
57. المسئولية... ٢٤٠
58. الحب.... ٢٤٢